

[illegible]

FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES

كلية الآداب واللغات



الموضوع :

-دراسة نحويّة دلاليّة -

لجنة المناقشة :

أ.د: صالح بلعيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة مولود معمري - تيزي وزو	رئيسا
د: السعيد حاويزة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة مولود معمري - تيزي وزو	مشرفا ومقررا
أ.د : عمار ساسي	أستاذ التعليم العالي	جامعة لونييسي علي - البليدة 2	عضوا مناقشا
أ.د : بوعلام طهراوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة	عضوا مناقشا
د : حاج بنيرد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة مولود معمري - تيزي وزو	عضوا مناقشا
د : عمر بورنان	أستاذ محاضر (أ)	جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة	عضوا مناقشا

تاريخ المناقشة: 2019/07/15

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ۝

وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٦٩﴾ ﴾

[ص: 69]

إهداء

إلى امرأة .. الحبُّ في محرابها عبادة

إلى امرأة .. تقبيل جبينها صلاة

إلى امرأة .. تصوّفتُ في حبِّي لها أبدا

إليك أُمّي

بِمَقَامِكَ الْعُلُويِّ أَنْحَرُ أَحْرُفِي

قُرْبَانَ عِشْقِي يَا مَلَاكَ تَصَوُّفِي

الْقَلْبُ مُؤْتَمٌّ بِنُورِكَ كَعْبَةٌ

وَمِنَ الْمُحَيَّا قَدْ تَلَوْتُكَ مُصْحَفِي

مَا الْحُبُّ إِلَّا أَنْ أُصَلِّيَ عَاشِقًا

وَالْتَبَّضُ تَسْبِيحُ الْفُؤَادِ الْمُدْنَفِ

﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان:14]. مصداقا لهذا الأثر؛ فإنّ الشكر: أولاه وأوفاه الله تعالى

أنّ وفّقني إلى إتمام هذا العمل، وأدعوه أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به.

وأنتي بعد ذلك بالشكر لوالدتي التي اكتفتني بأدعيتها آناء الليل وأطراف النهار.

"لا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ" [رواه البخاري]. مصداقا لهذا الأثر؛ أتقدّم بالشكر إلى

فضيلة شيعي الدكتور: السعيد حائزة، أن قبل الإشراف على بحثي، ولما أسداه لي من نصائح وتوجيهات، ولما أضفاه على البحث من تنقيحات وإضافات.

وأنتي بعد ذلك بالشكر عرفانا لكلّ مشايخي وأساتدتي ممن تعلمت على أيديهم، وأخذتُ

منهم الأدب والعلم، طوال مسيرتي التعليمية.

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن آثاره اقتفى؛ أما

بعد:

فقد دأب العلماء منذ نزول القرآن العظيم على قراءته وحفظه، ثم على دراسته تفسيراً وشرحاً. ولم يتركوا جانباً من جوانبه إلا عنوه بالبحث فيه والدراصة، فظهرت بذلك علومٌ لم تكن معروفة، وازدهرت أخرى، فلا يمكن، إذن، إنكار فضل القرآن العظيم على كثيرٍ من العلوم التي إما درسته، أو انطلقت منه في دراستها، أو اعتمدتُ حجةً في بحثها.

وكما أن هذه العلوم ذاتُ مصدرٍ واحد؛ هو القرآن، فإنها كثيراً ما تلتقي وتتشابك؛ لما بينها من الصلة والترابط المعرفي. ومن هذه العلوم؛ علومٌ قرآنيةٌ خالصة، وعلومٌ تنطلق من القرآن، وعلومٌ لها صلةٌ بالقرآن؛ فمثال العلوم القرآنية الخالصة، ظهر علم التفسير، وعلم القراءات... ومن العلوم التي تنطلق من القرآن نذكر علم الفقه وأصوله، وعلم الحديث وفروعه... أما العلوم التي لها صلةٌ ما بالقرآن، فكثيرة لا تحصى؛ منها علوم العربية جميعها: من لغةٍ ونحوٍ وبلاغةٍ وصوتٍ ومعجمٍ ودلالة... ويظهر هذه الأنواع من العلوم وأجناسها، ظهر رجالٌ أعلامٌ، ممن وقفوا أنفسهم على خدمة كتاب الله، وصرفوا فيه أوقاتهم، وبذلوا لأجله جهدهم، فخلّدهم التاريخ، وسارت بذكرهم الركبان، وظهرت بظهورهم مصنفاتٌ وكُتُبٌ حوتْ زبداً ما وصلوا إليه، ونتاج ما نالته بحوثهم، من حقائقٍ علميةٍ توصلوا إليها.

وبفعل هذا الترابط بين القرآن العظيم وغيره من العلوم، ارتأينا البحث في العلاقة بين القرآن واللغة عامة، وبينه وبين النحو والإعراب خاصة، لنعرف من خلال ذلك أهمية التفسير اللغوية. فالمعاني القرآنية التي هي غاية كل باحث مهما اختلف تخصصه، لا تتأتى إلا من خلال معطيات كثيرة، أهمها المعطى اللغوي والنحوي والإعرابي.

من أجل ذلك، وضع العلماء الأول، إلى جانب تفسير القرآن، أعاريب وحواشي إعرابية في كتبهم. ثم ما لبث التصنيف في إعراب القرآن ينتشر، ويكثر أعلامه. لكن شاع عند بعضهم أن إعراب

القرآن ما هو إلا ترفُّ علميٌّ، أو دراسة منفصلة نحوية لا غير. والحقيقة غير ذلك. حاولنا من خلال اختيارنا هذا الموضوع أن نبين أن إعراب القرآن لا ينفك أن يكون أحد المشاركين الأساسيين في تفسير القرآن، وإجلاء معانيه وإظهار مقاصده. فكان أن سميناهُ دراستنا هذه: (المعاني الإعرابية في تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن - دراسة نحوية دلالية).

وأهم أسباب اختيارنا الموضوع هو أن ننال شرف خدمة القرآن العزيز، فتشرفتُ به مدونةً لدراستي وهدفاً وغايةً لبحثي، ثم لشغفي بالوطن الغالي الذي فقدته الأمة الإسلامية، جنة الله على أرضه: الأندلس، هذا الشغف الذي جعلني أؤمّ الأندلس في مذكرة الليسانس، وفي رسالة الماجستير قبلُ. فكان أن اخترنا علماً جهيداً من جهابذتها: ألا وهو الإمام المفسر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأندلسي القرطبي، في تفسيره الموسوعي: الجامع.

وكانت دراستنا نحوية دلالية، حاولنا الخروج بالنحو من الدراسة التركيبية إلى الدراسة الدلالية ونربط بين النحو والمعنى، ورأيناه موضوعاً جديداً جديراً بالدراسة؛ لذلك اخترناه، كي نتذوق النحو من منظور الدلالة، فكانت فرصتنا للتعرف على المعاني الدقيقة للنحو والإعراب.

إنّ للموضوع، الذي نحن بصدد دراسته، أهمية ذاتُ بال في بناء الصرح المعرفي للأمة الإسلامية منها: أن تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) يعدّ من التفسيرات القيّمة، إذ استفاد منه العلماء وطلبة العلم، على اختلاف اختصاصاتهم. وكذلك لشهرة مؤلّفه، وعلوّ قدره عند العلماء، فهو من أئمة التفسير، الذين بذلوا جهوداً مضيئة في دراسة القرآن العظيم، واستخراج درره الكامنة. ثم إنّ هذا التفسير مليء بأحكام القرآن، إلى جانب عرضه جميع الأقوال في التفسير وترجيح ما يراه صواباً بطرائق حجاجية علمية، دون أن يتعصّب لرأي أو لمذهب. دون أن ننسى كثرة الفوائد والاستنباطات والدّرر المودعة في هذا التفسير، ممّا يجدر بكلّ باحث أو طالب علم الاستفادة من هذا الكتاب.

إنّ هذا الكتاب قد لقي القبول في بقاع شتى؛ شرقها وغربها، وصار مرجعاً أصيلاً للعالم المنتهي، فدراسة جانب من جوانبه؛ كالجانب اللغوي -مثلاً- يزيد من قبوله، إضافة لتسهيله، وفهمه وتوضيحه ما أشكل على العامة من مبهمات بعض الألفاظ اللغوية. ثم إنّ اللغة آلة من آلات البحث

والقرآن العظيم كتاب عربي مبين، ضمّ في ما ضم بين دفتيه أحكام الشريعة الإسلامية الغراء، وفهمها مرتبط باللغة؛ لأنه ألفاظ وتراكيب، وكلُّ منها بحاجة إلى توضيح وبيان، فالقرآن أحكام، وفهم الأحكام مرتبط بفهم لغة القرآن. فمن هنا، اكتسب الموضوع أهمية، تجعله أهلاً للدراسة والبحث فيه.

فهذه الأسباب وغيرها جعلتنا نؤمّ البحث في هذا الموضوع، ونحن نطرح إشكالات كثيرة، نحاول من خلال هذا البحث الإجابة عنها؛ أهمها: أيمن أن يكون للنحو والإعراب مشاركة في تشكيل المعاني والدلالات؟ أو ما هي المعاني المحصّلة من النحو والإعراب؟ ثم ما الفائدة من إعراب القرآن أو من كتب إعراب القرآن وتفسيره اللغوي؟ ثم ما هي أهم المعاني الإعرابية في تفسير القرطبي؟ وقبل ذلك: ما العلاقة بين الإعراب والمعنى؟ وما مدى أثر التّخريج الإعرابي في تشكيل دلالات المعاني القرآنية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالات ارتأينا تقسيم بحثنا إلى مدخل وبابين، في كلّ باب ثلاثة فصول. أمّا المدخل فتحدثنا فيه عن أهمية هذا الموضوع وضرورته. وأمّا الباب الأول، وهو الباب النظري فقسّمناه إلى ثلاثة فصول: الفصل الأول تحدثنا فيه عن القرآن وعلاقته باللغة، وتطرّقنا إلى تعريف بعض المصطلحات ذات العلاقة بالموضوع؛ كال تفسير والتأويل، والتفسير اللغوي، والدلالة والمعنى. ثم تحدثنا عن التفسير اللغوي وإعراب القرآن، وأهميتهما. وعن أثر الإعراب في المعنى.

و الفصل الثاني تحدّثنا عن القرطبي، ووضعنا ترجمة موجزة لحياته ومسيرته العلمية، وكذا أهم شيوخه وتلاميذه ومؤلفاته. ثم عرجنا في الفصل الأخير من الباب النظري إلى المدونة: تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن؛ فعرفنا بالكتاب، وبأهم مصادره، ثم درسنا منهجه وخصائصه، وذكرنا كذلك بعض المآخذ التي سجّلت على تفسيره.

ثم يأتي الباب الثاني المخصص للتطبيق، فقد قسّمناه أيضاً إلى ثلاثة فصول. وهو تقسيم راجع لخصوصيات علم النحو؛ إذ تطرّقنا في الفصل الأوّل إلى قضايا ومسائل الجملة الاسمية، من مبتدأ وخبر ونواسخهما إلى غير ذلك، ثم في الفصل الثاني طرّقنا موضوع مسائل الجملة الفعلية، كالفاعل

الماضي والفعل المضارع وفعل الأمر، والفاعل والمفعيل وما يلحق بها. ثمَّ عرجنا في الفصل الأخير إلى مسائل الحرف وما جرى مجراه؛ كحروف العطف وحروف الجر ومعانيهما الإعرابية.

كما يجب أن ننوّه بقولنا: إنّ دراستنا ليست إحصائية، بل هي أقرب إلى أن تكون انتخابية. لهذا فلا نزعم أننا قد أثينا على الموضوع كلّهُ، أو أننا أوفيناه حقّه، وإنما إن كانت لدينا مزية فيه فإننا قد أشرنا للموضوع وإلى خطره وأهمّيته. وما كان عملنا وغايتنا فيه إلى تحقيق الهدف، ألا وهو تبيان أنّ للإعراب معنى ودلالة، وأنّ لهذا المعنى أو لهذه الدلالة دورا في توجيه المعنى القرآني، وتأسيس دلالاته التي يبنى عليها تفسير القرآن، وتبنى عليها أحكام هذا الدين جملةً وتفصيلاً.

وحاولنا من خلال هذه النماذج التي اخترناها في دراستنا أن نظهر أهمية معرفة علم إعراب القرآن، لنجيب قاطعين تعجّب من تساءل: ما الفائدة من إعراب القرآن؟! أو ما الفائدة من النظر لغويا ونحويا وإعرابيا في القرآن العظيم؟! لنبيّن له بما يقطع حبال الشك، أنّ من معاني القرآن ما لا يُتبيّن إلا من خلال النظر إليه من زاوية الإعراب. وكذا أنّ النحو ليس شكلا تركيبيا فقط، بل له وسائط وعلائق ورياطات وشيجة مع المعنى، وله دور فعّال في إنتاج الدلالات، وتحصيل المفاهيم، وتوجيه المقاصد.

فإن كنا قد حقّقنا ولو يسيرا هذه الغاية، فأننا نكون قد بيّنا سبب عدم إحصائنا لكل النماذج والأمثلة والمواضع الإعرابية أو النحوية في تفسير القرآن للقرطبي، وإلا فإنّ هذا الإحصاء الشامل الماسح يكون من شأن الموسوعات، أو من شأن مصنفات التفسير وأعاريب القرآن. وأملنا من ذلك بعد أن صرّحنا بعدم دراستنا لكل المسائل الإعرابية في تفسير القرطبي، هو أننا أشرنا بقدر استطاعتنا في ملحق فهرس المسائل الإعرابية، في آخر هذا البحث، إلى كل المسائل الإعرابية التي جاءت في تفسير القرطبي.

وقد أخذ منا وضع هذا الفهرس ما يقارب السنتين، بعد قراءة متفحصة لتفسير حوى أربعة وعشرين مجلدا، في كلّ مجلد ما يفوق خمس مائة صحيفة، بعد أن لم نجد من سبقنا إلى وضع فهرس

للمسائل هذه. ولعلنا وضعنا خارطة طريق، ودليلاً بين يدي من يأتي بعدنا من الباحثين لمن يريد دراسة جميع المعاني الإعرابية واحدة بواحدة في تفسير القرطبي.

ثم إنَّ تناولنا للمسائل النحوية والإعرابية لم يكن تكراراً لكتب الأولين من النحاة في مصنفاتهم. فما عقدنا بحثنا لأجل ذلك. إنَّما ترانا في كلّ باب نتحدّث عن المعنى المؤدّي من خلاله، أو الغرض الذي جاء من أجله في الكلام، أو الفائدة المستقاة منه، والمعنى المستنبط من خلاله.

ولم نبحر في تعقيد الأبواب النحوية ولا في تعليقات النحاة وأقيستهم، ولا في شُعب اختلافاتهم واستطراداتهم، ومذاهب كلّ نحويّ منهم؛ إنَّما كنا نوّمْ عند كلّ مسألة قبل المعنى النحوي الإعرابي الذي رأينا أنّ جلّ النحاة قد أغفلوه، لانشغالهم بصناعة النحو صونا للسانهم، وما رأيناه أيضاً في كتب بعض النحاة المتأخرين، ممن لمّح أو أشار في عنوان دراسته إلى المعنى النحوي أو المعاني الإعرابية، ثمّ لم يستفصّل فيها في متن كتابه، أو لم يزد على ما جاء به أسلافه أئمة النحو قبله.

فعرّجنا رأساً إلى عين المعنى النحوي، متجاوزين ما عهدناه في أسفار النحو من تعريفات وحدود وتوقعيات، إذ رأينا في ذلك أنّ المعنى النحوي هو الثمرة الثانية لعلم النحو، بعد ثمرته الأولى التي آتت أكلها، ألا وهي صيانة اللسان العربي من اللحن في الكلام عامة، وفي القرآن العظيم خاصة. فبه تعرف أهمية النحو، ويُعرف للإعراب قدره وشأنه.

وقد كنا نرجّح الأقوال، ونقول برأينا، ونجتهد في بعض المواضع، من باب المدارس لا التّعالم ولا التجرؤ على علمائنا، على أنّ اختلافنا كان يصبّ في الرأي لا في الأعلام. حتى لا نكتفي بالنقل لأجل النقل فقط. وما كنا نقول برأينا ارتجالاً، وإنَّما لا نذكر الرأي إلا بعد البحث عنه أو عمن قال مثله أو اقترب مما رأيناه، في كتب وتفسير علماء آخر.

كل هذا كان بما استعنا به من مصادر ومراجع رَفَدنا بها بحثنا، وفي مقدمتها تفسير القرطبي وغيره من التفسيرات التي تماشّت مع تفسيره، ككتاب الفراء: معاني القرآن، وتفسير الكشاف للزمخشري، ومعاني الزجاج، وإعراب القرآن ومعاني القرآن للنحاس، وتفسير الطبري، والمحرر الوجيز لابن عطية

الأندلسي، ومن المراجع في الدراسات الحديثة: الإعراب والمعنى في القرآن الكريم لمحمد أحمد خضير. وغير ذلك من المصادر التي ذكرناها مرتبة في قائمة المصادر والمراجع.

وبما أنه لا يخلو بحثٌ من صعوبات، ولا ينجو باحثٌ من عراقيل؛ فهذه سنة البحث العلمي وتلك صفة الباحث؛ فإنَّ أهمَّ ما واجهنا في مسيرتنا البحثية هو شساعة حجم هذا التفسير، الذي تطلَّب منا بادئ الأمر أن نقرأه كلّ لفهم توجهه أولاً، ولمعرفة المسائل الإعرابية فيه وإحصائها، ثم لدراسة منهجه وأهم خصائصه، وتسجيل كلّ نقطة تميّزه عن غيره من التفاسير.

أخذت منا هذه القراءة جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً. واستطعنا كذلك أن نسجّل أهم النقاط التي ميّزت هذا التفسير الموسوعي، الذي شمل جلَّ علوم القرآن، إنَّ لم نقل كلّها، بشيء من الإسهاب والتدقيق العلمي الذي برع فيه الإمام القرطبي رحمه الله.

كما أنَّ عامل الوقت كان ضدنا، لأنَّ بحثنا عن بعض المصادر المهمة أخذ منا جهداً ووقتاً زائدين؛ ومن أمثلة ذلك: أنه طال بحثنا عن كتاب القسبي محمود زلط عن الإمام القرطبي أربع سنوات، هذا الكتاب الذي لم نجده هنا في الجزائر، وسمعنا أنه متوفر بمصر فقط. ولكن حين شارف البحث على نهايته، تم تحميل الكتاب على الانترنت وتصويره عن الأصل. فقمنا بتحميله، مع أنَّ الوقت كان قد تأخَّر، إلا أننا مع ذلك استدركنا بعض الأمور في بحثنا، ورجعنا إليه في بعض الأبواب التي أغفلناها.

وخلاصةً لما تقدّم نقول: إنَّ دراستنا لهذا التفسير هو تتطرق إلى المعاني الدلالية المولدة من إعراب القرطبي لبعض كلمات القرآن العظيم، ودراستها وفق المنهج العلمي، من حيث عرض الآراء المخالفة، ومقاربتها برأي القرطبي، وتوليد الدلالات الناتجة عن إعراب كلّ كلمة. وحاولنا فيها بكل ما أوتينا من جهد مادّي وعلميٍّ أو نوفيّه حقّه، ولا ندّعي في ذلك العصمة من الزلل، ولا الخلو من الأخطاء، وإثماً هذا الجهد، وعلى الله تعالى وحده التكلان.

وفي الأخير: نتقدم بالشكر جزيله وعميمه، بعد الله تعالى الذي وفقنا لهذا العمل، إلى أستاذي وشيخي المشرف الدكتور: السعيد حاوزة، الذي زادني شرفاً وعلماً بقبوله الإشراف على عملي، ولم

يُخَلِّعُ عَلَيَّ بِسَدِيدِ آرَائِهِ، وَتَوَجُّيَّاتِهِ وَنَصَائِحِهِ، حَتَّى خَرَجَ هَذَا الْعَمَلُ عَلَى الْوَجْهِ وَعَلَى الصِّفَةِ. وَنَتَلَّثُ بِالشُّكْرِ لِلجَّنَةِ الْمُنَاقِشَةِ الْمَوْقَرَّةِ، الَّتِي تَجَشَّعَتْ عَنَاءَ قِرَاءَةِ هَذَا الْبَحْثِ، وَنَشْكُرُ لَهُمْ سَلَفًا نَصَائِحَهُمْ وَتَوَجُّيَّاتَهُمْ. وَأَخِيرًا: نَشْكُرُ كُلَّ مَنْ مَدَّ لَنَا يَدَ الْعَوْنِ وَالْمُسَاعَدَةِ مَادِيَةً كَانَتْ أَوْ مَعْنَوِيَّةً.

وَنَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى، فِي خَتَامِ هَذَا الْعَمَلِ، أَنْ يَقْبَلَهُ مِنَّا خَالصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، خِدْمَةً لِكِتَابِهِ وَخِدْمَةً لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْخَيْرَةِ الْمَرْحُومَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَخِدْمَةً لِلْعَرَبِيَّةِ، لُغَةِ قُرْآنِنَا، وَلِسَانِ نَبِيِّنَا، وَمَقَوِّمَ حَضَارَتِنَا وَمُخَلِّدَةَ تَارِيخِنَا، وَإِرْثَ آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ. وَاللَّهُ الْمَوْفَّقُ، وَمَنْ وَرَاءَ الْقَصْدِ.

مُحَمَّدُ حَرَّاثُ

السَّلَفُ 2018

مَذْخَل

مدخل ----- أهمية الموضوع

يحتّم علينا المقام، قبل الشّروع في الموضوع، أن نتطرّق إلى الحديث عن أهميّة الكتاب وصاحبه، حتّى تُجلى علّة البحث، وتبرز ضرورته، فترتّب فائدته، ويُرجى نفعه. ولستُ آتٍ بجديد في حديثي عن أهميّة هذا التّفسير، وعن قدر صاحبه؛ ذلك أنّ من سبقني كفى ووفى، ولستُ -كذلك- مفيضا ولا مُسهباً، إذ فيما كُتِبَ عنهما غناءٌ وشفاء، ولكن من بلاغة المقام أنّ أذكر مشيراً ومختصراً، أهمّ ما خُطَّ ونُقِلَ، وحُفِظَ وعُقِلَ.

لا يخفى على ناظرٍ معنٍ في أسماء التّفاسير على مرّ العصور شيوعُ تفسير القرطبي وذيوعه بين شتّى التّفاسير الأخرى، ونكتةُ شيوع التّفسير أنّه مقرون بصاحبه أنّهما تنازعا الشّهرة معاً فكم من مؤلّف ذاع أكثر من مؤلّفه، والعكس، غير أنّ القرطبيّ ذاع تفسيره وذاع اسمه، فصار لا يذكر إلا مقروناً بتفسيره (تفسير القرطبي)، بل لقد شاع لقبه واستأثر بالنسبة لقرطبة، فلا تكاد تشكّ في غيره إن قيل (القرطبي).

لقد سمّى كتابه (الجامع لأحكام القرآن)، وقد أجمع الباحثون والدّارسون أنّه بحقّ اسمٌ على مسمّى؛ فقد جمع فيه القرطبيّ جميع الأحكام الفقهية آيةً بآية، بل قد يفصل في الحكم مسائل عدّة ممّا أضفى على تفسيره منحةً موسوعيّة ميّزته عن غيره من التّفاسير.

كما تكمن أهميّة تفسيره في المنهج المتّبع الذي اختطّه لنفسه، وسار عليه، فهو منهج دقيق مقنّن، انتفع به القارئ، وانتفع به المفسّرون بعده. وقد وجدتُ الكثير من الدّارسين واضعين مؤلّفات تتحدّث عن منهجه في تفسيره، وبراعته في تفصيل المسائل ودراستها، وسيأتي الحديث عن منهجه في حينه -إن شاء الله-.

وكذلك ممّا عثرتُ عليه من أقوال العلماء في مدح هذا التّفسير، والثّناء عليه، يكادُ لا يُحصَرُ ولا يحصى إلا بمشقة، وشهادةُ العلماء تركية، إضافةً إلى تركية القبول بين طلبة العلم وتركية الزمان والشّهرة والدّراسات؛ فقد ضربت شهرته عبر الأزمان مدًى بعيداً، ونال من الدّراسة والبحث نوالاً عظيماً، فقد استطاع هذا التّفسير أن يغزو مكتبة كلّ باحثٍ، معلّماً كان أو متعلّماً.

إنّ ممّا جعل الإمام القرطبيّ ينالُ الحظوة بين العلماء روحه العلميّة، وجديّة طرحه العملي وكذا أمانته العلميّة، وكثير من صفات العالم الورع، التي تناقلها عنه معاصروه وتلامذته؛ منها زهده، وورعه، وصلاحه، وشجاعته، وجراته في الحق، وكذا غيرته وشدة حرصه على الدّين، ثمّ

مدخل ----- أهمية الموضوع

بساطته وتواضعه ولين جانبه، وجدّيته في الحياة، ومضاء عزمته... هذه الصفات وغيرها شهد له بها من عاصره، وأثبتها له، من خلال مؤلفاته، من درسه.

ولأنّ الكتاب يشكّل موسوعةً علميّةً، فهو -كما رأى كثير من الباحثين- مازال يحتاج إلى دراسات وتحقيقات وأبحاثا، تكشف عن فوائده، وتجمع فرائده؛ فهو كالبحر من أيّ جهة جنته وجدت نفعا.

إنّ أهمية الموضوع الذي ندرسه، تُستمدّ من أهمية دراسة القرآن تفسيرا، ولا يخلو تفسير من الجانب اللغويّ عامّةً، والإعرابي والدلاليّ خاصّةً. فإنّ هذا القرآن نزل بلسان عربيّ مبين، واللغة قوالب المعاني التي عليها مدار الأحكام، والإعراب ودلالاته أحد تلك المنافذ التي تصلنا من خلاله معاني الأحكام ومقاصدها.

وقد نشأت العلوم العربية قديما بعد ظهور الإسلام، إنّما أمّ العرب من العلوم ما أمّوا لغاية جوهرية واحدة؛ ألا وهي فهم هذا الدين، وتيسير سبل العمل به، والقرآن حامل أحكامه، وضابط شرائعه. فكان أن ألف جملة من الصحابة في غريب القرآن، فغريب الحديث، قاصدين شرح ما أشكل على الصحابة والمسلمين، عربهم وعجمهم، من معاني القرآن وألفاظه.

ثمّ بعد اتساع رقع الإسلام، ودخول الأعاجم في الإسلام، ظهر من يلحن في قراءة القرآن، فأوجب ذلك وضع بعض علوم اللسان؛ من نحو وصرف وبلاغة، علوم كانت غايتها القرآن العظيم، حفظا له من اللحن، أو تبياننا لإعجاز بلاغته، وبيّاع براعته.

وأجلى هذه العلوم خدمةً للقرآن علم التفسير، وقد بلغ شأوه حين تضافر وعلم العربية في تفسير ما استشكل على المسلمين، وإنّما كانت العربية وعلومها ممّا يُدخَل به على أذهان العرب وأفهامهم، ذلك أنّها لسانهم، وديدنهم، وميدان تفاخرهم، ومناجزاتهم، وإلاّ لما كانت معجزته (صلّى الله عليه وسلّم) من جنس ما يحترفون.

من هنا، إنّ كنتُ مُلزَمًا بحصر أهميّة جوهرية واحدة لهذه الدراسة، فإنّما أجملها محصورةً في تبيان معاني بعض الآيات والأحكام من خلال دلالة إعرابها؛ هذا الجانب من التفسير لم يغفله القرطبي في تفسيره، إنّما أوفاهُ حقّه، من خلال ما توصّلنا إليه معه من معاني وأحكام ما كانت لتتجلّى لوما أعربت، وفُصِّلَ إعرابها.

مدخل ----- أهمية الموضوع

وذلك أنّ المعاني النحوية عامّة، والإعرابية خاصّة، لها أكبر أهميّة في إنتاج المعاني وصياغة الدلالات، بدليل ما نلاحظه من تغيير جذري في المعاني والدلالات إذا ما حدث تغيير ولو طفيفاً، في بعض الوحدات النحوية للتراكيب والمفردات.

كما أنّ أهميّة دراستنا هذه لا تكمن فقط في القرآن العظيم؛ موضوع دراستنا، ولا في المعاني الإعرابية ودلالاتها؛ منهج دراستنا، إنّما كذلك، في موسوعيّة وجلالة قدر شيخ المفسرين الإمام القرطبي؛ صاحب دراستنا، والذي أصبح علم التفسير، من خلال ذلك الكم الوافر والزاهر من مؤلفاته ومصنّفاته، التي أفاد بها الأمة الإسلامية والعربية جمعاء.

لنقول في الأخير: لقد اجتهد العلماء من أوّل عهدهم في الإسلام دأباً إلى يومنا هذا، في التصنيف والتأليف، وغايتهم الأولى القرآن العظيم، وما يتّصل به، فلا يخلو علم من العلوم والعلوم العربية خاصة، من الصلّة الوثقى بالقرآن العظيم، وما هذا إلا دليل على إعجاز هذا الكتاب وقديسيّته، ورفعة مكانته.

البَابُ النَّظَرِيُّ

الفصل الأول

القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

- 1- العلاقة بين القرآن واللغة العربية.
- 2- التفسير.
- 3- الإعراب والتفسير اللغوي.
- 4- الدلالة والمعنى.
- 5- المعنى والإعراب في القرآن العظيم.
- 6- أثر الإعراب في المعنى.

أولاً: العلاقة بين القرآن واللغة العربية

لا يخفى علينا أثر القرآن العظيم على العربية، منذ أول نزوله؛ إذ تلقّفه العربُ مسلمين له صدارة البلاغة والإعجاز، وإن لم يُسلموا له إيماناً واعتقاداً. وما كاد نزوله يبلغ النّمام حتّى انبثقت من العربية تلك العلوم الجمّة التي كان القرآن سبب انبثاقها. ومن هنا فإنّ العلاقة بينهما تبنى على محورين؛ فاللغة تحتاج إلى القرآن، والقرآن يحتاج إلى اللغة كذلك.

إنّ القرآن العظيم هو "عماد لغة العرب الأسمى، تدين له اللغة في بقائها وسلامتها، وتستمدّ علومها منه على تنوّعها وكثرتها"¹. فإنّ القرآن العظيم هو من حفظ للعربية خلودها، ولا يزال إلى اليوم صاحبَ فضل؛ يحفظ ألفاظها ومعانيها، كيف لا وهو ينقلها معه إلى كلّ بيت يدخله، وكلّ زمان يحلّ فيه؛ فالأعجميّ لا يكملُ إيمانه إلا بفهم الضّروريّ من الدّين، والعربيّة ظاهرة في ذلك فلا تستقيم صلاة دون فاتحة، ولا حجّ دون تلبية، بل لا يدخل الإسلام إلا بألفاظ اللسان العربي تلفظها شفتاه، ويوقن بها قلبه.

ومن هنا فإنّ انتشار العربيّة في الأمصار والأقطار يعود إلى القرآن العظيم خاصة، وإلى انتشار الإسلام عامة. ولا يزال الإسلام والعربية متوازيين يسيران معاً، ويقفان معاً، وإن كان الإسلام والقرآن يستطيعان في أحيان معدودة الانفصال عن العربية، والاكتفاء بمعاني هذا الدين بلغة أخرى، وهذا لظروف معيّنة، في غالبها تكون مؤقتة.

إنّ القرآن خدم العربية كذلك بأنّ شرفها وقدّسها، فما قدّس قوم لغةً، ولا اعتنوا بها مثلاً فعل العرب بلغتهم، وهم الذين ورثوها عن آبائهم الأولين، وزاد شغفهم بها، حين خاطبهم بها ربهم وكلمهم بها نبيهم ورسولهم محمد صلى الله عليه وسلم.

فما كان منهم إلا أنّ أعملوا العقول على تنقيحها ودراستها، بل هبوا إلى حمايتها حين رأوا تعلّقها بدينهم، وكان الخطأ في قراءة القرآن هو المنعطف الكبير الذي جعلهم يؤمّون لغتهم تهذيباً وتشذيباً، تصحيحاً وتنقيحاً، تقنيناً وتقعيداً. وقد جعلوا القرآن العظيم مصدرهم الأول والأولى لقواعدهم، يضبطون على سنّنه قوانينهم، وما قرّروه من قواعد وضوابط. وكما قال الأولون: "علم

¹ - تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/ 1993م، ج1، ص9.

الباب النظريّ ----- الفصل الأول ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

العربية حاكم على الكلام، والقرآن حاكم عليه، فإذا خالفه رجع إليه، ولا يتمكّن من الحكم بخطئه¹. فلا يتحقّق إذا تعارض النص من القرآن مع مسموع العرب أن يتفاضل المسموع على المنصوص. إنّما اللفظ في القرآن قاعدة، وما خالفه من كلام العرب فلعّة.

ونقول أيضاً: إنّ القرآن هو الكتاب الوحيد، من بين الكتب المقدسة الأخرى، الذي احتفظ بلغته الأصلية، وحفظها على قيد الحياة، وسيحفظها على مرّ الدهور، فستبقى بمنجاة من الموت حيّة في كلّ زمن، مخالفة النواميس الطبيعيّة التي تسري على سائر لغات البشر. ولا عجب؛ فهي متّصلة بالمعجزة القرآنية الأبدية. وهذا ما جعلنا نستطيع قراءة وفهم لغة امرئ القيس وقد مضى عليها خمسة عشر قرناً، بينما لا تستطيع لغة أن تبقى على إهابها أكثر من ثلاثة قرون أو أربعة². كما أنّنا نقول في المحور الآخر من حاجة القرآن إلى اللغة، إنّها احتياجٌ منطقيّ، لا احتياج نقصٍ أو افتقار؛ فإنّما القرآن أحكام، وفهم معانيها وضبطها متعلّق بفهم ما يحملها من ألفاظ وعبارات. ومن هنا فإنّ الأوائل عبّروا بالعموم على أنّ علم العربية علمٌ وسيلة لا غاية يُتوسّل بها إلى فهم كتاب الله تعالى، وما ثبت من كلام الرّسول، صلى الله عليه وسلم. فمعرفة مواضع الإعراب معيّنٌ على إيانة المعاني، وتجلية مقاصدها.

ثمّ إنّ الأوائل كثيراً ما رجعوا إلى الشّعْر الجاهلي في ما أشكل عليهم من الألفاظ القرآنية التي درجوها ضمن باب سمّوه بغريب القرآن، كما أنّ غير العرب ما كانوا ليفهموا عن القرآن مقصداً ولا حكماً إلا أنّ يفهموه بمنطق العرب في لغتهم، وطرائقهم في الفهم والبيان. ومن هنا، لا يبقى لنا شكٌّ في مدى ارتباط هذه اللغة بالقرآن العظيم، ارتباطاً إلى درجة التّماهي أو الدّوبان في أصل واحد، وهذا ما أكسب العربية حرمةً وقداًسةً، ولقباً تشرّفَتْ به: لغة القرآن.

لذا فإنّنا نحاول من خلال هذا الفصل النظري أن نبين أهمّ مباحث العربية على صعيد القرآن العظيم؛ من تفسير وإعراب ودلالة. سنحاول التّعريف بهذه المباحث مصطلحاً ومنهجاً ومبحثاً، لنسير في بقية البحث على بيّنة من هذه المباحث.

¹ - هذا قول القاضي أبي الفرج المعافى بن زكريا النهرواني (ت390هـ). ينظر: الاقتراح في علم أصول النّحو، جلال الدين السيوطي، تع: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، 1426هـ/2006م، ص76.

² - ينظر: الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1402هـ/1982م، ص33، 34.

الباب النظريّ ----- الفصل الأول ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

فمبحث التفسير هو أوثق اتصال بين العلوم عامة، والعربية خاصة مع القرآن العظيم، وقد تعامل المفسرون مع القرآن على أنه نص مقدّس يجب العناية به حرفاً بحرف، وإن كان كلام الله تعالى، فإنه كان في حدود طاقة استيعابهم؛ لأنه نزل بلسانهم، ويسره الله لأهل العلم، فجمع بين علو إعجازه، وسهولة استيعابه. وأمّا مبحث الإعراب فقد نهجه العلماء؛ لأنهم رأوا من المعاني ما لا يتّضح إلا من نافذة الإعراب فظهرت أعراب القرآن وكثرت.

ومن مبحث الإعراب إلى مبحث الدلالة، وهي منبثقة عنه؛ إذ أنّ أول مدارج الدلالة في القرآن هي الدلالة اللغوية الضرورية والضابطة. ولذا كان علينا أن نفصل القول عن هذه المباحث الثلاثة: التفسير، والإعراب، والدلالة.

ثانياً: التفسير:

1. التفسير لغة:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33]. مادته (ف س ر). وجاء في لسان العرب: الفسر: البيان، وكشف المغطى. واستفسر: سأل. والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكّل. والتأويل: ردُّ أحد المحتمّلين إلى ما يطابق الظاهر¹. وجاء عن الزمخشري أنّ كلّ ما ترجم عن حال شيء فهو تفسيره². والفسر هو التفسير، قال الخليل: هو بيان وتفصيل للكتاب، ويفسره فسرًا، وفسره تفسيرًا³.

وجاء في المعجم الوسيط: "فسر آيات القرآن الكريم: شرّحها ووضّح ما تنطوي عليه من معانٍ وأسرارٍ وأحكامٍ"⁴. وجاء أنّه "مقلوبُ السفر؛ تقول: أسفر الصبح إذا أضاء"⁵. ولم تخرج

¹ - ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ج 5، ص 55.

² - ينظر: أساس البلاغة، لأبي القاسم الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 1419هـ/ 1998م، ج2، ص22.

³ - ينظر: العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج7 ص247.

⁴ - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بمصر، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ/ 2004م، ص677.

⁵ - كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1996م ج1، ص491، 492.

الباب النَّظَرِيّ ----- الفصل الأوّل ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

المعاجم في معظمها عن هذا الإطار العام لمادة (فسر) من أنّها الإبانة عن شيء وإيضاحه. فلا نجد الفرق بين معناها اللّغوي ومعناها الاصطلاحي.

2. التفسير اصطلاحاً:

انطلاقاً من اصطلاح أئمة اللغة على أنّ الفسر والتفسير هو "كشف الباطن"¹، فإنّه أكثر ما تعلّق بالقرآن الكريم، فتخصّصت دلالاته، ولذا نجد الشّريف الجرجاني يقول: "التفسير في الأصل هو الكشف والإظهار، وفي الشّرع: توضيح معنى الآية وشأنها، وقصّتها والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدلّ عليه دلالة ظاهرة"². فقد وسّع الجرجاني من دلالة لفظة التفسير من شرح غامض الآيات، إلى بيان قصة الآية وسبب نزولها؛ أي إيراد السياق الذي تنزلت فيه؛ لارتباط الحكم فيها بذلك السبب. ثمّ يشترط في لغة التفسير وضوح العبارة والدلالة، إذ لا يُعقلُ شرحُ الغامض من الآيات بالمشكل من العبارات والمبهم من الدلالات. وقال التهانوي: "قد يقال في كلام المفسرين: هذا تفسير معنى، وهذا تفسير إعراب. والفرق بينهما أنّ تفسير الإعراب لا بد فيه من ملاحظة صناعة النحو، وتفسير المعنى لا يضره ذلك"³.

ويقول صاحب البحر المحيط: "التفسير علمٌ يُبحث فيه عن كَيْفِيَّة النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفراديّة والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب، وتتمّات ذلك"⁴. ونفهم من هذا التعريف أنّ التفسير صار بعد نزول القرآن العظيم علماً مستقلاً بذاته، كغيره من العلوم الأخرى، ومن ثمّ فله قواعده وضوابطه، ولذا ففي هذا التعريف تلنّقي علوم عدة كما بيّن ذلك أبو حيّان، ففي قوله: "يبحث في كَيْفِيَّة النطق بألفاظ القرآن" كان يعني علم القراءات، وأمّا قوله "ومدلولاتها" فيعني علم اللغة؛ لأنّ التفسير يحتاج إلى علم اللغة، وقوله: "وأحكامها الإفراديّة والتركيبية" فيشمل هذا التعريف علم التّصريف، وعلم الإعراب وعلم البيان وعلم البديع، ومعنى

¹ - الكلّيات، لأبي البقاء الكفويّ، تح: عدنان درويش، ومحمّد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ. 1998م، ص 511.

² - التّعريفات، للشّريف الجرجاني، تح: نصر الدين تونسّي، شركة ابن باديس للكتاب، الجزائر، ط1، 1430هـ/ 2009م ص109.

³ - كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ج1، ص494.

⁴ - تفسير البحر المحيط، لأبي حيّان الأندلسي، ج1، ص121.

الباب النظريّ ----- الفصل الأول ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

قوله: "ومعانيها التي تُحمَلُ عليها حالة التركيب" فيقصدُ ما كانت دلالاته بالمجاز لا بالحقيقة وقوله: "وتتمّات ذلك" فذكر أبو حيّان أنّه يقصدُ "معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضّح ما انبهم في القرآن ونحو ذلك"¹.

ولذا، فعلمُ التفسير هو تضافرُ عدّة علوم من أجل غايةٍ واحدة هي الإبانة عن المعاني وهذه هي غاية التفسير الجوهريّة. ولذا فقد وجدَتْ الزركشي يعرف علم التفسير ويذكر علاقته بالعلوم الأخرى قائلاً: "التفسير علمٌ يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه. واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتّصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات"². ولم تخرج تعريفات علماء التفسير عن هذه المعاني، وإن اختلفت ألفاظها.

3. الفرق بين التفسير والتأويل:

كثيراً ما يرافقُ لفظة (تفسير) في كتب التفسير وعلوم القرآن مصطلح (التأويل)، فيردان مرة على لسان العلماء أنهما مترادفان، ومرات أنهما مختلفان. فما العلاقة بينهما؟ وهل هما لفظان لمعنى واحد؟

التأويل مشتقٌّ من الجذر الثلاثي (أولَ). قال ابن منظور: (الأولُ: الرجوع. آل الشيءُ يؤولُ أولاً ومآلاً: رجع. وأولَ إليه الشيءُ: رجعه... وأولَ الكلامَ وتأولَ: دبره وقدره. وأوله وتأوله: فسره... والمراد بالتأويل: نقلُ ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما تُركَ ظاهر اللفظ"³. فنرى من خلال هذا التعريف، أنّ التأويل هو عدولٌ عن ظاهر النصّ، إلى معنى غير ظاهر، وذلك لقريظة أو دليل بيّن. وهذا استناداً إلى قول الشّريف الجرجاني: "التأويل في الأصل الترجيع، وفي الشّرع: صرفُ الآية عن معناه الظاهر، إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي

¹ - تفسير البحر المحيط، لأبي حيّان الأندلسي، ج1، ص121.

² - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط3 1404هـ/ 1984م، ج1، ص13.

³ - لسان العرب، ابن منظور، ج11، ص32، 33.

يراه موافقا بالكتاب والسنة؛ مثل قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الأنعام: 95] . إن أراد إخراج الطير كان تفسيرا، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل؛ كان تأويلا¹. جعل ابن منظور التفسير والتأويل مفهوما واحدا، ونقل ذلك عن غيره فقال: "وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال: التأويل والمعنى والتفسير: واحد"². ويكون التأويل بمعنى الجمع؛ قال ابن منظور: "قال أبو منصور: يُقال: أُلْتُ الشيءَ، أوولُهُ؛ إذا جمَعْتُهُ وأصلحْتُهُ. فكان التأويل جمعُ معاني ألفاظٍ أشكَلْتُ بلفظٍ واحد لا إشكال فيه. وقال بعضُ العرب: أوَّلَ الله عليك أمركَ؛ أي: جمعه. وإذا دعوا عليه قالوا: لا أوَّلَ الله عليكَ شَمْلَكَ"³.

وفرق أبو البقاء الكفوي بينهما، فقال: "التأويل بيانُ أحدِ احتمالات اللفظ، والتفسير بيان مراد المتكلم. ولذلك قيل: التأويل ما يتعلّق بالدراية، والتفسير ما يتعلّق بالرواية"⁴. وهذا فرقٌ جوهريٌّ بين التفسير والتأويل، معناه أنّ التفسير ما كان راجعا إلى الرواية؛ لأنّ معنى التفسير الكشف والبيان والكشف عن مراد الله -تعالى- لا يكون إلا بالنقل الصحيح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو عن بعض أصحابه، الذين شهدوا نزول الوحي. أمّا التأويل فما كان راجعا إلى الدراية لأنّ فيه ترجيحٌ لأحدِ احتمالات اللفظ بالدليل، والترجيح يعتمد على الاجتهاد، ويُتوصّل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ، ومدلولاتها في لغة العرب، واستعمالها بحسب السياق، ومعرفة الأساليب العربية واستنباط المعاني من كلّ ذلك⁵.

ولسنا هنا في مقام الدّكرِ المفصّل لما قام بين العلماء، قديما وحديثا، من الاختلاف المشهور، في كتب التفسير، حول معنى مصطلح: التفسير والتأويل، منهم التهانوي في كشافه إذ ذكر فروقا عدّة بين التفسير والتأويل، لا يتسع لها المقام هنا⁶. إلا أنّ الأشهر ما ذكرناه وهو أنّهما متباينان، وإن كان يظهر في بعض المواضع أنّهما مترادفان.

¹ - التعريفات، للشريف الجرجاني، ص52.

² - لسان العرب، ابن منظور، ج11، ص33.

³ - المصدر نفسه، ج11، ص33.

⁴ - الكليات، لأبي البقاء الكفوي، ص261.

⁵ - ينظر: علم التفسير، محمّد حسين الدّهبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص8.

⁶ - ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ج1، ص492، 493.

4. مسيرة التأليف في التفسير:

التفسير هو أول العلوم الإسلامية ظهوراً، وممن اشتهر على ساحة التفسير تفسيراً ابن عباس، رضي الله عنه، إذ كان أول تفسير وصلنا روايته بعد تفسير النبي صلى الله عليه وسلم، وأشهر الصحابة المفسرين علي بن أبي طالب، وابن عباس، ثم بعدهما زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهم جميعاً.

وأما التصنيف الفعلي في التفسير، فيذكر صاحب التحرير والتنوير أن أول من صنّف في التفسير عبد الملك بن جريج المكي (ت149هـ)، صنّف كتابه في تفسير كثير من الآيات، ذكرها معها بعض الروايات عن ابن عباس في تفسيره. ثم توالى بعد التفسير، وكثرت الروايات عن ابن عباس، إذ صارت تفسيرات ابن عباس حجة للمفسرين بعده.

وأما في القرنين الثاني والثالث الهجريين، فقد تواصلت الرواية عن الصحابة من قبل التابعين، وجمعوا ذاك في مدونات تشترك في معظمها مع مدونات الحديث، "حتى جاء ابن جرير الطبري (224-310هـ) فلم شتات ما ألف من قبله، وجمعه في كتابه (جامع البيان عن تأويل القرآن)"¹.

ومن أهم المفسرين الذين ذكرتهم كتب التفسير والتراجم، نذكر مجاهد بن جبر (21-104هـ) وهو تلميذ ابن عباس، وعنه أخذ تفسير القرآن، ومن بعده سعيد بن جبير (45-95هـ) وكان أحد تلاميذ ابن عباس كذلك، ثم مقاتل بن سليمان (ت95هـ)، ويحيى بن سلام (124-200هـ) وعبد الرزاق الصنعاني (126-221هـ) وغيرهم.

5. منهجية التفسير:

قال الزركشي: "ومعلوم أن تفسيره يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض، لبلاغته، ولطف معانيه ولهذا لا يستغني عن قانون عام، يُعَوَّل في تفسيره عليه، ويُرجع في تفسيره إليه؛ من معرفة ألفاظه

¹ - اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره، سعود بن عبد الله الفنينان، دار شبيليا، الرياض، السعودية، ط1، 1418هـ/ 1997م ص40.

الباب النظريّ ----- الفصل الأوّل ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

ومركّباتها، وسياقه، وظاهره وباطنه، وغير ذلك ممّا لا يدخل تحت الوهم، ويدقّ عنه الفهم... وفي هذا تتفاوت الأذهان، وتتسابق في النظر إليه مسابقة الرّهان¹.

وكإشارة خاطفة لمناهج المفسرين، نقول: إنّ المفسرين عامة لم يخرجوا عن مناهج ثلاثة: تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسيره بسنة النبي، صلى الله عليه وسلم، قولاً وفعلًا وتقريرًا، ثم بالاجتهاد والاستنباط المبني على فهم لسان العرب. وإنّما قلتُ (ثمّ) لأنّ ثلاثتهم يتراتبون بالتراتب والتسلسل الضروري. فأوّل المراتب هو تفسير كلام الله بكلامه عزّ وجلّ، فهو أعلم بمقاصده، وهذا ما نستفيده من معرفة النّاسخ والمنسوخ، والمجمل والمفصل، والمطلق والمقيّد في القرآن، وغير ذلك من وسائل الشّرح والإيضاح.

وأما المرتبة الثانية فهي تفسيره بسنة النبي، صلى الله عليه وسلم، كلامه وفعله وتقريره، ممّا صحّ سنده، وقد كان دأبُ الصّحابة، رضوان الله عليهم، أن يرجعوا إليه في ما أشكل عليهم من فهمه، فهو أعلم منهم به؛ لأنّه تلقّاه وحيًا، وأعطى العصمة من ربّه. وأما آخر المراتب فهي الاجتهاد في الاستنباط، وهذا ما يخصّ العلماء الذين يمنعهم ورعهم من التّقوّل على الله بما لا يعلمون، وإنّما يجمعون القرائن، ويقابلون بين الحقائق والمتشابهات، معتمدين على العلوم جلّها متضافرةً، أولها علوم العربية؛ لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين.

لذا فإنّ التفسير في عهد الصّحابة والتابعين كان يعتمد الرواية، فالصّحابة يروون عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعن بعضهم، والتابعون يروون عن الصّحابة، وعن بعضهم أيضًا. ولم يكن التفسير آنذاك يُعنى بكلّ ألفاظ القرآن، وإنّما بما أشكل فقط. حتّى آخر عصر التابعين، إذ بدأ التفسير يعمّ القرآن كلّّه، ويُرتّب بحسب المصحف. وقام بذلك علماء أجلاء اعتمدوا الرواية فيه مثلما اعتمدوها في الحديث. نذكر منهم: ابن ماجة (ت 273هـ)، وابن جرير الطبريّ (ت 310هـ)، ومحمد بن إبراهيم النيسابوري (ت 319هـ)².

وبعد عصر التابعين، وظهر المذاهب الفقهية والعقيدية، والطرائق الصوفية، والعلوم التّخصّصية، انتشر التفسير بالرأي؛ فاللغويّ يهّمه الإعراب وأوجه اللفظ الإعرابية، وهذا ما ظهر

¹ - البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج1، ص15.

² - ينظر: اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره، سعود بن عبد الله الفنينان، ص47، 48.

الباب النظريّ ----- الفصل الأول ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

في تفسير الزّجاج، والواحي، وأبي حيان. ومنهم من يهتم بالأخبار والقصص؛ كالتّعليّ، والفقيه يحشو تفسيره بآراء الفقهاء والمجتهدين واختلافاتهم، فتظنّ تفسيره كتاب فقه لا تفسير، وهذا ما يظهر في تفسير القرطبي. وصاحب العلوم العقلية يملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة والمناطق كالإمام فخر الدين الرازي. والصوفي والشيعيّ والمعتزلي... لكلّ منهم تفسيره المنبثق عن فكره واعتقاده.

واختلف العلماء في حكم التّفسير بالرأي. فمنعه بعض العلماء الأوائل، وأجازته القرطبي وفتح المجال لكلّ من عنده مؤهلات الفهم والاستنباط؛ ذلك أنّ القرآن يحوي بين دفتيه آياتٍ تحت على الاعتبار والتّدبر. وتدبر القرآن يكون بفهم آياته وتأويلها، ولا يُعقل أنّ يُخاطب الله تعالى عباده بما لا طاقة لهم على فهمه وتأويله¹. وردّ القرطبيّ على الذين تعصّبوا للتّفسير بالمأثور، ونفوا ما سواه. ولا يفهم من هذا أنّه أهمل التّفسير بالمأثور، بل ورد التّفسير بالمأثور كثيرا، كما سنبينه في موضعه.

إلى أنّ جاء العصر الحديث، الذي يغلب عليه التفسير العلميّ، الذي يُعنى بالاكشافات العلمية، والظواهر الاجتماعيّة والنّفسية أكثر من عنايته بالأثر. فتفسير (الجواهر في تفسير القرآن) للطنطاوي يعدّ بحثا من بحوث النظريات والاكشافات الحديثة، وأمّا تفسير (في ظلال القرآن) لسيد قطب، فقد عظم القرآن في نفسه، ولم يفسره بالمعنى الاصطلاحيّ للتّفسير، إنّما وقف منه وهو يعيش تحت ظلاله وقفات إيمانية استرعت انتباهه، ولا سيما وهو يعيش أوضاع مجتمعه السيئة. وبعدّ تفسير (المنار) لمحمّد رشيد رضا، أقرب التّفسير في العصر الحديث للتّفسير بالمأثور².

6. مآخذ على المفسّرين:

إنّ هذه التّفسيرات، على جلاله قدرها، وفضل أصحابها، لم تتج من نقد واعتراض، فهذا الإمام الزّركشيّ يقول: "فالزّجاج، والواحي في البسيط يغلب عليهما الغريب والتّعليّ يغلب عليه القصص، والزمخشريّ علم البيان، والإمام فخر الدّين علم الكلام، وما في معناه من العلوم

¹ - ينظر: القرطبي ومنهج في التفسير، القسبي محمود زلط، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، ص186.

² - ينظر: اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره، سعود بن عبد الله الفنينان، ص48-54.

الباب النظريّ ----- الفصل الأول ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

العقلية¹. فالزجاج في (معاني القرآن) والواحي في تفسيره (اليسيط)؛ يغلب عليهما الغريب، والإمام الثعلبي صاحب تفسير (الكشف والبيان) يغلب عليه القصص والأخبار والزمخشري في كشّافه يكثر من البيان والبلاغة، والإمام فخر الدين الرّازي صاحب تفسير (مفاتيح الغيب) يغلب عليه إعمال الفكر العقلي.

وفي دراسة تأصيلية، ذكر الدكتور طاهر محمود محمد يعقوب² أهم الأخطاء التي وقع فيها بعض المفسرين، وذكر أسبابها أيضاً. فمن هذه الأخطاء نذكر أولاً: العدول عن مصادر التفسير الأصلية، وأصوله الصحيحة الثابتة؛ وسبب ذلك الاجتهاد في تفسير الآية مع وجود النصّ المفسّر لها، أو الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والأخذ عن الإسرائيليات، والاعتماد على الظنون والحكايات، أو الاعتماد على مجرد اللغة وتفضيلها على الأثر الصحيح، والاعتماد كذلك على الفروض المجازية، والتدّرع بالتمثيل والتخييل، وولوع بعضهم بالفلسفة والكلام، والاستناد إلى مجرد العقل وتفضيله على النقل الصحيح، أو الأخذ عن المبتدعة وأصحاب الأهواء.

وثاني هذه الأخطاء هو عدم الدقة في فهم نصوص الآيات ومدلولاتها؛ والسبب في ذلك عدم اتّضاح الرؤية في النّاسخ والمنسوخ، والخلل في منهج الاستدلال بالآيات، والإخلال بالأصول المأمور بها، والاعتماد على المنقول عن كتب التفسير دون الاجتهاد في التمييز بين صحيحه وسقيمه.

وثالث هذه الأخطاء هو إخضاع النصوص القرآنية للأهواء، والتعصّب والبدع؛ ومرد ذلك إلى التعصّب الديني، أو بثّ الزندقة والإلحاد في الدين، ونصرة الأهواء ونشر البدع، والإيغال في التأويل، ومنها تأويلات الصوفية خاصة، ثم دعاوى التجديد، والثورة على القديم، ثم التكلّف في التفسير العلمي، وإنشاء معانٍ ومعتقدات والتكلّف في حمل ألفاظ القرآن عليها.

ورابع هذه الأخطاء هو القصور في تطبيق بعض الشروط اللازمة للتفسير؛ ومنها: القصور في تطبيق قواعد الترجيح عند المفسرين، والإعراض عن منهج السلف الصالح في التفسير فالجهل بعلم العربية، فالابتعاد عن فهم مقاصد نزول القرآن وأهدافه الأصلية.

¹ - البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج1، ص13.

² - ينظر كتابه: أسباب الخطأ في التفسير -دراسة تأصيلية-، طاهر محمود محمد يعقوب، دار ابن الجوزي، السعودية ط1، 1425هـ.

ثالثاً: الإعراب والتفسير اللغويّ:

1. الإعراب لغة:

جاء في لسان العرب أن الإعراب هو الإبانة، وأعرّب عنه لسانه وعربّ؛ أي أبانَ وأفصحَ، وأعرّب عن الرجل: بيّن عنه، وعربّ عنه تكلم بحجّته، وإثما سُمّيَ الإعرابُ إعراباً لتبيينه وإيضاحه. وأعرّب الكلام: بيّنه. والإعراب الذي هو النحو، إنّما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ وأعرّب كلامه؛ إذا لم يلحن في الإعراب¹. ومن هنا فإنّ الإعراب يحمل معاني الإبانة والإيضاح والسّلامة والصّواب.

2. الإعراب في اصطلاح النحاة:

قال ابن جنّي حادّاً للإعراب: "هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ"². وهذا من أشهر تعاريف الإعراب، وعليه درج كثيرٌ من النحاة. إلا أنّه يؤخّذُ على هذا التعريف أنّه ربّما من العموم الذي أريد به الخصوص، ألا ترى أنّنا نقصد بالإعراب تغيير أواخر الألفاظ لا الألفاظ نفسها، وهذا بدليل قول ابن جنّي تمثيلاً لقوله: "ألا ترى أنّك إذا سمعتَ أكرمَ سعيدٍ أباهُ علمتَ برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعلَ من المفعول"³.

ودليل قولنا الإعراب للحركات لا للألفاظ، أنّ النحاة يفصلون أنواع الإعراب فيقولون: منه رفعٌ، ونصبٌ، وخفضٌ، وجزم. ونرى الكلمة الواحدة يغيّرها الإعراب من موقع إلى آخر، ومن ثم من معنى إلى آخر، بتداول الحركات عليها، لا باختلاف اللفظة نفسها. وقد انتبه الزّجاجي إلى هذا الأمر، وإن لم يشر إليه صراحةً، ذلك حين قال بأنّ "الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة، ومفعولة ومضافةً، ومضافاً إليها، ولم تكن في صورتها وأبنيتها أدلّة على هذه المعاني، بل كانت مشتركة، جُعِلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني"⁴.

¹ - ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ج1، ص588.

² - الخصائص، ابن جنّي، تح: علي النجار، المكتبة العلمية، مصر، ج1، ص35.

³ - المصدر نفسه، ج1، ص35.

⁴ - الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط3، 1399هـ 1989م، ص69.

الباب النظريّ ----- الفصل الأوّل ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

وعلى هذا الأساس حدّه ابن الأثير أنّه "تغيّر آخر الكلمة حسّاً أو حكماً بحركة أو حرف"¹. ومن مشهور قول ابن أجروم: "الإعراب هو تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً"². وهذا من أدقّ التعريفات، ولا نريد الإسهاب في هذا المجال، وإنّما قصدنا أن نذكر رأينا فيما اشتُهر من تعريف الإعراب.

وإطلاق مصطلح الإعراب في العربية يكون باعتبارات مختلفة؛ فإمّا أن يُطلق على خاصيّة تُعرّف بها العربيّة، وبعض الألسنة الأخرى، "والتي تتمثّل في تغيّر أواخر الألفاظ صوتيّاً، أو مقطعيّاً، عند خروجها من مخزونها المعجمي، ولوجها الكلام المؤلّف أقوالاً"³. فتتقسم بذلك اللغات إلى لغات إعرابية، ولغات غير إعرابية. أو يُطلق هذا اللفظ على بنية الكلمة داخل المنظومة النحوية، فيُقال، بذلك، مصطلح الإعراب مصطلح البناء، "باعتبار أنّ الأوّل هو الدالّ على الظاهرة الأصلية، والثاني على الظاهرة الطارئة"⁴. وهذه الثنائية معروفة في لغاتٍ أخرى.

وقد ينزاح بنا مصطلح الإعراب إلى اعتبار ثالث، "فيتّجه القصد فيه إلى تلك العملية المتمثّلة في بيان الوظيفة النحويّة التي يؤدّيها اللفظ المفرد داخل الجملة؛ لتفسير الحركة التي استحقّها"⁵. فيُعرّب الاسم المرفوع المتصدّر مبتدأً، والتابع له في الإفادّة خبراً، والفعل المنقضي زمنه ماضيّاً، والمستمرّ المتجدّد مضارعاً، والاسم المنصوب الدالّ على الهيئة حالاً، وهلمّ جزاً...

وقد يخرج بنا المصطلح في دلّالته، إلى فلكٍ علمٍ آخر، غير النحو، فيدلّ الإعراب، كما في دلّالته اللغويّة، على الإفصاح والإبانة عن مقاصد الكلام، فيتّصف بها المتكلّم الفصيح، فيكون مُعرباً؛ إذا بلغ المهارة اللغويّة التي سطرّها علمُ البيان، صِنُو علم النحو. وليس هذا الأمر متعلّقاً بالكلام مشافهةً فقط، بل يُطلق الإعراب، أيضاً، على من يباشر قراءة المکتوب العاري من

¹ - البديع في علم العربيّة، مجد الدّين بن الأثير، تح: فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1 1420هـ، مجلد1، ج1، ص44.

² - متن الأجرومية، محمد الصنهاجي، دار الفكر، ص3.

³ - العربية والإعراب، عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص64.

⁴ - المرجع نفسه، ص65.

⁵ - المرجع نفسه، ص65.

الحركات، وهذا اعتبار خامس، فأعرابُ المكتوب يستند إلى ما سبق من مهارات لغوية نحوية محكمة.

3. إعراب القرآن وأهميته:

إعراب القرآن العظيم هو "علمٌ يبحثُ في تخرّيج تراكيبه، على القواعد النحويّة المحرّرة"¹ أو هو ضبط كلماته، والبعد عن اللّحن في نطقها ليظهر معناها الصّحيح، وبما أنّ الإعراب هو سبيل النّطق السّليم بألفاظ القرآن، فإنّه يكتسي أهميّة بالغة في إبانة المعاني وتمييزها. وظهرت الحاجة إلى ضبط القرآن وإعرابه بعد اتّساع الفتوحات الإسلاميّة، ودخول الأعاجم الإسلام، فاختلط العرب بالعجم، وفسدت السّليقة، وشابتُ ألسنة العرب شوائب عدّة، وفشا اللّحن وانتشر.

وفي أهميّة إعراب القرآن قال العكبري: "وأول طريقٍ يُسلّكُ في الوقوف على معناه ويُتوصّلُ به إلى تبیین أغراضه ومعزاه؛ معرفة إعرابه، واشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه"². ومن هنا ظهرت التّأليف في إعراب القرآن وكثُرَتْ، وأهمّ من ألف في هذا العلم نذكر:

1. أبا زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت 207هـ) وكتابه: (معاني القرآن).
2. أبا جعفر أحمد بن محمّد النّحاس (ت 338هـ) وكتابه: (إعراب القرآن).
3. ابن خالويه (ت 370هـ) وكتابه: (إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم).
4. مكّي بن أبي طالب القيسيّ (ت 437هـ) وكتابه: (مشكل إعراب القرآن).
5. أبا البركات بن الأنباري (ت 577هـ) وكتابه: (البيان في غريب إعراب القرآن).
6. أبا البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت 616هـ) وكتابه: (التّبيان في إعراب القرآن).

ومن المعاصرين نذكر:

1. محي الدين درويش، في كتابه: (إعراب القرآن الكريم وبيانه).
2. محمّد علي طه الدّرة، في كتابه: (تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه)³.

¹ - علم إعراب القرآن تأصيل وبيان، يوسف بن خلف العيساوي، تقديم: حاتم صالح الضامن، دار الصميعي، السعودية ط 1428هـ / 2007م، ص 27.

² - التّبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، دار الكتب، 1986م، ص 1.

³ - ينظر: بحوث في أصول التّفسير ومناهجه، فهد بن عبد الرّحمن بن سليمان الرّومي، مكتبة النّوبة، ص 119.

الباب النظريّ ----- الفصل الأول ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

إذن فالعلماء كانوا تجاه إعراب القرآن العظيم على ثلاثة مذاهب؛ فمنهم من أعرب مشكله، مثل ما فعل مكّي، ومنهم من عرض لإعراب غريبه كابن الأنباري، ومنهم من أعربه كلّه كالعكبري.

إنّ أهميّة إعراب القرآن منبثقة أساساً من أهميّة العلوم ذات الصلة بالقرآن وضرورتها من أجل تحقيق الغاية الأسمى، وهي فهم كتاب الله تعالى، إذ من المعاني ما لا يتضح إلا بإعراب ألفاظها، وإنّ من المعاني كذلك ما يلعب الإعراب فيها دوراً كبيراً في تجلية الغامض منها أو الملتبس. لما كانت العلوم اللغويّة مهمّة؛ لأنها علم وسيلة لكتاب الله تعالى، فإنّ علم الإعراب هو أهم العلوم اللغوية وأوجبها على العلماء خاصة، والطلبة عامة.

فالعربية اكتسبت قداستها من صلتها بالقرآن العظيم. ولأبي منصور الثعالبي (ت 430هـ) كلام نفيس في هذا المقام؛ إذ يقول: "فإنّ من أحبّ الله أحبّ رسوله المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، ومن أحبّ النّبّي العربيّ أحبّ العرب، ومن أحبّ العرب أحبّ اللّغة العربيّة، التي بها نزل أفضل الكتب، على أفضل العجم والعرب، ومن أحبّ العربيّة عنيّ بها، وثابر عليها، وصرف همّته إليها، ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أنّ محمداً خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربيّة خير اللّغات والألسنة، والإقبال على تفهّمها من الدّيانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقّه في الدّين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد"¹.

وبيّن مكّي بن أبي طالب القيسي هذا الأمر، فيتحدث عن أهميّة معرفة الإعراب لمن يريد فهم كلام الله تعالى، يقول: "من أعظم ما يجب على طالب علوم القرآن... معرفة إعرابه، والوقوف على تصرّف حركاته، وسواكنه، ليكون بذلك سالماً من اللّحن فيه، مستعينا على إحكام اللّفظ به مطّلعاً على المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات، متفهّماً لما أراد الله -تبارك وتعالى- به من عباده، إذ بمعرفة حقائق الإعراب تُعرّف أكثر المعاني، وينجلي الإشكال، وتظهر الفوائد، ويُفهم الخطاب، وتصحّ معرفة حقيقة المراد"².

¹ - فقه اللغة وأسرار العربية، لأبي منصور الثعالبي، شرح وتقديم وفهرسة: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، لبنان، ط2، 1420هـ/ 2000م، ص29.

² - مشكل إعراب القرآن، مكّي بن أبي طالب القيسي، تح: ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق، سورية ط2، ج1، ص1، 2.

الباب النظريّ ----- الفصل الأول ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

ولأهمية الإعراب؛ فإنه أصبح علما مستقلا، له قواعده وأصوله، لا يُقدّم عليه من لا يمتلك عدّة الفهم السليم، والتّخريج الصحيح، وقد وضع بدر الدين الزّركشي (ت 794هـ) شروطا لمن يريد إعراب القرآن العظيم، نجلها على هذا النحو:

1. أن يفهم ما يريد أن يعرّبه مفردا كان أو مركّبا قبل الإعراب، لأنّه فرع المعنى، ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السّور، لأنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه. وقد قال النّحويّون: هذا تفسيرٌ معنى، وهذا تفسير إعراب، والفرق بينهما أن تفسير الإعراب لا بدّ فيه من ملاحظة الصّناعة النّحويّة، وتفسير المعنى لا يضرّ مخالفة ذلك.
2. تجنّب الأعراب المحمولة على اللّغات الشّاذّة، فإنّ القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش.
3. تجنّب اللفظ الرّائد في كتاب الله تعالى، أو التّكرار، ولا يجوز إطلاقه إلا بتأويل؛ كقولهم: الباء زائدة، ومرادهم أنّ الكلام لا يختلّ معناه بحذفها، لا أنّه لا فائدة فيه أصلا، فإنّ ذلك لا يحتمل من متكلّم، فضلا عن كلام الله تعالى.
4. تجنّب الأعراب التي هي خلاف الظاهر، والمنافية لنظم الكلام.
5. تجنّب النّقاير البعيدة والمجازات المعقّدة، ولا يُجوزّ فيه جميع ما يجوز النّحاة في شعر الشعراء الجاهليين مثلاً.
6. البحث عن الأصليّ والرّائد لمعرفة الحروف الأصليّة من الرّائدة.
7. إنّ تعارض المعنى مع الإعراب، فحينئذ يجب التمسك بالمعنى، وتأويل الإعراب¹.
وفوائد إعراب القرآن كثيرة وجليّة؛ منها: قراءة كتاب الله كما أنزل دون لحن، وكذلك بيان معاني القرآن، وتفسيره وبيان مشكله، فالمعنى فرع من الإعراب، وإنّما يعرف فضل القرآن من كثرة نظره، واتّسع علمه، وفهم مذهب العرب وافتتانها في الأساليب، وما خصّ الله سبحانه به لغتها. فكما يتوقّف الإعراب على المعنى، فإنّ المعنى أيضا يتوقّف على الإعراب، ومن ثمّ عدّ العلماء معرفة المعنى من أهمّ فوائد إعراب القرآن، وعدّوا إعراب القرآن أصلا من أصول الشّريعة².

¹ - ينظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ج1، ص302-309.

² - ينظر: علم إعراب القرآن، يوسف بن خلف العيسوي، ص75، 76.

ومن فوائد إعراب القرآن أيضا استنباط الأحكام الشرعية؛ فكثير من مسائل الحلال والحرام تتوقف عليه، فكتب التفسير، وكتب أحكام القرآن مليئة بتخريج الأحكام الشرعية على القواعد النحوية¹. كما أنّ من أهمّ فوائد إعراب القرآن تبين مواطن الإعجاز فيه، إذ نزل بلغة القوم وتحداهم أن يأتوا بمثله، وهم من هم في البلاغة والبيان.

4. التفسير اللغوي للقرآن وأهميته:

يمكن بدء اعتبار العلاقة بين إعراب القرآن والتفسير اللغوي علاقة عموم وخصوص؛ ذلك أنّ الإعراب علم من علوم اللغة، والتفسير اللغوي يحوي ضمن ما يحويه الإجراء الإعرابي. فالتفسير اللغوي هو "بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب"²، وذلك بعرض معاني ألفاظه، وتراكيب جملة على ما تسعه لغة العرب؛ لأنه نزل بلغتهم، وعلى طرائقهم في الكلام، وفي حدود طاقة استيعابهم.

ومن أهمّ أسباب ظهور التفسير اللغوي للقرآن العظيم، هو أنّ الكثير من الدّاخلين في الإسلام لم يكونوا يتكلمون العربية قبل الفتح، لذا صعب عليهم فهم كثير من ألفاظ القرآن. كما أنّ أصحاب الفرق السياسية والمذهبية كانوا يبحثون في القرآن عن نصوص تؤيد ما يرونه وبذهبون إليه من أفكار ومبادئ، لذا كانوا يتأولون النصوص بما يخدم أغراضهم، فكان لا بدّ من تفسير لغويّ صحيح لألفاظ القرآن العظيم، ومعانيه، ليعيد الأمور إلى نصابها. كما أنّ القرآن يحتوي على بعض الألفاظ التي تحتاج تفسيراً لغوياً؛ لأنه نزل بلسان عربي مبين³.

وللتفسير اللغوي أهمية مكيّة في ديننا الحنيف، فالله تعالى اختار نبيّه عربياً، وأنزل إليه كتابه بلسان عربي مبين، ولا تجوز قراءته تعبدًا بغير لغته. كما لا يمكن العدول عنها في تفسيره لأنه تُعرف معانيه من خلال معاني لغته. قال أحمد بن فارس: "إنّ علم العربية كالواجب على أهل

¹ - ينظر: علم إعراب القرآن، يوسف بن خلف العيسوي، ص 77.

² - التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1422هـ، ص38.

³ - ينظر: تفسير الصحابة، عبد الله أبو السعود بدر، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/ 2000م، ص93.

الباب النظريّ ----- الفصل الأوّل ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

العلم، لئلا يحيدوا في تأليفهم وفُتياهم عن سنن الاستواء، وكذلك الحاجة إلى علم العربيّة؛ لأنّ الإعراب هو الفارق بين المعاني¹.

وقد بيّن الإمام الشاطبي (ت720هـ) أنّ القرآن الكريم لا يُفهم إلا بمنظار اللغة العربية وسنن العرب في كلامها؛ إذ يرى بأنّ "القرآن الكريم ليس فيه من طرائق كلام العجم شيء، وكذلك السنّة، وأنّ القرآن عربيّ، والسنّة عربيّة، لا بمعنى أنّ القرآن يشتمل على ألفاظ أعجميّة في الأصل أو لا يشتمل؛ لأنّ هذا من علم النحو واللغة، بل بمعنى أنّه في ألفاظه وأساليبه عربيّ، بحيث إذا حُقّقَ هذا التحقيق سلّك في الاستنباط منه والاستدلال به مسلك كلام العرب في تقرير معانيها"².

ويقول في موضع آخر، وهو يخطئ تفسير إحدى الآيات، لأنّ تفسيرها خرج عن سنّة العرب في كلامها: "لأنّ ذلك من قبيل ما لا تعرفه العرب، والقرآن إنّما نزل بلسانها، وعلى معهودها"³. ولذلك فإنّ فهم اللغة، ومعرفة قواعدها، واحترام ما تتطلبه عند التفسير، ضروريّ ولا مناصّ عنه ولا مقيّل.

ولذا فقد شدّد العلماء على كلّ من يريد تفسير القرآن أن يكون على علم بالعربيّة، وأنكروا على من يجهلها أن يقتحم تفسير كلام الله تعالى. قال مجاهد (ت104هـ): "لا يحلُّ لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلّم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب"⁴. وقال مالك بن أنس (ت179هـ) كذلك: "لا أوتيَ برجلٍ يفسّر كتاب الله، غير عالمٍ بلغة العرب إلا جعلته نكالا"⁵.

وفي باب "ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ به نفسه" قال القرطبي: "ومن كماله أن يعرف الإعراب والغريب، فذلك مما يسهّل عليه معرفة ما يقرأ، ويزيل عنه الشكّ فيما يتلو. وقد قال أبو جعفر الطبري: سمعتُ الجرميّ يقول: أنا منذ ثلاثين سنة أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه

¹ - الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، مطبعة المؤيد، القاهرة، 1328هـ / 1910م، ص8.

² - الموافقات، لأبي إسحاق إبراهيم الشاطبي، تقديم: بكر أبو زيد، تعليق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1417هـ / 1997م، ج1، ص39.

³ - الموافقات، الشاطبي، ج1، ص59.

⁴ - البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص292.

⁵ - المصدر نفسه، ج1، ص292.

الباب النظريّ ----- الفصل الأول ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

قال محمد بن يزيد: وذلك أنّ أبا الجرمي كان صاحب حديث، فلما علّم كتاب سيبويه تفقه في الحديث، إذ كان كتاب سيبويه يُتعلّم منه النظر والتفسير¹.

ومما يؤكّد صلة النحو والإعراب واللغة بالقرآن هو نشأة هذه العلوم في رحاب القرآن، فكلّ من علم التفسير والإعراب يرتبطان ببعضهما بعض، فعلماء التفسير نراهم يضعون شروطاً ضرورية لكلّ من يريد تجشّم تفسير كتاب الله، ومن هذه الشروط معرفة الإعراب، والإحاطة بشيء من علوم العربية.

وفي المقابل فإنّ النّحاة اتخذوا من القرآن مادّة دراستهم الأولى، بل إنّ كثيراً من الباحثين يرون بأنّ النّحاة السابقين "هم الذين أبلوا أحسن البلاء في توثيق نص القرآن الكريم، بالاحتجاج للقراءات وبيان عللها ووجوهها، واختلاف قرائنها، وأنّهم [أي النّحاة] هم الذين هيأوا لعلماء التفسير الوسيلة الفعالة لفهم معانيه، والاجتهاد في أحكامه، وتفصيل آدابه. وكان ما قاموا به من أبحاث في كتبهم النّحوية... هو القبس الذي أضاء للعلماء الطريق في تفسير الكتاب العزيز، ومكّنهم من تفسيره العقلي، إذ كان التقاء التفسير اللّغوي بالأثري هو السّبب الأكبر في نشأة التفسير بالرّأي، وجرأة العلماء عليه وتوسّعهم فيه، وترسيخهم أصوله ومناهجه"². إذن؛ فالتفسير ينطلق من اللغة، كما أنّ اللغة بدأت من القرآن ومن أجله.

من أجل ذلك، فإنّ كثيراً من العلماء أولوا هذا الجانب أهميّة كبرى في تفاسيرهم. فنجد من التفسير التي سبقت القرطبي، في تطرّقها لهذا الجانب اللّغوي: تفسير ابن عباس، وتفسير مجاهد وتفسير مقاتل، وتفسير الطّبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن)، وكشاف الرّمخشري، وتفسير ابن عطية (المحرر الوجيز). وأهمّ التّفسير التي كادت تتخصّص في هذا الجانب، نذكر: معاني القرآن للفراء، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للأخفش، ومعاني القرآن وإعرابه للزّجاج ومعاني القرآن للنّحاس. فإن كانت هذه التّصانيف تُعدّ من أمّات كتب التّفسير، فإنّها نالت ما نالته لما حوت عليه من ذخائر؛ منها ما فيها من لغة العرب.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص39.

² - النّحو وكتب التفسير، إبراهيم عبد الله رفيده، الدار الجماهيرية، ليبيا، ط3، 1399هـ / 1990م، ج1، ص9.

رابعاً: الدلالة والمعنى:

أ. الدلالة:

1. لغة: الدلالة والدلالة، كلاهما واحد: مصدر الدليل¹، ودلّ من دلّل، قال ابن منظور: "والدّل قريبُ المعنى من الهدّي"²، فدله: هداً. قال ابن دريد، مفرّقاً بين الدلالة والدلالة: "الدلالة حرفة الدلال، والدلالة من الدليل، ودليلٌ بيّن الدلالة"³.

2. اصطلاحاً: جاء في (الكليات) أنّ الدليل هو المرشد إلى المطلوب، والدليل هو الهادي. ومنه سُمّي الدّخان دليلاً على النار. والدلالة كونُ الشيء يفيدُ الغيرَ علماً، إذا لم يكن في الغير مانع. والدلالة أعمُّ من الإرشاد والهداية، وما كان للإنسان اختياراً في معنى الدلالة هو بفتح الدال وما لم يكن له اختياراً في ذلك فبكرها⁴. والدلالة اللفظية الوضعية -كما يقول الشريف الجرجاني⁵- هي كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تُخيل فهم منه معناه.

وذكر الجاحظ أنّ أصناف الدلالات عامّة، اللفظية وغير اللفظية، خمسة⁶؛ أولها الدلالة اللفظية؛ أي ما دلّ عليها لفظ من الألفاظ، ثم الإشارة؛ وهي كلّ إشارةٍ تحمل معنى وتدلّ عليه، ثم دلالة العُقْد؛ وهي نوع من أنواع الحساب يكون بأصابع اليد، ثم دلالة الخط؛ وهو خطّ الكتابة ودلالة الحال؛ الحال التي يسمونها نصبةً، والنصبة هل الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف.

¹ - ينظر: العين، الفراهيدي، ج8، ص8.

² - لسان العرب، ابن منظور، ج11، ص234.

³ - جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1 1987م، ج1، ص114.

⁴ - ينظر: الكليات، لأبي البقاء الكفوي، ص439.

⁵ - ينظر: التعريفات، للشريف الجرجاني، ص175.

⁶ - ينظر: البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط7، 1418هـ/1998م، ج1، ص76.

وللدلالات أنواع عند العلماء القدماء، فمنها دلالة الإشارة، ودلالة الالتزام، ودلالة التضمن ودلالة الخط، ودلالة العقد، والدلالة العقلية، ودلالة اللفظ، ودلالة المطابقة، ودلالة النصب، والدلالة الوضعية¹.

3. أهمية دراسة دلالة الألفاظ:

يتفق علماء اللغة أنّ الألفاظ أصوات دالة على معانيها، أو مدلولاتها، أو كما قال أرسطو: "إنّ ما يخرج بالصوت دالّ على الآثار التي في النفس"². وقد شرح ابن رشد هذه العبارة قائلاً: "إنّ الألفاظ التي يُنطقُ بها دالةٌ أولاً على المعاني التي في النفس"³.

ويوضّح في موضع آخر، كذلك أنّ مهمة الألفاظ الإشارة إلى شيءٍ ما، والعلامة عليه، إذ يقول: "بل إنما تدلّ على الشيء المشار إليه"⁴. ومن هنا فإنّه أثبتت للألفاظ ضرورة الإشارة الدلالية للمعاني والأشياء والموجودات.

فبعدما انتبه الفلاسفة والمناطق الأوائل إلى وظيفة الألفاظ الدلالية، نحا اللغويون العرب منحى دراسة دلالات الألفاظ في معاجمهم وكتبهم اللغوية والنحوية، إذ كانت أولى تمظهرات الدراسات الدلالية عند العرب تلك الرسائل المصنّفة بحسب الموضوعات والحقول الدلالية؛ كرسائل الإبل والخيل والمطر والنبات والشجر وغيرها. وبعدها ظهرت المعاجم؛ فمنها ما رتّب بحسب المعاني؛ نحو: الألفاظ الكتابية للهمداني، وغريب اللغة للأنباري، وفقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي، والمخصص لابن سيده. ومنها ما رتّب بحسب الألفاظ؛ كمعجم العين للفراهيدي، وتهذيب اللغة للأزهري، وجمهرة اللغة لابن دريد...

¹ - ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1407هـ/ 1987م ج3، ص7.

² - كتاب العبارة لأرسطو، نقلاً من: الفلسفة واللغة: نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، الزواوي بغورة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص19.

³ - تلخيص كتاب أرسطو طاليس في العبارة، ابن رشد، تح: محمد سليم سالم، مطبعة دار الكتب، 1978م، ص12.

⁴ - نص تلخيص منطق أرسطو (المجلد الثالث: كتاب العبارة)، ابن رشد، تح: جبرار جهامي، دار الفكر اللبناني، بيروت لبنان، ط1، 1992م، ص72.

الباب النظريّ ----- الفصل الأول ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

ومن أهمّ مظاهر تطور الدراسات الدلالية عند العرب، ظهور الدراسات حول المترادفات والمتضادات، والمعرّب والدّخيل، إلى أن تعمّقت دراسة دلالة الألفاظ، حتّى دلالة الصّوت، وهذا عند ابن جنّي بصورة واضحة خاصة؛ فقد بسط القول في مناسبة بعض الأصوات وما تدلّ عليه. وكذلك دلالة بعض الأبنية على معانٍ معينة.

فمن الدلالة الصوتية قولهم: حلا الشيء حلاوةً، فإذا أرادوا إلى التّكثير والمبالغة قالوا: إخلوّى الشيء إخليلاءً، فهي ألين الحروف نطقاً وأيسرها، وتحمل من معاني اللذة والعذوبة ما تعنيه هذه الكلمة من دلالة. في المقابل نجد لفظة اخشوشن، فالخاء والشين من أخشن الحروف وأفظّها نطقاً في العربية¹. وأمّا دلالة الأبنية في العربية فهي أكثر وضوحاً، ومنها بناء (افعلّل) وهو يدلّ على وقوع شيء على شيء فيغيّر حاله من شأن إلى شأن آخر، فهو معنى مركّب ليتلاءم مع ازدواجية دلالاته التي تمتدّ على طرفين. وذلك مثل قولهم اطمأنّ، فهو إنّما جاء ليدلّ على تخلّص النّفس من حال القلق والانزعاج، إلى حال السّكون². وهذا ما أعده اللغويون العرب من خصائص العربية وفرائدها.

ومن هنا، فإنّ أهميّة دراسة الألفاظ تكتسي أهميّة تواصلية أوّل الأمر، فالإنسان وهو يعيش وسط مجتمع، يحتاج إلى التواصل بهذه الألفاظ، وإنّ ما ينقل الأغراض والمعاني التي في النفس من شخص لآخر هو هذه الألفاظ، التي هي قوالب حاملة للمعاني، وكلّ لفظ دالّ على معنى في النّفس. "فدلالة الكلمة أهميّة خاصة في حياة الإنسان الاجتماعية والنفسية، فهي تُسهّم في ترقية فكره وتطويره، لذلك يُفترض أن يعرفها الإنسان معرفة تامّة حتى يستطيع التّواصل مع أفراد المجتمع، ويتمكّن من التّعبير عمّا يريد، ويدرك ما يسمع"³. وهذا ما قصدنا إليه آنفاً.

ولأهميّة دراسة دلالة الألفاظ، فقد سبق العرب إلى البحث في هذا الشأن منذ النصف الثاني من القرن الهجري الأوّل. ويرى بعض من الباحثين المحدثين أنّ العرب "أوّل من وضع أسس علم الدلالة، وفُضّل سبّهم يعدّ حقيقة تاريخيّة ثابتة، والتأليف الذي ظهر بعد ذلك الزّمان، لا يعدو أن

¹ - للتفصيل ينظر: نظرية اللغة العربية: تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها، عبد الملك مرتاض، دار البصائر، الجزائر 2012، ص 92-97.

² - المرجع نفسه، ص 168.

³ - عوامل التطور اللغوي، أحمد حماد عبد الرحمن، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط9، 1983م، ص 151.

يكون شرحاً، أو تعليقا، أو تحقيقاً، أو تصويبا"¹. وإن كانوا أول الأمر لم يُفردوا لهذا المصطلح رسالة ولا سفرًا. فإنه اليوم علم قائم بذاته؛ كعلم النحو وعلم البلاغة وعلم المعاجم وهلم جرا...

4. أهمية دراسة التطور الدلالي:

من خصائص اللغات عامّة، والعربيّة خاصّة، ما يمسّ مفرداتها وألفاظها من تغيّرات على صعيد الدلالة، فقد تضيق دلالة بعض الألفاظ بعد أن كانت متّسعة، وتتّسع أخرى، أو تتخصّص دلالات بعد أن كانت عامّة، أو العكس. وقد تظهر دلالات جديدة على أنقاض دلالات أخرى قضت. وهذا التّغيير سنّة كونيّة إنسانيّة، فالألفاظ تشبه البشر، فهي تولد، وتعيش، ثمّ تموت، ولكنّ حياتها أكثر تفاوتًا من حياة البشر؛ ذلك أنّنا نجد كلماتٍ عاشت سنينا طويلا، وألفاظًا ماتت في مهدها"². إذن فالألفاظ مثل الإنسان تمتاز بميزة النّمو والتّكاثر والتّوالد.

فبتجّد الحضارات الإنسانيّة، وظهور مدن جديدة، ومخترعات، واختفاء مدن، وتغيّرات الطبيعة، كلّ هذه العوامل وغيرها هي السّبب في التّغير الدلالي الذي يطرأ على الكلمات والألفاظ فاللغة تواكب التطور الإنساني والحضاري؛ لأنّ الإنسان يحتاجها للتّواصل مع الطبيعة والمجتمع وأخيه الإنسان، فللغة جانبان: جانب ثابت، وآخر متغيّر.

فالنّظام الصّوتي يستقرّ منذ الطّفولة ويستمرّ طول الحياة، وأمّا النّظام الصّرفي فهو ثابت أيضا، واستقراره يتطلّب وقتًا أطول، وبعد أن يستقرّ لا يعتريه تغيّير يُذكر، أمّا المفردات فعلى العكس من ذلك، لا تستقرّ على حال؛ لأنّها تتبع الظروف³. ولهذا فالمفردات تتغيّر بتغير الوسط الذي يعيشه المتكلّم بها.

وكان اللّغويين العرب على دراية بما طرأ من تغيّير على العربيّة، وأهمّ انعطاف دلالي عرفته العربيّة كان بمجيء الإسلام، وتغيّر العديد من المفاهيم، وظهور معاني وكلمات جديدة، أو ظهور معاني جديدة لبّست بالألفاظ قديمة، وقد أشار ابن فارس إلى ذلك قائلا: "كانت العرب في

¹ - علم الدلالة بين القديم والحديث، أحمد عزوز، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، الجزائر، 2008، ص67.

² - المرجع نفسه، ص111.

³ - ينظر: اللغة، قنّديس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، مصر، 1950م، ص246.

الباب النظريّ ----- الفصل الأول ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله، جلّ ثناؤه بالإسلام، حالت¹ أحوالاً، ونُسِخت دِياناتُ، ونُقِلت من اللّغة ألفاظٌ من مواضع إلى مواضع أُخر بزياداتٍ زيدت، وشرائعٍ شُرعت... فصار الذي نشأ عليه آباؤهم ونشأوا عليه كأن لم يكن. وحتى تكلموا في دقائق الفقه، وغوامض أبواب المواريث، وغيرها من علم الشريعة وتأويل الوحي².

إلى أن يقول في موضع آخر: "فكان ممّا جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق"³. ويغدو ابن فارس في شرح ما كانت تعرف العرب من لفظة المسلم والكافر وغيرها من قبل، وما أصبحت تعرفه بعد الإسلام؛ فالكفر كان السّتر، والصّلاة كانت في لغتهم الدّعاء والصّيام كان عندهم الإمساك، وغيرها من المفردات الأخرى التي تغيّرت دلالاتها؛ كالحجّ والزّكاة والعمرة والجهاد...

ومن هنا صار لهذه الألفاظ دلالتان، كما يقول ابن فارس: "فالوجه في هذا إذا سئل الإنسان عنه أن يقول في الصلاة اسمان: لغويٌّ وشرعيٌّ، ويذكر ما كانت العرب تعرفه، ثمّ ما جاء الإسلام به، وهو قياس ما تركنا ذكره من سائر العلوم؛ كالنحو والعروض والشعر، كلّ ذلك له اسمان: لغويٌّ وصناعيٌّ"⁴.

أي أنّ العلوم المستجدّة ظهرت معها مصطلحاتها الجديدة، فأليست دلالاتها لألفاظ قديمة فصار البيت يطلق على المقطع من القصيدة، وبه شطران. والفاعل في النحو والتجريد والزيادة في التصريف، وغيرها من الألفاظ ذات الدلالات الجديدة التي صار لها معنيان: معنى لغوي، هو الأصل الأول، ومعنى صناعي، هو الطارئ المستجد.

وتكمن في الزّاهن أهميّة دراسة تطوّر الدلالات والمعاني في معرفة صادقة عن مجتمع إنسانيّ ما، فنذكر تدرّج أفكاره، ومراحل نموّه وتطوّره فكرياً وعلمياً وثقافياً، وبذلك ظهرت علوم دلاليةٌ لسانيةٌ تقوم بمهمّة سبر أغوار هذا الجانب المهمّ من تاريخ اللغات البشرية.

¹ - حالت: تغيّرت.

² - الصّاحبي، ابن فارس، ص44.

³ - المصدر نفسه، ص45.

⁴ - المصدر نفسه، ص47.

الباب النظريّ ----- الفصل الأول ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

وبعدّ تفسير القرطبي، من بين التفسيرات المهمّة، التي حازت على اهتمام اللغويين والباحثين في اللغة، لما فيه من جوانب لغوية ودلالية مهمّة؛ ذلك أنّ "الباحث اللغوي يجد نفسه مأخوذاً بهذا الانشغال الدقيق بقضايا النحو، وما يتصل بها من مباحث وتحقيقات، تشكّل سمة بارزة من سمات المنهج التفسيري عند القرطبيّ، فيجد نفسه منساقاً للتوغّل معه في البحث عن خفايا المعاني ودقائق الإعراب"¹.

ويظهر جلياً اعتناء القرطبيّ بالمبحث اللغوي عامّة، والدلاليّ خاصّة. فإنّنا رأينا كثيراً ما يعتني بدلالة اللفظة، ولا يكتفي بمعناها الزاهن، داخل السياق القرآني. بل كان يذكر ما مرّت به هذه اللفظة من تطوّر دلاليّ، وما تعاقبت عليه من دلالات ومعاني، وصلت به إلى المعنى الزاهن. ومثال ذلك ما ذكره في لفظة (الصلاة)، فذكر أنّ معناها الدّعاء، وأنّها مأخوذة من (الصّلا) وهو عرق في وسط الظّهر، ومعناها اللّزوم؛ كقولنا: صليّ بالنّار: إذا لزمها. ومن معانيها أيضاً: التقويم والرّحمة، والعبادة، والنّافلة، والتسبيح، والقراءة². وذكر مثل ذلك في لفظة: الصوم، الزكاة، الحج الكفر، الظلم... وغيرها من المعاني، وألفاظ أخرى، كان كذلك لا يقف عندها وقوف الذاكر فقط بل كان يسهب في ذكر دلالاتها ومعانيها.

وما يميّز، أيضاً، القرطبيّ، استقصاؤه الواسع، وتحريه عن دلالات الألفاظ، وتوسّعه في الاستشهاد بأشعار العرب وأخبارها وكلامها. ولا يكتفي بشاهد أو شاهدين فقط، بل يُكثر في بعض المواضع. فقد ذكر في تفسير لفظة (التّيمم) وحدها سبعة شواهد من الشّعْر. وشمل استقصاؤه المفردات المعربة أيضاً، وكذا المشترك اللفظي والأضداد³.

¹ - دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، صاحب أبو جناح، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 1419هـ/ 1998م ص337.

² - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص258-261.

³ - دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، صاحب أبو جناح، ص345، 346.

ب. المعنى:

1. **المعنى لغة:** معنى كلّ شيء مَحْنَتُهُ وحالُه التي يصير إليها أمرُه، وجاء بأنّ المعنى والتفسير والتأويل واحد، وَعَنِيْتُ بالقول كذا: أردتُ، ومعنى كلّ كلام: مَقْصِدُهُ، واسمه: العَنَاءُ، ويُقالُ: عرفتُ ذلك في معنى كلامه، ومعناه كلامه، وفي مَعْنَى كلامه. وعنوان الكتاب مشتقّ من المعنى، وتقول: عنونتُ الكتابَ، وَعَنَيْتُ وَعَنْنْتُ. ويقال: عُنوان وعنوان. ورُويَ أيضا: العُنْيَان¹. قال ابن فارس: "فإنّ المعنى هو القصد والمراد، يقال: عنيتُ بالكلام كذا؛ أي: قصدتُ وعمَدْتُ... وقال قومٌ: اشتقاق المعنى من الظاهر"². وهو يرى كذلك أنّ كلاً من المعنى والتفسير والتأويل متقاربة فيما بينها من حيث المقصد، وهي في باب معاني ألفاظ العبارات التي يُعبّر بها عن الأشياء.

2. **المعنى اصطلاحاً:** المعاني هي الصورة الذهنية التي تقابل الألفاظ والصور المتمثلة في العقل فحين قابلت الألفاظ سمّيت بالمعاني، وحين دلّت عمّا في العقول سمّيت مفهوماً، وحين تكون في جواب (ما هو) سمّيت بالماهية، وحين تقابل ما يوجد في الواقع تسمى حقيقة، وحين تتميز عن غيرها فتسمى هُوية³، وكلّها مرادفات للمعنى. والمعنى إما أن يكون معجمياً وهو الذي تدلّ عليه الكلمات في حالتها الإفرادية، وإما أن يكون معنى وظيفياً، يتّضح من خلال موقع المفردة من الجملة، وإما أن يكون معنى دلالياً، يحتاج إلى قرائن مقالية، أو سياقية، تتضافر من أجل إيضاحه.

ت. المعنى والدلالة:

ظلّ المعنى والدلالة العائق الأكبر الذي واجه مسيرة الدّراسات اللّسانية؛ إذ تعدّ البنية التّحوية والبنية الصرفية أكثر البنى استقراراً، وأكثر إدعاءاً لسلطة المعيار. والبنية الصّوتية وسَطٌ بين الثّبات والتّحوّل. إلّا أنّ البنية الدّلالية أشدّ تغيّراً وسيولةً مع الزّمن، وأقلّ انصياعاً لسلطة

¹ - ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج15، ص106.

² - الصاحبى في فقه اللغة، ابن فارس، ص163.

³ - ينظر: التعريفات، للشريف الجرجاني، ص347.

الباب النظريّ ----- الفصل الأول ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

المعيار. "وما انفكت جهود اللسانيين تتوالى لتطويق المعنى، وتأسيس معرفة صارمة يوثق بها في أمره"¹.

وعلاقة المعنى بالدلالة هي علاقة احتواء، فثنائية اللفظ والمعنى، ثنائية منطقية، ولها علاقة وطيدة بالمعاجم اللفظية، التي تضع لكل لفظ معناه الأصلي. وأمّا الدلالة فهي البحث في المعنى وليس البحث عن المعنى. فعالم الدلالة لا يبدأ عمله إلا بعد معرفة المعنى وما هي الآليات التي سمحت بتحقيق الدلالة على الوجه الذي كان يُراد أن تتحقق عليه².

والبحث الدلالي يستغرق في عموميه وشموليته المستويات اللسانية الأخرى، فإذا مثّلنا العلاقة بين الدلالة والمستوى التركيبي النحوي، فإنّ "البحث في بناء الجملة هو بحث في علاقة النظم بالسياق، وهو بالتالي رَبطٌ وثيقٌ بين علاقة الألفاظ ومردودها الدلالي، وهذا ما يجسّمه مفهوم الوظيفة النحويّة"³. فالألفاظ وهي تتراتب في مواضعها، فإنّها تأخذ وظيفتها الدلالية من حيث رتبها وموضعها وحكمها الإعرابي.

خامسا: المعنى والإعراب في القرآن العظيم:

الوصول إلى المعنى هو غاية ومقصد كلّ دراسة لغوية. من هنا اكتسب المعنى أهميته عند العلماء عامّة، فاتّجهت الكثير من دراساتهم نحوه، واهتمّت مختلف النظريات اللغوية بدراسة المعنى، على اختلاف مناهجها وتصوّراتها، وطرائق تناولها المعنى ودراسته، ومنها: النظرية الإشارية مع (فرديناند دي سوسير)، والنظرية التصورية العقلية لصاحبها الفيلسوف الإنجليزي (جون لوك)، ثمّ النظرية السلوكية الشرطية للعالم اللغوي الأمريكي (يلوفيلد)، وكذا نظرية الحقول الدلالية لكلّ من (هردر) و(هومبلدت)، ثمّ النظرية التوليدية مع (تشومسكي) والنظرية التحليلية مع (كاتز) و(فودر)... وغيرها من النظريات اللغوية والفكرية التي حاولت دراسة المعنى.

¹ - العربية والإعراب، عبد السلام المسدي، ص33.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص34.

³ - المرجع نفسه، ص35.

الباب النظريّ ----- الفصل الأول ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

وما يعنينا في هذا المقام هو المعنى القرآني، وهل تستطيع اللغة الوصول إليه؟ وهل المعاني الإعرابية نستطيع من خلالها الوقوف على معاني القرآن الجليّة؟ ما نعرفه أنّ العلاقة بين الإعراب والمعنى علاقة معروفة وواضحة، أبرزها العلماء قديما وحديثا، وإنّ الإعراب في أصله لا ينفكّ عن المعنى؛ كونه "يوضّح المعنى، ويبين الغرض، ويشير إلى البلاغة، ويؤمّي إلى جمال التركيب، وحسن الصياغة"¹.

ولذا فإنّ جلّ المفسّرين كانوا يربطون بين الإعراب والمعنى، فإنّ التّبسّ الإعرابُ بهم حكّموا المعنى، وإنّ التّبس عليهم المعنى رجعوا إلى الإعراب. وفي هذا يقول الطاهر بن عاشور: "الإعراب يبيّن معاني الكلمات ومواقعها"²، ويبين أيضا أنّ الإعراب يحكم على صحّة فصاحة الكلام، "وهل يجيء أفصح كلامٍ إلا على أفصح إعراب"³. وقال ابن فارس: "فأمّا الإعراب فبه تميّز المعاني، ويؤقّف على أغراض المتكلّمين"⁴. وكثيرا ما أشار علماء التفسير ومنهم إمامنا القرطبي إلى ذلك في عبارات من مثل قولهم: "وهو موضع إشكالٍ والإعرابُ بيّنه"⁵. ولذلك فإنّ العبارة المشهورة "الإعراب فرع المعنى" صحيحة إلى حد بعيد، في نظر القرطبي.

وإذا أردنا التّفصيل قليلا في جدليّة العلاقة بين الإعراب والمعنى، وطرحنا الإشكال الآتي: هل نسلم بقول العرب: الإعراب فرع المعنى؟ أم أنّه يمكن القول أيضا: المعنى فرع الإعراب؟ أي: أنّ العرب الأوائل كانوا يعربون الألفاظ بحسب ما يقصده المتكلّم، فهل إذا غيّرنا الإعراب يتغيّر المعنى؟ المنطق الرياضيّ يقول: عكس المعادلة يستدعي عكس النتيجة، أي أنّ المُحصّل المنطقيّ من العبارة يعني أنّ المعنى يتغيّر إذا تغيّر الإعراب.

¹ - المعنى والإعراب عند النّحويين ونظرية العامل، عبد العزيز عبده أبو عبد الله، منشورات الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس، ليبيا، ط1، 1391هـ/ 1982م، ج2 ص530.

² - تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدّار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج8، القسم1، ص2.

³ - المصدر نفسه، ج12، ص185.

⁴ - الصاحبى، ابن فارس، ص161.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمّنه من السّنة وآي الفرقان، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي نح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ/ 2006م، ج8، ص414.

الباب النظريّ ----- الفصل الأول ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

وأقول: نعم، إنّ الإعراب يولدُ أصلاً من المعنى الذي في ذهن المتكلم، وهو في المقابل إذا غيرنا الإعراب، يتغيّر المعنى بالموازاة مع ذلك. "قلو كان أحدنا المتكلم، وسمع عدداً من النّحاة يختلفون في توجيه جملته، بحسب اختلافهم في إعراب كلمة فيها ... لوجدَ لزاماً عليه أن يقول في كلّ مرّة: كلاً، ليس هذا ما عنيْتُ"¹. وهنا تتفاقم الجدليّة بين المعنى والإعراب، وتتعمّد.

وتزيدُ خطورة القضية إذا توجّهنا بها إلى النّصّ القرآنيّ المقدّس. ونحن نرى النّحاة يختلفون في إعراب الكلمة الواحدة طرائقَ قِدداً. فهل نسلمُ باختلاف معنى الآية الواحدة إذا اختلف إعرابها؟ وكيف نعتقُ ذلك شرعاً، ونطبّقه حكماً؟ إنّ المنطق العلميّ يفرض علينا أن نسلمَ أنّ الآيات القرآنية جاءت لإيصال معنى واحد مقصود؛ لذا فإنّنا نرى أنّ المعنى هو الأصل المُتَّبَع، والإعراب هو الفرع المُتَّبَع، ولا يتأتّى الإعراب إلاّ بعد فهم المعنى، "فالإعرابُ هو إبانةٌ عن إبانة"².

ثمّ إنّ المعنى الذي يُستنبطُ منه الإعرابُ، ليس هو المعنى الوظيفي فقط؛ أي أن تكثفي بالإحاطة علماً بوظيفة الكلمة في الجملة فقط. بل يتحقّق الإعراب بأنّ نضيف إليه المعنى المعجميّ أحياناً. "وذلك حينما يكون من الصّعب الوصول إلى الإعراب بالاعتماد على المعنى الوظيفي وحده، بل يكون من المحتمّ لأجل ذلك اللّجوء إلى المعنى المعجميّ"³.

وذكروا لذلك أمثلةً؛ منها: أنّه جاء عن ابن هشام قوله: "وسألني أبو حيّان ... علامَ عطف (بحقّلد) من قول زهير⁴:

تَقِيّ نَقِيٍّ لَمْ يُكْثَرْ غَنِيمَةً بِنَهْكَةٍ ذِي قُرْبَى وَلَا بِحَقْلَدٍ⁵

¹ - المسافة بين التّنظير النّحوي والتّطبيق اللّغويّ، خليل أحمد عاميرة، دار وائل، عمان، الأردن، ط1، 2004م ص185.

² - المرجع نفسه، ص219.

³ - الشكل والدلالة دراسة نحوية للفظ والمعنى، عبد السلام السيد حامد، دار غريب، القاهرة، مصر، ص63.

⁴ - ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1426هـ/ 2005م ص25.

⁵ - أي: لم يُكْثَرْ مالهُ بظلم غيره، وإنّما يأخذ الرّبع من الغنيمة، دون أن يخوّف فيه، أو يظلم من عاذ به، واطمأنّ إليه. والحقّلد: البخيلُ السيّءُ الخُلُقُ، وكأنّه توهم أنّ المعنى ليس بِمُكْثَرٍ غنيمة، فعطف عليه قوله: بحقّلد، بناءً على توهم جرّ خبر ليس بالباء الزّائدة. وفهم ابن هشام هذا التّقدير من النّقي (لم) في قوله: "لم يُكْثَرْ". ينظر: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تح: عبد اللطيف محمد الخطيب، السلسلة التراثية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ط1، 1423هـ/ 2002م، ج6، ص9.

الباب النظريّ ----- الفصل الأول ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

فقلتُ: حتّى أعرف ما الحقلّد. فنظّرناه، فإذا هو السيءُ الخلقُ، فقلتُ: هو معطوفٌ على شيءٍ متّوهمٍ؛ إذ المعنى: ليس بمكثّرٍ غنيمةً. فاستعظمَ ذلك¹. وهذا مثال واضح يدلّ على أهميّة معرفة المعنى المعجميّ أحياناً.

سادساً: أثر الإعراب في المعنى:

ليس هذا مقام الحديث المطول عن أهميّة الإعراب، وأثره في المعنى لكن لصلته بالموضوع؛ فإننا نقول اختصاراً: إنّ قضية الإعراب وأثره في المعنى، شكّلت مسألة عويصة في الدرس اللغوي القديم والحديث، حتّى رأينا من ينكر أثر الإعراب في المعنى، ويقصّر دوره على الشكل لا غير، فمنهم قطرب قديماً، وإبراهيم أنيس حديثاً، وغيرهما من بعض المستشرقين.

ولا يخفى عن منصفٍ ما في هذا الرأى من إجحافٍ وشطط، فإنّ العرب اللّغويين ما سمّوا الإعراب إعراباً، إلّا لأنّ معناه عندهم: الإبانة والتوضيح والإفصاح². ثمّ إنّ الإعراب -المتّمل في تلك المدود الصّوتيّة القصيرة في أواخر الكلم، التي من مهامّها تحديد وظائف الكلم داخل الجمل- لا يمكن الاستغناء عنها داخل النّصّ، أو خلال الكلام. وقد أوضح دارسو الدّلالة حديثاً أهميّة العلامة الإعرابية في أداء الدّلالة؛ لأنّ "العلامة الإعرابية قرينة مهمّة من القرائن التي تعين على تحديد المعنى الوظيفي للكلمة في الجملة"³.

فإنّك إنّ أخبرتَ بقولك: (قَتَلَ زَيْدٌ عَمْرًا) لن يعرف السّامعُ القاتلَ من المقتولِ، إلّا من خلال ما تؤدّيه هذه الحركاتُ الإعرابيّةُ التّوضيحيّة من إبانة. ولن نعرف إنّ قلنا: (أَجْلَسَ مُوسَى عِيسَى) الجالسَ منهما، إلّا بعد إيجاب التّقديم للفاعل منهما وتقدير الضّمّ له، وتأخير المفعول به وتقدير الفتح له. أو قال قائل: ما أحسن السّماء؛ دون إعراب، لفهم أحد السّامعين التّعجبَ (ما أحسن السّماء) وفهم الآخر الاستفهام (ما أحسن السّماء؟) ولا يتبيّن كلّ هذا الذي سبق وغيره، إلّا بالإعراب.

¹ - ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، ج6، ص8، 9.

² - ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج1، ص588.

³ - الشكل والدلالة دراسة نحوية للفظ والمعنى، عبد السلام السيد حامد، ص61.

ونسوق لذلك مثالا آخر أكثر وضوحا؛ فقد ذكر ابن قتيبة خصائص العرب التي يتفاخرون بها، وذكر منها الإعراب، الذي جعله مظهرا من مظاهر الجمال والإبانة. يقول عن العرب: "ولها الإعراب، الذي جعله الله وشيئا لكلامها، وحليةً لنظامها، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين، كالفاعل والمفعول، لا يُفَرَّقُ بينهما إذا تساوت حالتهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا بالإعراب. ولو أن قائلًا قال: (هذا قاتلٌ أخي) بالتثوين، وقال آخر: (هذا قاتلٌ أخي) بالإضافة؛ لدلّ التثوين على أنه لم يقتله، ودلّ حذف التثوين على أنه قد قتلته"¹. وهذا الذي كنّا ندندنُ حوله.

ويوضح ذلك ابن فارس بقوله: "من العلوم الجليّة التي خُصَّتْ بها العرب؛ الإعراب، الذي هو الفارق بين المعاني في اللفظ، وبه يُعرَفُ الخبرُ الذي هو أصل الكلام، ولولاه لما مُيزَ فاعلٌ من مفعول، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجّبٌ من استفهام، ولا صدرٌ من مصدر، ولا نعتٌ من تأكيد"².

أما الذين يرون أن الإعراب لا علاقة له بالمعنى، فنذكر منهم رأيَ قطرب؛ إذ يرى أنه لم يُعَرَّبِ الكلامُ للدلالة على المعاني، وحبَّته أن في الكلام ما يتَّفَقُ في الإعراب ويختلف في المعنى وفيه ما يختلف في الإعراب ويتَّفَقُ في المعنى، "فما اتَّفَقَ إعرابه واختلف معناه قولك: "إنَّ زيدًا أخوك، ولعلَّ زيدًا أخوك. اتَّفَقَ إعرابه واختلف معناه، ومما اختلف إعرابه واتَّفَقَ معناه، قولك: "ما زيدٌ قائمًا، وما زيدٌ قائمٌ. اختلف إعرابه واتَّفَقَ معناه"³. ويرى أن سبب الإعراب، صوتيٌّ بحت؛ أي أن الاسم في حالة الوقف يلزمه السكون، لكن حين الوصل يُحرَّكُ؛ لأنَّ النقاء الساكنين جعلهم يبطئون في الكلام، فمنعوا النقاء الساكنين، كما منعوا اجتماع أربعة متحرّكات؛ "لأنَّهم في اجتماع الساكنين يبطئون، وفي كثرة الحروف المتحرّكة يستعجلون، وتذهب المهلة في كلامهم"⁴.

وتبعه في رأيه إبراهيم أنيس، ووافقه تمام الموافقة؛ إذ يرى "أنَّ تحريك أواخر الكلم كان صفةً من صفات الوصل في الكلام شعراً أو نثراً، فإذا وقف المتكلّم أو اختتم جملةً لم يحتج إلى تلك

¹ - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، شرحه: أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، مصر، ط2، 1973م، ص14.

² - الصاحبى، ابن فارس، ص42.

³ - الإيضاح في علل النحو، الرّجّاجي، ص70.

⁴ - المصدر نفسه، ص71.

الحركات، بل يقف على آخر كلمة من قوله بما يُسمّى السّكون¹. ويرى أنّ الأصل في كلّ الكلمات أن تنتهي بالسّكون، ولا يلجأ المتكلّم إلى الحركات إلّا لضرورة صوتيّة يتطلّبها الوصل². ويمكن الرّدّ على هذا الرّأي بقولنا: لو كان الإعراب للوصل لا للمعنى، لجاز للمتكلّم وهو يصلّ الكلام، أن يرفع ما شاء، وينصب ويجرّ. ولوقّع الخلط في العربيّة؛ فأيّ حركة يأتي بها المتكلّم تُجيزُ له الوصل. وكيف نفسّر قول العرب في موضع: (مَرَّ الرَّجُلَانِ، ورأيتُ الرَّجُلَيْنِ ومررتُ بالرَّجُلَيْنِ)، بل كيف نفسّر ذلك "وقد في القرآن الكريم نسيج مثله، والقراءة القرآنية وصلتنا بالتواتر؛ من ذلك ورود بعض الكلمات معربة بالحركات الطّوال؛ مثل: المؤمنون والمؤمنين، ورسولا وشهيدًا وبصيرًا. فكلّ هذه وردت بأشكال متنوّعة، حسب الموقف الذي يفرضه عليها موقعها من الجملة"³. وهذا أمر لا يُماري فيه ذو قَدَم راسخة في علم العربيّة.

وأما ما ذكّره في باب ما اتّفق إعرابه واختلف معناه، وعكس ذلك؛ فيردّ الرّجّاجي عليه قائلاً: "إنّما كان أصل دخول الإعراب في الأسماء التي تُذكرُ بعد الأفعال؛ لأنّه يُذكرُ بعدها اسمان أحدهما فاعل والآخر مفعول، فمعناهما مختلف، فوجب الفرق بينهما، ثمّ جُعِلَ سائر الكلام على ذلك"⁴. أي أنّ الإعراب وُضِعَ لِيُفَرّق بين المعاني التي التّبَسَ معناها، وحتّى تطرّد القاعدة، عُمِّم الأمر على ما لا يلتبسُ معناه، وهذه سنّة جارية في العلوم، وإلا فلا يُعقلُ إحكام الإعراب في بعض الكلام، والغاؤه في باقيه.

إنّ القولَ بدلالة الإعراب على المعنى وأثره فيه هو قولُ جمهور العلماء، وحسبُ ذلك حجة. فقد أجمع علماء العربيّة على أهميّة الإعراب في أداء المعاني وإيضاحها. فهذا ابن جنّي يقول، معرّفًا الإعراب: "هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ"⁵. وقد قال ابن مالك، في شرحه الكافية الشّافية:

¹ - من أسرار العربيّة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط6، 1978م، ص220.

² - ينظر: الإعراب وأثره في المعنى، فضل الله النور علي، مجلّة العلوم الإنسانيّة والاقتصاديّة، جامعة السّودان للعلوم والتكنولوجيا، العدد1، يوليو، 2012م، ص30، 31.

³ - الدّلالة الصّوتيّة في اللّغة العربيّة، صالح سليم الفاخري، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر ص186.

⁴ - الإيضاح في علل النّحو، الرّجّاجي، ص71.

⁵ - الخصائص، ابن جنّي، ج1، ص35.

وَبَعْدُ: فَالنَّحْوُ صَلاَحُ الْأَلْسِنَةِ وَالنَّفْسُ إِنْ تُعَدَّ سَنَاهُ فِي سِنِّهِ
بِهِ انْكِشَافُ حُجُبِ الْمَعَانِي وَجَلْوَةُ الْمَفْهُومِ ذَا إِدْعَانٍ¹

فابن مالك، هنا، يؤكد ما ذهبنا إليه من قبل، من أنّ وظيفة النحو والإعراب إيضاح المعاني وتجليتها. ويقول محمد عبد اللطيف حماسة، معلقاً على قول ابن مالك (به انكشاف حجب المعاني وجلوة المفهوم): "وهذه هي الغاية الحقيقية للنحو"².

ومما أثير عن الأوائل قولهم: (النحو في الكلام؛ كالملاح في الطّعام) وقال عبد القاهر الجرجاني، معلقاً على هذه العبارة: "إذ المعنى أنّ الكلام لا يستقيم، ولا تحصل منفعه، التي هي الدلالات على المقاصد، إلا بمراعاة أحكام النحو فيه: من الإعراب، والترتيب الخاص. كما يجدي الطّعام، ولا تحصل منه المنفعة المطلوبة منه وهي التّغذية، ما لم يصلح بالملاح"³.

ثم استدرك الجرجاني، عبد القاهر، في نكتة لطيفة، ولفتة ظريفة؛ قائلاً: "فأما ما يتخيّلونه من أنّ معنى ذلك: أنّ القليل من النحو يُعني، وأنّ الكثير منه يُفسد الكلام، كما يُفسد الملح الطّعام إذا كثر فيه، فتحريف"⁴. وقال بأنّه لا يتصوّر في هذا الأمر الزيادة والنقصان؛ فقولك: (كان زيداً ذاهباً) فحكم رفع الاسم ونصب الخبر، لا يخلو من أمرين اثنين، لا ثالث لهما: إمّا أن يوجد هذا الحكم فيحصل النحو والإعراب في الكلام، ويكون كالطّعام يغذو البدن؛ أو أنّ لا يوجد هذا الحكم فلا ينتفع السّامع، ولا ينتفع البدن بالطّعام الخالي من الملح"⁵.

وإنّ كنّا معلقين هذا، عطفًا بالنّكتة على النّكتة، فنقول: يحقّ لنا أن نووّل العبارة (النحو في الكلام؛ كالملاح في الطّعام) تأويلاً آخر، فإنّ النّاظر الممعن في مسيرة التّأليف والتّصانيف في النحو والإعراب، من لدن المدرسة البصرية، إلى المدرسة المصرية والمغربية، يرى كيف أنّ النحو

¹ - شرح الكافية الشافية، ابن مالك، تح: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1420هـ/2000م، ج1، ص56.

² - النحو والدلالة -مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي-، محمد عبد اللطيف حماسة، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1 1420هـ/2000م، ص35.

³ - أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تع: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السعودية، ط1، 1991م، ص71.

⁴ - المصدر نفسه، ص72.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه، ص72.

الباب النظريّ ----- الفصل الأول ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

تمنطق، وأنّ العلل الجدليّة ضربت فيه بأطنابها، وأوغل فيه النحاة إيغالا، خرج به عن القصد الذي وُضِعَ من أجله، فعدا هذا الطعّام ملحا أجاجا، ترى الأبدان، إذا ذاقته، ترتجّ له ارتجاجا.

بل إنّ الجرجانيّ، قد أعظم من قدر النحويّ، وأعظم صنيع من يتجاهله أو ينتقصه. ورأى أنّ الصّدّ عن تعلّم النحو "أشبه بأن يكون صدّا عن كتاب الله، وعن معرفة معانيه؛ ذاك لأنهم لا يجدون بدا من أن يعترفوا بالحاجة إليه فيه؛ إذ قد علّم أنّ الألفاظ مغلقة على معانيها، حتّى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنّ الأغراض كامنة فيها، حتّى يكون هو المستخرج لها"¹. فبالإعراب تتمايز المعاني، وتُنبّئ الأغراض، وتُفهم المقاصد.

وقد تنبّه عبد السلام المسديّ، وهو يتحدّث عن نظرية المعنى والدلالة، لأمر دقيق جَلّ يعبر عن دلالة التراكيب النحوية. يقول: "إنّ للمعنى سؤالاً غير جليّ، هو سؤال دلالة الكلام من وراء دلالة الألفاظ"². فإنّ الكلمات حمالة معانٍ، وإذا تراكبت الكلمات نحويّاً، كان لهذا النظم دلالة مفتاحها الإعراب.

من هنا، فإنّ الدلالة لا تتشكّل إلا بتشكّل التركيب نحويّاً، وفي هذا يقول عبد السلام المسدي: "الدلالة ليست في الألفاظ، وليست في مجرد التّركيب، وإنّما هي في آليات الارتباط الحادثة بين الألفاظ عندما تتوالى في الكلام تواليّاً نسقيّاً، وليس من مرجع في ذلك إلا النحو. فهو المقياس الضّابط لسلامة البناء من حيث هو الضّامن لبلوغ المعنى"³. وهذا هو مضمون نظرية النّظم التي جاء بها عبد القاهر الجرجانيّ.

وقد فنّد أبو حيان التوحيدي حصول الإفهام إلا بالإعراب، وافترض قائلاً: "وأما قولك: من عبّر عمّا في نفسه بلفظ ملحون، أو محرّف، وأفهم غيره فقد كفى. فكيف يصحّ هذا ويُقبّل هذا الرأي؟ والكلام يتغيّر المراد فيه باختلاف الإعراب"⁴. فحتّى لو أنّ السّامع فهم قصد المتكلّم اللّاحن فإنّه لم يكن ليفهم قصده، إلا بعد أن قوّم الكلام في ذهنه، واستنبط منه المقبول عقلاً ونقلًا. فمن ذلك أن يشير إليك أحدهم بقوله: قَتَلَ عيسى موسى، وأنت تشاهد عيسى مقتولا، فتفهم أنّه قصد:

¹ - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تع: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 2000م، ص28.

² - العربية والإعراب، عبد السلام المسدي، ص47.

³ - المرجع نفسه، ص50.

⁴ - الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، تصحيح: أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، ج1، ص102.

الباب النظريّ ----- الفصل الأول ----- القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

قَتَلَ موسى عيسى؛ فذلك ممّا لا يقبله العقل؛ لأنّه أمرٌ مُشاهد، ولا يقبله النُّقل؛ لأنّ العرب لا تقدّم ولا تؤخّر فيما التبس آخره، ولم يبيّن إلا بموقعه. فأما وإن كنت غير حاضِرٍ زَمَنَ الفعل، ولا مشاهدًا له، ولم يكن لك بالعربيّة علمٌ، فهمت، ضرورةً، عكس ما قصده الناطق، وما هو حاصلٌ فعلا.

بعد هذا الذي تقدّم، يتبيّن لنا أخيرا، ممّا لا دخلَ للشكّ فيه، أنّ الإعراب يؤدّي دوره الفعّال الضّروريّ في تشكيل الدّلالة، وتحصيل المعنى، ولولا الإعراب لالتبسَت المعاني، واضطربت الدّلالات، وغمضَ المفهومُ، وانقلبت حلقةُ التّواصل، التي تُعدّ الوظيفة الأساسيّة للغة.

وتكتمل بهذا التأكيد، الحلقة الدّائريّة بين الإعراب والمعنى، ويصحّ بذلك قولنا: الإعراب فرع المعنى، والمعنى فرع الإعراب. فكلُّ معنًى له إعرابه المخصوص به، وكلّ إعراب يؤدّي إلى معنًى معيّن. فكلاهما عن بعضهما يصدُران، وإلى بعضهما يردّان. وبهذا أيضا تتحقّق الحاجة الملحة إلى إعراب القرآن العظيم وتفسيره، بناءً على محصولة الإعرابي؛ إذ لا يتأدّى المعنى القرآنيّ كاملا إلا في ظلّ تظافر علومٍ مختلفة عدّة، أولها اللغة والإعراب.

الفصل الثاني

حياة القرطبي وآثاره العلميّة

- 1- الأندلس في عصر القرطبي.
- 2- اسمه ولقبه وكنيته ونسبه.
- 3- مولده ونشأته ووفاته.
- 4- شيوخه.
- 5- تلاميذه.
- 6- ثقافته وعلمه واجتهاده.
- 7- أخلاقه وصفاته.
- 8- ثناء العلماء عليه.
- 9- مؤلفاته: (المطبوعة والمخطوطة والمفقودة).
- 10- القرطبي والتصوف

1/- الأندلس في عصر القرطبي:

منذ دخول الإسلام إلى بلاد المغرب (21هـ)، وانتقاله منه إلى الأندلس (91هـ/711م) واستمراره ثمانية قرون كاملة (1492م)، فإنَّ الأندلس قدَّمت للأُمَّة علماء أفذاذ، كانوا سراج هذه الأُمَّة وعمادها، على مدار القرون الثمانية، إلى أن جاء عصر الموحَّدين (514هـ-668هـ) الذي عاش في زمنه الإمام القرطبي. وكان مسقط رأس القرطبي في مدينة قرطبة، وعلى الرغم من الاضطرابات التي كانت تعرفها قرطبة؛ إلا أنَّ قرطبة كان لها ما يميَّزها عن غيرها من المدن الأندلسيَّة الأخرى. فهي مدينة كانت آخذةً في الامتداد والنمو العمراني والحضاري، "وقد ساعدت طبيعة الأندلس، وكثرة خيراتها الزراعية والمعدنية، ونشاط تجارتها؛ على ذلك. كما ساعد عليه الاستمداد من المشرق في شؤون العلم والأدب، والحضارة المادية. فكان التَّجَّار ينقلون مواد الحضارة المشرقية إلى الأندلس دون انقطاع"¹. وهذا ما هيَّأ الجوَّ المناسبَ لأهل قرطبة، ليبدعوا في جميع المجالات.

ومن خصائص قرطبة، في ذلك العصر، طابعها الرِّيفي، "ومن مظاهر هذه الحياة الريفية: البساطة، والخشونة، والطَّيبة، وعدم النَّصْنَع في المعاملات بين الناس، والنَّبر بالألقاب، والانتفاع من الجهد اليدوي والزَّراعي. وكان الكسب الحلال من الزَّراعة يجتذب إليه كثيرا من العلماء الأتقياء ولذلك كثرا ما نرى المحدثين والفقهاء، في هذه الفترة، يؤثرون حياة القرية"². ويشغلون بالأرض والصنائع والحِرَف، وهكذا كانت حياة القرطبي في أولها، كما سنرى في ترجمته.

وعلى السَّاحة النَّقائِيَّة والعلميَّة، فقد شجَّع محمَّد بن تومرت تحصيلَ العلم وطلبه، وكانت له قدم راسخة في العلم والأدب، ومشاركة للشعراء في شعرهم³. ولأنَّ القرطبيَّ كان عالما فقيها؛ فإنَّ النَّاظِر في تاريخ الدَّولة الموحَّدية، يرى أنَّها -على الرِّغم من محاربتها لتسلُّط الفقهاء، وجمودهم الفكري، كما كانت ترى- لم تمنع العلماء والفقهاء، أو لنقل بعضهم، من حقهم، من التَّمتُّع بمنزلة

¹ - تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة-، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1969م، ص19.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص23.

³ - ينظر: القرطبي ومنهج في التفسير، القصبي، ص65.

الباب النظريّ ----- الفصل الثّاني ----- حياة القرطبي وآثاره العلمية

كريمة، في ظلّ الموحّدين، باعتبار أنّ الدّولة قامت على أكتاف داعية إسلامي، هو المهدي بن تومرت¹.

فالخليفة عبد المؤمن كان يقدرّ العلماء، وينزلهم منازلهم اللائقة، وتبعه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في تكريم العلماء والعناية بهم، وكان حريصاً على مجالستهم محادثتهم². إلا أنّ النقطة السوداء، هي محاربتهم المذهب المالكي، بعد انتشاره في الأراضي الأندلسية، وكان ذلك على يد الخليفة المنصور الموحّدي خاصة؛ إذ صارت كتب المذهب المالكي تُجمع وتطلق فيها النار. وزعم أنّ سبب ذلك كراهيته للخلافات التي امتلأت بها كتب الفروع، وميله إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة والأخذ بظاهريهما. وأبدل كتب الفقه بكتب الأحاديث كالبخاري ومسلم وغيرهما³.

والى جانب ذلك، أظهر تعظيماً للمذهب الظاهري، بديلاً عن المذهب المالكي، فعظم في عصره شأن الظاهريين، ولقبوا بالحزمية، نسبةً إلى محمد بن حزم، شيخ الظاهرية. إلا أنّ علماء المالكية زاد ارتباطهم بالشعب؛ لأنّ المذهب المالكي كان متغلغلاً في نفوسهم، فلم يستطع الخليفة إزاحته من قلوبهم. وراح العلماء يضحون ويلقون في سبيل نشر مذهبهم كل أدنى ومضايقة، فمنهم من سُجن، ومنهم من مات تحت سياط التعذيب⁴. وبقي هذا المذهب إلى اليوم هو الغالب على أهل المغرب.

وظهرت التفسيرات في هذا العصر، ونذكر من أهل التفسير: أبا الحسن علي بن محمد الغرناطي، وأبا بكر محمد بن علي المعافري السبتي، عُرف بابن الجوزي، وعبد الجليل بن موسى الأنصاري الأوسي، وغيرهم. وكذلك في علم الحديث، وفي عصر الخليفة المنصور الموحّدي خاصة، بعد محاربتهم لكتب الفقه المالكي، أصبح لطلاب الحديث شأن كبير. ومن أشهر من علماء الحديث: أبو الخطاب بن دحية السبتي، وعبد الرحمن بن محمد بن حبيش، والقاضي عياض السبتي. وفي علم القراءات، أشهر أبو بكر بن يحيى بن محمد بن خلف الهوزي، وعلي بن

¹ - ينظر: الحضارة في المغرب والأندلس -عصر المرابطين والموحّدين-، حسن علي حسن، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط1، 1980م، ص339.

² - ينظر: الحضارة في المغرب والأندلس، حسن علي حسن، ص339.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص466، 467.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص467، 468.

الباب النَّظَرِيَّ ----- الفصل الثَّانِي ----- حياة القرطبي وآثاره العلمية

محمد بن يوسف اليابري. وفي الفقه ألف ابن تومرت كتابه الموطأ، على غرار موطأ الإمام مالك بعد حذف أسانيده. واشتهر من الفقهاء عبد الملك المصمودي¹.

وكانت قرطبة في عصر الإمام القرطبي تدين بالطاعة لزعيمها محمد بن يوسف بن هود (ت635هـ) الذي خلع طاعة الموحدين، ودعا لنفسه سنة 625هـ. حتَّى دخل فرناندو الثالث إلى قرطبة، وخرب القرى/ ودمّر الزّروع، وأعمل القتل في أهلها². وقد عايش الإمام القرطبي الكثير من هذه الاضطرابات والأزمات، قبل سقوط قرطبة، واضطراره للارتحال والاستقرار في المنيا.

وعلى العموم، فإنّ قرطبة كانت في عصر الإمام القرطبي، مدينة العلم والعلماء، وكان لأهلها شغفٌ بطلب العلم، وجمع الكتب والتّصانيف. وعمرت خزائن خلفائها وأمرائها بالكتب. وبالغوا في التّباهي بها واقتنائها بشتى الأسعار، ومن مختلف الأقطار. وبعد ارتحال القرطبي عن قرطبة، إلى مصر، عاصر الفترة الأخيرة من عصر الأيوبيين. وشاهد اغتصاب المماليك للسلطة (648هـ). واستمرّ في مصر، إلى أنّ تُوفي في عصر خلافة الظّاهر بيبرس البندقداري (656هـ- 676هـ). وكانت الحياة نشطة حيّة، وكان أمراؤها، يصفهم المؤرّخون بالذكاء والميول العلمي والأدبي³. بل كانت مصر ملتقى للعلماء، من المشرق والمغرب، هربوا من الفتك المغولي بالمشرق، وبطش النصارى بالأندلس بعد سقوطها.

وإذا نظرنا بعمق إلى العصر والفترة التي عاشها القرطبي في الأندلس ومصر، نرى أنّها فترة عصيبة، مليئة بالاضطرابات والأحداث الخطيرة. فقبل هذه الفترة بقليل، بدأت الحروب الصليبيّة على بلاد الشام ومصر، وما قاساه المسلمون على أيديهم المجرمة، وفيها سارت جيوش المغول الهمجيّة من المشرق لتكتسح مظاهر الحضارة والعمران، وتخرّب دور العلم والثقافة⁴. وقد سجّل ذلك القرطبي في كتابه، في مواضع عدّة؛ منه قوله، متحدّثاً عن أهل الأندلس: "تركوا

¹ - ينظر: الحضارة في المغرب والأندلس، حسن علي حسن، ص484-486.

² - ينظر: القرطبي ومنهجه في التفسير، القصبي، ص7، 8.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص83، 84.

⁴ - ينظر: القرطبي -حياته، آثاره-، بحث أنجزه أ. د. محي الهلال السرحان، بحث متوفر على الأنترنت، ص8.

الباب النظري ----- الفصل الثاني ----- حياة القرطبي وآثاره العلمية

الجهاد، وجَبُّوا عن القتال، وأكثرُوا من الفرار، فاستولى العدو على البلاد، وأَيَّ بلاد؟! وأسَرَ وقتل وسبَى واستَرْقَّ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون. ذلك بما قَدَّمَته أدينا وكسبته"¹.

وقال في موضع آخر: "فقد لبسنا العدو في ديارنا، واستولى على أنفسنا وأموالنا، مع الفتنة المستولية علينا، بقتل بعضنا بعضاً، واستباحة بعضنا أموال بعض، نعوذ بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن"². وقال في موضع آخر أيضاً: "ولجھلنا بذلك، وغلبة شهوتنا علينا، وظَفَر العدو اللعين علينا، صرنا أحقر من الفَراش، وأذلَّ من الفَراش، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العليِّ العظيم"³.

2/- اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرَح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، ثم القرطبي المالكي. وكنيته أبو عبد الله⁴، وفَرَحُ بفتح الفاء وتسكين الراء⁵. ولقبه بعضهم بشمس الدين⁶، ولم يكن الإمام القرطبي يذكر هذا اللقب، وربما كان يكرهه لشدة تواضعه. والخزرجي نسبةً إلى قبيلة من قبائل الأنصار المشهورة. والقرطبي نسبةً إلى قرطبة. والمالكي نسبة لمذهبه الفقهي⁷. وكان له ولدان؛ أحدهما عبد الله وهو البكر، والآخر هو شهاب الدين أحمد، وكان أحد المشاركين في العلم

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3، ص417، 418.

² - المصدر نفسه، ج8، ص415.

³ - المصدر نفسه، ج17، ص61، 62.

⁴ - ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م، ج5، ص322. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، تح: عبد القادر الأرناؤوط ومحمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1412هـ/1991م، ج7، ص584. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لأبي عبد الله محمد المراكشي، تح وتعليق: إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012م، ج3، ص494. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1420هـ/2000م، ج2، ص87.

⁵ - ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م، ج2، ص210.

⁶ - ينظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1955م، ج2، ص129.

⁷ - ينظر: طبقات المفسرين، الحافظ شمس الدين الداودي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ/1983م ج2، ص69.

وأخذ عن والده بالإجازة¹. ولعلَّها تكون روايته لتفسيره العظيم، حيث رواه عن والده، وبدوره أذن في روايته للكاتب عبد الله بن عبد الرحمن بن إسحاق بن أبي بكر الأنصاري الحزرجي سنة 766هـ².

3/- مولده ونشأته ووفاته:

ولد بقرطبة في السنين العشر الأولى من القرن الهجري السابع، ونشأ بها، وإليها نُسِبَ. بل أصبح أشهر عَلم من أعلامها. فعندما يُذكرُ القرطبي بإطلاق، فلا تتصرفُ أذهان العلماء وطلبة العلم إلا إليه. عاش بقرطبة في كنف والديه. وكان يعيش في أسرة متواضعة الحال، فأبوه كان يعمل في الزراعة، توفي والده سنة (627هـ) وهو لا يزال شاباً. وكان يعمل في شبابه في نقل الآجرِّ لصنع الخزف، وكانت هذه صناعة من الصناعات التقليدية التي انتشرت في قرطبة.

وقد غفلت كتب التراجم والسير عن تأريخ مولده، كما غفلت عن تأريخ رحلته المشرقية، ولم تَرَوْ شيئاً يدور حوله، ولا عن مرحلة طفولته، ولعلَّ ذلك يرجع إلى مكانة أسرته الاجتماعية، من حيث المستوى الثقافي والسياسي والمعيشي، إذ كان والده فلاحاً، لا همَّ له -بعد الإمام بمبادئ الإسلام العامة- إلا حرث الأرض وزراعتها، كما أخبر بذلك القرطبي حين الحديث عن وفاة والده³. ولعلَّ الظروف الصَّعبة التي ولد فيها الإمام القرطبي قد أسهمت في صرف الناس عن الاهتمام برصد شيء يتعلَّق بمولده وحياة طفولته وصباه⁴.

ولم أجد من حاول الوصول إلى زمن ميلاده إلا الدكتور القسبي محود زلط، الذي افترض أنه ولد في أواخر القرن السادس الهجري. ويعني ذلك أنه ولد في عصر الموحِّدين، في عهد الخليفة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن [580 - 595هـ]⁵، ونحن لا نظنَّ ذلك، فقد روي أن

¹ - ينظر: طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي، تح: علي محمد عمر، مطبعة الحضارة العربية، الفجالة، ط1 1396هـ/ 1976م، ص92. الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سليمان، ص11-14. طبقات المفسرين، الداودي، ج2، ص70.

² - ينظر: القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا ط1، 1998م، ص88.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص412، 413.

⁴ - ينظر: القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص85.

⁵ - ينظر: القرطبي ومنهجه في التفسير، القسبي محود زلط، ص8.

الباب النظري ----- الفصل الثاني ----- حياة القرطبي وآثاره العلمية

القرطبي كان حياً سنة 658هـ¹، أي في منتصف القرن السابع. وتوفي والده في سنة 627هـ، وكان القرطبي شاباً، ومات في سنة 671هـ. وإذا افترضنا ما قاله القسبي، من أنه ولد في الحلقة الأخيرة من القرن السادس أو قبلها بقليل، فإن ذلك يوقعنا في بعض المبالغة، من أن ولادته محصورة ما بين سبعينات القرن السادس (570هـ) إلى غاية نهار القرن (599هـ)، ولا يستقيم هذا مع ما رواه القرطبي عن نفسه من معاشيته لمقتل والده، وهو لا يزال حداثاً شاباً. بل إن بعض المترجمين² ذكروا أنه حين توفي والده كان بين العشرين والخمسة والعشرين من عمره.

وبناءً على ذلك فإننا نستبعد ولادته في القرن السادس، إلا أن تكون في أقصى أواخره، على أننا نلن أنها كانت في بداية القرن السابع الهجري. أو كما افترض الدكتور محيي الهلال السرحان: "أرجح أن تكون ولادته بعد سنة 595هـ أي بعد سنة 1198م"³. وأظنه ولد عهد الخليفة أبو محمد عبد الله، الملقب بالناصر لدين الله، وهو ولد الخليفة يعقوب؛ الذي قال القسبي بأن القرطبي ولد في عصره.

وقد بقي الإمام القرطبي بقرطبة حتى سقوطها، وخرج منها سنة 633هـ، منتقلاً إلى مصر التي كانت محطاً لكثير من علماء المسلمين على اختلاف أقطارهم وأجناسهم. إذ وجدوا فيها أمناً فقدوه في ديارهم. استقر الإمام القرطبي بمنية بني خصيب (المنيا)، ويرجح وهو آت من قرطبة إليها أنه مرّ بمدن كثيرة، منها: الإسكندرية، والفيوم، والمنصورة (646هـ)، والقاهرة. إلا أنه لم يمكث بها كثيراً حتى استقر بمنية بني الخصيب، وبها مات⁴. وهي مدينة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى.

¹ - ينظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، المراكشي، ج3، ص495.

² - ينظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سليمان، دار القلم، دمشق، ط1، 1413هـ/ 1993م ص17.

³ - القرطبي - حياته، آثاره -، محي الهلال السرحان، ص4.

⁴ - ينظر: الأعلام، الزركلي، ج5، ص322. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، تح: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/ 1996م، ص407.

الباب النَّظَرِيّ ----- الفصل الثَّانِي ----- حياة القرطبي وآثاره العلمية

وقد قضى القرطبي بهذه المدينة شطر حياته الأخير، في تقشّف وزهدٍ وصلاح، وعبادة وانصراف عن الدُّنيا، وانشغال بأمور الآخرة، وانقطاع للعلم؛ طلباً وتدرّساً وتأليفاً¹. ولعلّ مؤلفات القرطبي قد كُتبت في ربوع هذه المدينة. وبعد أن استقرّ القرطبي بمصر قرابة ثمانية وثلاثين عاماً. توفّاه الله بمنية بني الخصيب، وكان ذلك ليلة الإثنين التاسع من شوال سنة 671هـ²، الموافق لـ 31 من مارس 1273م³، وقبره معروف اليوم بمكان يُسمّى (أرض السلطان) بالمِنيا⁴.

4/- شيوخه:

تلقّى العلم على أيدي شيوخ أجلة في الأندلس وخارجها. ففي الأندلس نذكر:

1. ابن أبي حجة: ولد سنة 562هـ⁵، وتوفي 643هـ/1245م، وهو أبو جعفر أحمد بن محمد بن محمد القيسي، وهو من شيوخه الأوائل الذين أخذ عنهم علم القراءات. وقد استفاد إمامنا من شيخه هذا كثيراً، ولا سيما إذا علمنا أنّ ابن أبي حجة كان نحويًا ومحدّثًا وفقهًا، بالإضافة إلى كونه مقرئًا.

2. ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي الأشعري، ت 632هـ/1235م، من أهل قرطبة وآخر قضاتها.

3. أبا عامر يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع الأشعري ت 639هـ/1241م.

4. أبا الحسن علي بن فطّال، ت 651هـ/1253م.

5. أبا محمد بن حوط الله، ت 612هـ/1214م.

¹ - ينظر: القرطبي -حياته، آثاره-، بحث أنجزه أ. د. محي الهلال السرحان، ص5.

² - ينظر: المقفى الكبير، تقي الدين المقرئزي، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ 1991م، ج5، ص 148.

³ - ينظر: الأعلام، الزركلي، ج5، ص 322. القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم ص 96. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ/1993م، ج3، ص52.

⁴ - ينظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سليمان، ص32- 46.

⁵ - ينظر: القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص108.

الباب النَّظَرِيّ ----- الفصل الثَّانِي ----- حياة القرطبي وآثاره العلمية

وغير هؤلاء من علماء الأندلس الذين أخذ عنهم الإمام القرطبي. وأمّا شيوخه من مصر فنذكر منهم:

1. أبا العباس القرطبي 576-656هـ / 1182-1258م¹، وهو أبو العباس ضياء الدين أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري القرطبي المالكي، من أعيان فقهاء المالكية. وقد حدّث عنه الإمام القرطبي وأكثر. وكان شديد الاحتكاك به والاتصال به، ويرافقه في حاله وترحاله². وكان للشيخ أبي العباس فضل كبير في تكوين شخصية القرطبي الثقافية، حيث تعهّده بالرعاية والعناية إلى أن أصبح فقيها مجتهدا، ومحدّثا بارعا، وعالما جليلا³.
2. أبا محمد بن رواج، 554هـ - 648هـ، وهو الراوية أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح القرشي الإسكندراني المالكي المشهور بابن رواج، وكان فقيها محدّثا متواضعا⁴، وقد أخذ الإمام القرطبي عنه علم الحديث وروايته.
3. أبا محمد عبد المعطي بن أبي الثناء اللّخمي، ت 638هـ / 1241م.
4. أبا علي الحسن بن محمد البكري، ت 656هـ / 1258م⁵.
5. أبو الحسن علي بن هبة الله اللّخمي المعروف بابن الجُمَيْزِيّ (ت 649هـ / 1251م)⁶. هؤلاء أهمّ شيوخه الذين أخذ عنهم العلم، وقد أوردتهم في كتبه ذكرا وروايةً. وذكر غيرهم شيوخا آخرين لم يذع صيتهم ولم تتسع شهرتهم من بينهم:
1. عبد العظيم بن عبد القوي المنذري.
2. أبو الحسن علي بن محمد بن حفص اليحصبي⁷.

¹ - ينظر: نفح الطيب، المقرئ، ج2، ص211. الديباج المذهب، ابن فرحون، ص407. المقفّ الكبير، تقي الدين المقرئ، ج5، ص148.

² - ينظر: القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص101.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص107.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص112.

⁵ - ينظر: نفح الطيب، المقرئ، ج2، ص211. الديباج المذهب، ابن فرحون، ص406. المقفّ الكبير، تقي الدين المقرئ، ج5، ص148.

⁶ - ينظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سليمان، ص63-82.

⁷ - ينظر: نفح الطيب، المقرئ، ج2، ص211. المقفّ الكبير، تقي الدين المقرئ، ج5، ص148.

3. أبو القاسم عبد الله بن علي بن خلف الكومي التلمساني.

4. أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري التلمساني¹.

5/- تلاميذه:

تكاد كتب التراجم تُجمَعُ على إغفال تلاميذ الإمام القرطبي، ولعلَّ السَّبب في ذلك نزوله (المنيا) بعد خروجه من قرطبة -بعد سقوطها- بقلب كسير، وبال مهموم، ونفسٍ حزينة، فأثر الابتعاد عن مخالطة عموم الناس. ونذكر من أهم تلاميذه:

1. ابنه: شهاب الدين أحمد، وكان عالماً مشاركاً في الفنون.

2. أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير بن عاصم الثقفي العاصمي الغرناطي، وهو شيخ القراء بالأندلس، ولد سنة 628هـ، وتوفي في 708هـ بغرناطة.

3. إسماعيل بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد الخرساني، ولد في سنة (63)هـ، وتوفي في 709هـ.

4. أبو بكر محمد، ابن الإمام الشهيد كمال الدين أبي العباس أحمد بن أمين الدين الميموني القسطلاني، ولد بمصر 614هـ، وتوفي في 686هـ.

5. ضياء الدين أحمد بن أبي السعود بن أبي المعالي البغدادي المعروف بالسطريجي².

6/- ثقافته وعلمه واجتهاده:

ولد الإمام القرطبي بقرطبة، وبها تلقى ثقافة واسعة في الفقه، والنحو، والقراءات وغيرها على جماعة من العلماء المشهورين. ومما يؤثر عنه اهتمامه بالأحكام الدينية، وتحري الدقة في المسائل الفقهية. وكان يتلقى العلم عن أكثر من شيخ، ويتجّه إليهم في كلّ مُلَمّة تحلُّ به، كما كان يُدِيم النظر في المسائل العلمية، ولا يكتفي في قضايا الأحكام بفتوى سمعها، ولو كانت من شيوخه الأجلاء.

¹ - ينظر: القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص 97، 98.

² - ينظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سليمان، ص 81-95.

الباب النظريّ ----- الفصل الثّاني ----- حياة القرطبيّ وآثاره العلمية

كما أنّه ما كان ليجد بأسا في العدول عن رأي ارتضاه إذا ثبت له أنّ هناك رأيا آخر أولى بالاتباع. ولم يقتصر القرطبي على الأخذ من شيوخه، بل تعدّاه إلى مجالسة الكتب، والنظر فيها. وقد كانت قرطبة محتفظة بشهرة المجد في طلب العلم، وزخرت بكثرة الكتب والمكتبات والمدارس. كما كانت مليئة بالعلماء وطلبة العلم¹.

قرأ القراءات السبع في قرطبة على شيخه ابن حجة، وروى عن أبي عامر بن ربيع وأكثر عنه، عندما كانت قرطبة غاصّة بالفضلاء وحملة العلم. وعندما رحل إلى المشرق الإسلامي روى هناك عن أبي العباس أحمد بن عمر الأنصاري القرطبيّ، وأبي محمد عبد المعطي بن محمد بن عبد المعطي اللخمي، وعبد الوهاب بن ظافر بن رواج، وأكثر عنه. وهكذا ظلّ القرطبيّ منهمكا في طلب العلوم الشرعية واللسانية، إلى أن نضجت قريحته، واستقام منهجه، وأصبح ركنا من أركان الدين علما وعملا².

وقد أكثر القرطبيّ من الرّحلات العلمية في بلاد الإسلام، لمقابلة الشيوخ والعلماء، وتبادل الآراء والأفكار، في قرطبة، وفي بعض مدن الأندلس الأخرى. وعندما هاجر إلى مصر، طاف مدنها العامرة، وانتقل بين مساجدها الكثيرة³. وقد نال في تلك الرّحلات إعجاب الشيوخ والعلماء فأحبّوه وأكرمّوه، ومنحوه بعض الإجازات العلمية التي لا ينالها إلا من كان جديرا لها مستحقّا لشرف حملها للآخرين.

ومن العلماء الذين أجازوه: الشيخ أبو القاسم عبد الله الكومي التلمساني، والقاضي أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن الأشعري القرطبيّ، والراوي أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن رواج الإسكندراني، وأبو الحسن علي بن هبة الله الشافعي⁴.

¹ - ينظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سليمان، ص16.

² - ينظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، المراكشي، ج3، ص495. القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص120، 121.

³ - ينظر: القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص123.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص125.

7/- أخلاقه وصفاته:

أثرت عن الإمام القرطبي أخلاقٌ عالية، وصفات جليّة، منها زهده وورعه وصلاخه. ونلمس ذلك في كتبه، فهو يشكو دوماً من كثرة الفساد، وانتشار الحرام، والابتعاد عن الواجبات والوقوع في المحرّمات، ومن مظاهر زهده وورعه تأليفه لكتابه: "قمع الحرص بالزهد والقناعة" و"التذكرة في أحوال الموتى والآخرة". وكان يذمُّ الغنى الذي يجعل صاحبه بعيداً عن ذكر الآخرة وتعهّد الفقراء. وكان كذلك يشغل وقته بين عبادة وتوجّه وتصنيف.

وزهّد القرطبي ليس معناه أنّه حرّم على نفسه الطّيّبات، وما أحلّ له من ملذات الحياة، أو عاش كما يعيش بعض المتصوّفين. بل كان زهده أنّه لم يجعل تحصيل هذه الطّيّبات والملذّات هدفاً وغايةً له في حياته، بل انحصر تفكيره في تحصيل ما ينفعه في آخرته، فلم يجعل الدّنيا سلطاناً عليه¹.

ومن صفاته شجاعته وجراته في الحق، وهذا ما كان يظهر في تفسيره، وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم، ويتمثّل هذا في إيمائه في أكثر من موضع في تفسيره إلى أنّ الحكّام في عصره حادوا عن سواء السبيل، فهم يظلمون ويرتشون، وساد عندهم أهلُ الكتاب، وهم من ثمّ ليسوا أهلاً للطّاعة والتّقدير.

ومن صفاته أيضاً غيرته وشدة حرصه على الدّين، وهذا عندما تعرّض لعامة الناس موضّحاً أنّهم على دين ولاتّهم، فقد فشا بينهم الظلم، وضعّف وازع الدين في نفوسهم، وكثرت فيهم البدع والمنكرات. وهذا يدلّنا على شدة حرص القرطبي على الدّين، وغيرته الشّديدة عليه.

كما أنّ من صفاته أيضاً بساطته وتواضعه، فقد كان ورعاً زاهداً في الدّنيا، راغباً عما بأيدي الناس، وكان واسع العلم، غزير الثقافة، فاستغنى بهذا عن الزهو والخيلاء. ومن مظاهر بساطته ما أثّر عنه من أنّه كان طارح التّكلّف، ورعاً متعبّداً، يمشي بثوب واحد، وعلى رسه طاقية². فقد كان رقيق الحال، لم يُصب من الغنى ما يستطيع أن يعيش حياةً مترفةً.

¹ - ينظر: القرطبي ومنهجه في التفسير، القسبي محمود زلط، ص33.

² - ينظر: الديباج المذهب، ابن فرحون، ص407. الأعلام، الزركلي، ج5، ص322.

الباب النظريّ ----- الفصل الثّاني ----- حياة القرطبي وآثاره العلمية

كما عُرِفَتْ عنه جديته في الحياة، وقوّة عزيمته. فالدّارس لحياة الإمام القرطبي يَعْجَبُ كُلّ الْعَجَبِ من حياة الجدّ والصّرامة التي أخذ بها نفسه حتّى أَلْفَهَا، فقد كرّس حياته للعلم والمطالعة والتّأليف دون ملل أو سأم، فكان أنّ نتج عن هذا الجدّ تأليف مصنّفات في غالبيتها من المطوّلات كما هو الشّأن في تفسيره.

ومن أبرز صفاته أنّه كان ليّن الجانب، ويلمس هذه الصّفة كلّ من قرأ كتبه. ولا سيما في مواطن مناقشته لمخالفه في الرّأي في بعض المسائل والأحكام. ومن مظاهر هذا الخلق: عَفّة لسانه، ورقة عباراته، وحسن مناظرته¹.

ومجمل القول فإنّ القرطبي كان يتحلّى بجمال الأخلاق، وجمال الأفعال، "أمّا جمال الأخلاق فكونها على الصّفات المحمودّة من العلم والحكمة والعدل والعفة، وكظم الغيظ وإرادة الخير لكلّ أحد، وأمّا جمال الأفعال فهو وجودها ملائمةً لمصالح الخلق، وقاضية لجلب المنافع فيه وصرف الشّرّ عنهم"².

8/- ثناء العلماء عليه:

نقل المترجمون أقوالاً عدّة لعلماء أجلّة أثنوا على الإمام القرطبي، وهذا يدلّ على مكانة الرّجل وفضله. أذكر منها:

- ابن فرحون والداوودي: الإمام القرطبي من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعينهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجّه وعبادة³.

- المقرئ: أوقاته معمورة ما بين توجّه وعبادة وتصنيف.

- ابن شاكر الكتبي: له تصانيف مفيدة تدلّ على كثرة اطلاعه، ووفور علمه؛ منها تفسير الكتاب العزيز، وهو مليح إلى الغاية.

¹ - ينظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سليمان، ص47-61.

² - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج12، ص274.

³ - الديباج المذهب، ابن فرحون، ص406. طبقات المفسرين، الداوودي، ج2، ص69. المقفى الكبير، تقي الدين المقرئ، ج5، ص147.

الباب النَّظَرِيّ ----- الفصل الثَّاني ----- حياة القرطبي وآثاره العلمية

- الذهبي: رجل وكتب وسمع، وكان يقظاً فهما حسن الحفظ، مليح النظر، حسن المذاكرة ثقةً حافظاً¹.
- الذهبي: الإمام القرطبي إمام متفنن، متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة، تدلُّ على كثرة اطلاعه ووفور عقله وفضله².
- الزركلي: أبو عبد الله القرطبي: من كبار المفسرين، صالح متعبّد³.
- ابن العماد: وكان إماماً علماً، من الغواصين على معاني الحديث، حسنُ التصنيف، جيّد النقل⁴.

9/- مؤلفاته:

كل من نظر في تأليف إمامنا القرطبي، يجد أنَّها تستوفي التحقيق العلمي الناصع، وتظهر فيها الكثير من صفاته، كقوة الحفظ، ونساعة الأسلوب، والتواضع والأدب. كما امتازت كتبه بتدوين الكثير من الأحداث التاريخية والقضايا الاجتماعية، التي تقدم لنا صورة عن معالم العصر الذي عاش فيه القرطبي⁵. وتنقسم الكتب التي ألفها القرطبي إلى كتب مطبوعة تمَّ تحقيقها، وكتب مخطوطة لا تزال تنتظر التحقيق، وكتب مجهول مكانها ما تزال مفقودة.

¹ - ينظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سليمان، ص 97.

² - ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للحافظ شمس الدين الذهبي، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/ 1999م، ج50، ص75. نفح الطيب، المقري، ج2، ص210، 211. الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سليمان، ص5. طبقات المفسرين، الداوودي، ج2، ص70.

³ - الأعلام، الزركلي، ج5، ص322.

⁴ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، ج7، ص585.

⁵ - ينظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سليمان، ص97.

أ. الكتب المطبوعة:

- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان¹: وهو تفسيره، وأهم تأليفه. قال عنه ابن فرحون: "جمع في تفسير القرآن كتابا كبيرا، في اثني عشر مجلدا، سماه كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن، وهو من أجلِّ التفاسير وأعظمها نفعاً. أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن، واستتباط الأدلة، وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ"². وقال عنه ابن العماد: "التفسير الجامع لأحكام القرآن: الحاكي مذاهب السلف كلها، وما أكثر فوائده"³. وقال عنه السيوطي: "التفسير المشهور الذي سارت به الركبان"⁴. وسنعتقد له فصلا منفردا للحديث عنه إن شاء الله.

- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة⁵: وقد ذكره الإمام القرطبي كثيرا في تفسيره. قام بتحقيقه أحمد حجازي السَّقا، ثم حقَّقه السيّد الجميلي، وتلافى فيه أخطاء التحقيق الأوّل. وما زال الكتاب يحتاج تحقيقا علميا جادا⁶. وقد عرفه حاجي خليفة قائلا: "وهو كتاب مشهور في مجلد ضخّم، أوّله: الحمد لله العلي الأعلى... الخ، جمعه من كتب الأخبار والآثار، وما يتعلق بذكر الموت والموتى، والحشر والجنة والنار، والفتن والأشراط، وبوّب أبوابا، وجعل عقب كل باب فصلا يذكر فيه ما يُحتاج إليه من بيان غريب، وإيضاح مشكل، وسمّاه: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة. ومختصره لبعض العلماء⁷. ومن أهم العلماء الذين اختصروا كتاب التذكرة، أحمد بن محمد

¹ - ينظر: الأعلام، الزركلي، ج5، ص322. نفح الطيب، المقري، ج2، ص210.

² - الديباج المذهب، ابن فرحون، ص406.

³ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، ج7، ص585.

⁴ - طبقات المفسرين، السيوطي، ص92. وينظر: طبقات المفسرين، الداوودي، ج2، ص69.

⁵ - ينظر: الأعلام، الزركلي، ج5، ص322. نفح الطيب، المقري، ج2، ص211. الديباج المذهب، ابن فرحون ص406. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، ج7، ص584. القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص137. طبقات المفسرين، الداوودي، ج2، ص70. تاريخ الإسلام، الذهبي، ج50 ص75.

⁶ - ينظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سليمان، ص129، 130.

⁷ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1، ص390.

الباب النظري ----- الفصل الثاني ----- حياة القرطبي وآثاره العلمية

بن علي نور الدين الحسين الشافعي السحيمي الأزهري ت 1187هـ، وسمّاه "التذكرة الفاخرة في أحوال الآخرة". واختصره قبل ذلك عبد الوهاب الشعراني، ت 973هـ¹، وهو مطبوع².

- **التذكار في فضل الأذكار**³: ذكره القرطبي في كتابه "التذكرة"، ولم يذكره في تفسيره. وذكره المترجمون كذلك. وقد طُبِعَ الكتاب أول مرة سنة 1936م في القاهرة، بتحقيق أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، ثم طُبِعَ بمكتبة دار البيان سنة 1972م، بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط وإبراهيم الأرناؤوط، ثم عن دار التوحيد في القاهرة سنة 1979م، بتحقيق ثروت محمد نافع، ثم عن دار الكتاب العربي سنة 1408هـ، بتحقيق فؤاد أحمد زملي⁴. والكتاب في أربعين باباً، يتحدث عن القرآن وما يتعلّق به من مسائل شرعية⁵. قال القرطبي في أول كتابه هذا: "فرايْتُ أن أكتب في ذلك كتاباً وجيزاً يحتوي على فضل القرآن وقارئه، ومستمعه والعامل به، وحرمة القرآن وكيفية تلاوته، والبكاء عنده، وفضل من قرأه معرباً، وذمّ من قرأه رياءً وعُجباً"⁶.

- **قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذلّ السؤال بالكسب والصناعة**⁷: وروي بالكتب والشفاعة⁸. وذكره القرطبي في تفسيره⁹. ونسبه له مترجموه. ومنهج الإمام القرطبي في هذا الكتاب هو أنّه يقوم بإيراد الحديث، ثم عزوه إلى مصدره، ثمّ شرّحه لغوياً، ثم ينقل أحياناً كلام أهل الحديث من رجال

¹ - ينظر: الأعلام، الزركلي، ج5، ص322.

² - ينظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سليمان، ص133.

³ - ينظر: الأعلام، الزركلي، ج5، ص322. الديباج المذهب، ابن فرحون، ص406. القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص133. طبقات المفسرين، الداوودي، ج2، ص70.

⁴ - ينظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سليمان، ص135، 136.

⁵ - ينظر: كشف الظنون، حاجي خليفة، ج1، ص383.

⁶ - التذكار في فضل الأذكار، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن فرح القرطبي الأندلسي، عناية: بشير محمد عيون مكتبة دار البيان، دمشق، 1407هـ/ 1987م، ص13، 14.

⁷ - ينظر: الأعلام، الزركلي، ج5، ص322. القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم ص140. إيضاح المكنون في النزيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إسماعيل باشا البغدادي، تح: محمد شرف الدين بلتاقيا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج2، ص241.

⁸ - ينظر: الديباج المذهب، ابن فرحون، ص406. طبقات المفسرين، الداوودي، ج2، ص70.

⁹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج6، ص273.

الباب النظري ----- الفصل الثاني ----- حياة القرطبي وآثاره العلمية

الجرح والتعديل في الحديث عن رجال السند. كما ذكر بعض أشعار الزهاد والصالحين وأقوال الصحابة والتابعين¹.

وقد تحدّث القرطبي في مقدّمة كتابه هذا عن ذلك فقال: "فأبْتُ أن أجمع في ذلك كتابا يكون جامعا مهذباً، كتاباً مقرباً، يزيد على معانيها، ويربّي على ما فيها، جعلته أربعين باباً، [في] كلّ باب الحديث والحديثين والثلاثة، ثم عقت ذلك بالتفسير والبيان، ليكمل فائدته، ويعظم منفعته وسميته بكتاب: قمع الحرص بالزهد والقناعة وردّ ذلّ السؤال بالكتب والشّفاة"².

- الإعلام بما في دين النصارى من المفسد والأوهام، وإظهار محاسن الإسلام³: ذكره البغدادي في (هدية العارفين)⁴. حاول فيه القرطبي ردّ الشبهات عن الإسلام، والتي أثارها أحد النصارى في كتاب تثليث الوجدانية، ولم يقف القرطبي عند هذا الحدّ، بل تجاوزه إلى بيان مثالب النصرانية⁵.

ب. الكتب المخطوطة والمفقودة:

- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا⁶: ذكره القرطبي في تفسيره⁷، وفي "التذكرة"، وفي "التذكار"⁸. وقد تناول في هذا الكتاب أسماء الله الحسنى وصفاته، بالشرح والبيان على مذهب أهل السنّة، ويورد كثيراً من الحجج التي تتبناها الفرق الأخرى ويردّ عليها. وقد ذكر في أوله ما يتعلّق بها من الأحكام، وذكر بعد تمام شرح أسماء الله الحسنى أربعة أجزاء، ردّ على

¹ - ينظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سليمان، ص140.

² - قمع الحرص بالزهد والقناعة وردّ ذلّ السؤال بالكتب والشّفاة، لأبي عبد الله القرطبي، تح: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط1، 1409هـ/ 1989م، ص15.

³ - ينظر: القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص147.

⁴ - هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، ج2، ص129.

⁵ - ينظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سليمان، ص143.

⁶ - ينظر: الأعلام، الزركلي، ج5، ص322. نفح الطيب، المقرئ، ج2، ص210، 211. الديباج المذهب، ابن فرحون، ص406. طبقات المفسرين، الداوودي، ج2، ص70. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إسماعيل باشا البغدادي، ج1، ص81. تاريخ الإسلام، الذهبي، ج50، ص75.

⁷ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص92.

⁸ - ينظر: التذكار في فضل الأذكار، القرطبي، ص24.

الباب النظريّ ----- الفصل الثّاني ----- حياة القرطبي وآثاره العلمية

المجسّمة، وأصحاب التشبيه، وهذا الشّرح كبيرٌ ومفيد¹. وهو كتاب يعالج قضية العقيدة والإيمان بالله وبأسمائه وصفاته². وهناك طبعة في مجلدين بدار الصحابة بطنطا³.

- الإعلام في معرفة مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام: ذكره القرطبي في تفسيره⁴. وتوجد نسخة خطية منه في "طوب فاي" بإسطنبول⁵. ويتّضح من عنوانه كتاب يبحث في السيرة النبوية⁶.

- الانتهاز في قراء أهل الكوفة والبصرة والشام وأهل الحجاز⁷: ذكره القرطبي في "التذكار" عندما تحدّث عن ترك البسملة في أول سورة التوبة فقال: "وللعماء في ترك البسملة في سورة براءة" خمسة أقوال... وذكرناها أيضا في كتاب الانتهاز في قراء أهل الكوفة والبصرة والشام وأهل الحجاز⁸.

- أرجوزة "جمع فيها أسماء النبي وشرحها"⁹: جمع فيها أسماء النبي¹⁰، عليه الصلاة والسلام وذكر فيها ما زاد على الثلاث مائة اسم¹¹.

- منهج العباد ومحبة السّالّكين والزّهاد¹²: ذكره القرطبي في تفسيره¹³.

¹ - ينظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سليمان، ص146.

² - ينظر: القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص144.

³ - الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، القرطبي، ضبط وتحقيق وإشراف: محمد حسن جبل وطارق أحمد محمد ومجدي فتحي السيّد، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 1416هـ/1995م.

⁴ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 18، ص 42.

⁵ - مجلة المورد، وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، دار الحرية، بغداد، المجلد4، العدد4، 1395هـ/1985م، ص278.

⁶ - ينظر: القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص145.

⁷ - ينظر: المرجع نفسه، ص148.

⁸ - التذكار في فضل الأذكار، القرطبي، ص33.

⁹ - ينظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سليمان، 149. القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص150.

¹⁰ - ينظر: الديباج المذهب، ابن فرحون، ص406.

¹¹ - ينظر: كشف الظنون، حاجي خليفة، ج1، ص62.

¹² - ينظر: القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص145.

¹³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 18، ص222.

الباب النظريّ ----- الفصل الثّاني ----- حياة القرطبيّ وآثاره العلمية

- المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس: ذكره القرطبي في تفسيره¹، ويبدو أنه في الفقه الإسلامي على المذهب المالكي².
- شرح التّقصي لما في الموطأ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم³: وهو شرح لكتاب التّقصي لابن عبد البرّ، وشرحه هذا هو في مسائل الفقه والحديث⁴.
- اللّمع اللؤلؤية في شرح العشرينات النّبويّة⁵: ذكره القرطبيّ في تفسيره⁶.
- أعلام النّبوة: يتناول الكتاب مناظرة بين المؤلّف وملحد، والمناظرة تتعلّق بالنّبوة وأمرها وإثباتها، ومنه نسخة خطية بمركز المخطوطات بالجامعة الأردنية، ويوجد في أول النسخة: فصل فيما جرى بيني وبين الملحد أنّه ناظرني في أمر النّبوة⁷. وفيه من شكّ في نسبته إليه.
- التّقريب لكتاب التمهيد: وهو مخطوط، في مجلّدين ضخمين في خزانة القرويين بفاس⁸. وهو كتابٌ فريدٌ في بابهِ، وموسوعة شاملة في الفقه والحديث، ونموذج فذ في أسلوبه ومنهجه، رتّبهُ القرطبيّ بطريقة الإسناد على أسماء شيوخ الإمام مالك الذين روى عنهم ما في الموطأ من الأحاديث، وذكر ما له عن كل شيخ على حروف المعجم⁹.
- رسالة في ألقاب الحديث: منها نسخة خطية في الجزائر تحت رقم 377¹⁰.

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص267.

² - ينظر: القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص142.

³ - ينظر: نفح الطيب، المقرئ، ج2، ص211. الديباج المذهب، ابن فرحون، ص406. طبقات المفسرين، الداودي ج2، ص70.

⁴ - ينظر: القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص149.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص144.

⁶ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج13، ص91.

⁷ - ينظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سليمان، ص154.

⁸ - ينظر: الأعلام، الزركلي، ج5، ص322.

⁹ - ينظر: القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص147.

¹⁰ - ينظر: المرجع نفسه، ص148.

الباب النَّظَرِيّ ----- الفصل الثَّانِي ----- حياة القرطبي وآثاره العلمية

- المصباح في الجمع بين الأفعال والصّاح: وهو دراسة تدور حول كتابي "أبنية الأفعال" لابن الصقلي ت515هـ، ومعجم "تاج اللغة وصحاح العربية" للجوهري ت398هـ. ومنه نسخٌ في هولندا وإسطنبول والهند¹.
- الأقضية: ومنه نسخة خطيّة في الآصفدية بالهند².
- أصول الفقه: وقد ذكره القرطبي في تفسيره³. ولم أجد من المترجمين من ذكره.
- وقد أشار أحد الباحثين لكتابين مطبوعين بمكتبة الجامعة الإسلامية بغزة، هما كتاب "عذاب القبر ونعيمه"، وكتاب "يوم الفزع الأكبر"⁴.
- وله ربما كتب وتعليقات أخرى لم تصلنا، يقول الذهبي بعد ذكره لكتب القرطبي: "وأشياء تدلّ على كثرة اطلاعه ووفور فضله"⁵.

10/- القرطبيّ والتّصوّف:

يعدُّ الكثير من المتصوّفة أنّ الإمام القرطبيّ من أئمّة الصّوفيّة، وأنّه كان لا يعارض من الصّوفيّة إلا غلاتها، فهو كما قيل عنه إنّّه "كان من عباد الله الصّالحين، والعلماء العارفين الورعين الزّاهدين في الدّنيا، المشغولين بما يعينهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجّه وعبادة وتصنيف"⁶. فقالوا إنّ هذه الصّفات لا تجتمع إلا في صوفيٍّ، عرف الطّريق إلى الله تعالى، فسلك مسلك الاتّقياء الأصفياء، بالتّجرّد من علائق الدّنيا، وتبصّر أمر الآخرة بالعلم الواسع النّافع⁷. واستدلوا على ذلك بما روي عنه من أنّه "كان مطّرحاً للتّكلف، يمشي بثوب واحد، وعلى رأسه

¹ - ينظر: القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص149.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص149.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج18، ص350.

⁴ - ينظر: منهج القرطبي في القراءات وأثرها في تفسيره، جمال عبد الله أبو سحلوب، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، فلسطين، ص35.

⁵ - تاريخ الإسلام، الذهبي، ج50، ص75.

⁶ - طبقات المفسرين، الداودي، ج2، ص69.

⁷ - ينظر: الاتجاه الصّوفي عند أئمّة تفسير القرآن الكريم، جوده محمد أبو اليزيد المهدي، الدّار الجوديّة، القاهرة، مصر ط1، 2007م، ص117.

الباب النظريّ ----- الفصل الثّاني ----- حياة القرطبيّ وآثاره العلمية

طاقية¹. وهذا من علامات تصوّفه، وله بالمِنيا قبر يُزار ويُتبرّك به، بل بُني مسجدٌ كبيرٌ يحمل اسمه، ونُقلت رفات القرطبيّ إليه.

ويستدلّون على تصوّفه ارتضاؤه النّقل عن أئمّة الصّوفيّة وعن تفاسيرهم في جامعهم، فقد نقل عن الإمام سهل بن عبد الله التستري (ت283هـ) في تفسيره (تفسير القرآن العظيم). وعن الإمام أبي عبد الرحمن السّلمي (ت412هـ) في تفسيره (حقائق التفسير). وكان يذكرهم بأهل المعاني أو أهل الإشارات. "ومما لا شكّ فيه أنّ ارتضاء القرطبيّ للنّقل عن هؤلاء الأكابر في كتاب الله تعالى إقرار ضمنيّ بصحة معرفتهم، واستقامة مسلكهم، وصدق تحقّقهم، والاعتداد بفهمهم النّوراني لكتاب الله تعالى"². ويستدلّ المتصوّفة بكثير من المصطلحات الصّوفيّة والنّقولات عن أئمّتهم التي أوردها القرطبيّ في تفسيره، ليستدلوا على تصوّفه.

ورأينا في هذا الأمر الإنكار؛ إذ إنّ النّقل لا يعني الاعتقاد، فالقرطبيّ لم ينقل عن الصّوفية وحدهم، بل نقل حتى عن الفرق الضالّة الأخرى. وغرضه من ذلك جمع الأقوال في المسألة الواحدة. وهذا ما جعل من تفسيره موسوعة تضمّ شتى طوائف المعرفة والآراء. ثمّ إنّ زهده دليل على ورعه وتقواه، لا على تصوّفه؛ فلم يكن الصّوفية وحدهم من زهدوا في ملذّات الدّنيا وحطامها الرّائل.

وأكبر دليل على عدم تصوّفه أنّه على مدار تفسيره كلّها، وكلّ مصنفاته، لم يصرّح بتصوّفه ولا اعتناقه لمذهبهم، مثلما يفعل شيوخ الصّوفية وأئمّتهم. فما كان يمنعه -إنّ كان صوفيا- من أن يصرّح بذلك ويعلن مذهبه. فإنّنا إذا احتجنا إلى التّقييد وراء المصطلحات، وقراءة ما بين السّطور فإنّنا نكون اتّهمنا الإمام القرطبيّ بالنّقيّة، من حيث قصدنا أو لم نقصد. ثمّ إنّ القرطبيّ كان يقبل من التّفسير الصّوفي ما وافق الشّرع واللّغة، وكان يرفضه إذا تناقض مع ذلك، وهذا موقف أهل الاعتدال.

¹ - طبقات المفسرين، الداوودي، ج2، ص70.

² - الاتجاه الصّوفي عند أئمّة تفسير القرآن الكريم، جوده محمد أبو اليزيد المهدي، ص121، 122.

الباب النَّظَرِيّ ----- الفصل الثَّانِي ----- حياة القرطبي وآثاره العلمية

ويرى القسبي أنّ القرطبيّ كان أشعرياً، يدافع عن عقيدة أبي موسى الأشعري، ويهاجم مبادئ وأفكار المعتزلة¹. والنّاظر لتفسيره يرى أنّ القرطبيّ كثيراً ما كان يردّ على اعتقاد المعتزلة ويذكر ما ذهب إليه الأشاعرة بأنّه مذهب أهل السنّة، ولم يكتف القرطبي بمهاجمة المعتزلة فقط بل هاجم بعض الفرق؛ كالكرامية، والإمامية، والرّافضة، والزنادقة، والقرامطة، والمجسّمة. وذكر القسبي أدلّة ذلك. وقال في آخرها: "من هذا العرض تبيّن لنا أنّ القرطبيّ كان أشعرياً، ينتصر لمذهب أهل السنّة، ويدافع عنه... وأنّه لم يقتصر على مهاجمة المعتزلة، بل تعرّض للهجوم على كثير من الفرق السياسية والدينية"².

¹ - ينظر: القرطبي ومنهجه في التفسير، القسبي محمود زلط، ص54.

² - القرطبي ومنهجه في التفسير، القسبي محمود زلط، ص64.

الفصل الثالث

تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

1- مدرسة الأندلس في التفسير.

2- التعريف بالكتاب.

3- مصادره.

4- منهجه.

5- خصائصه ومميزاته.

6- مآخذ على تفسيره.

1/- مدرسة الأندلس في التفسير:

دخل القرآن العظيم إلى الأندلس مع دخول الفاتحين، فدخل قلوب أهلها وفكرهم، وكان موضوع حلقهم، ومقصد مذاكراتهم ومدارساتهم، وانتقلت إلى الأندلس اجتهادات ابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب في التفسير، واطّلعا على تفسير الطبري والماوردي والزّمخشري. "وعليه فإنّ نشأة التفسير في الأندلس تختلف عن نشأته في المشرق؛ فنشأته في المشرق نشأة ولادة وتكوين وأمّا في الأندلس فنلّق وإضافة"¹. والتفريق هذا لا لسبقية أو تفضيل، وإنّما لمنطق زمني ومكاني فالقرآن نزل في المشرق، ومنه نُقل إلى المغرب والأندلس.

وأهمّ أعلام المدرسة التفسيرية في الأندلس وأشهرهم خمسة: أبو بكر بن العربي، وابن عطية، وأبو عبد الله القرطبي، وابن جزيّ الكلبي الغرناطي، وأبو حيّان. وأهمّ ما تمتاز به كتب المفسرين الأندلسيين من خصائص:

- سهولة العبارة ووضوحها، وسلاسة الأسلوب وبُعده عن التّعرّ والتكلف وغموض المعنى. كلّ ذلك مع جزالة في المعنى، وجودة في السبك.
- رسم المنهج في مقدّمة التفسير، فكلّ مفسّر كان يذكر في مقدّمة تفسيره منهجه وطريقته التي سيسلكها. وتكاد تكون هذه الميزة لأهل الأندلس خاصة، دون غيرهم.
- كثرة النقول عن المفسرين، مستفيدين من كتب التفسير التي سبقتهم.
- الاستقلال في الرأي، فمع كثرة النقول لم يغفلوا آراءهم واجتهاداتهم. وربما كانوا ينقلون ليردّوا.
- تمحيص الروايات والأخبار والتّثبت منها.
- الاهتمام بالقراءات، متواترها وشاذّها، والعناية بعلوم القرآن.
- البعد عن التيارات المنحرفة وسلامتها من آراء الفرق المختلفة في العقيدة.
- التوسّع في الأحكام الفقهية، وخير دليل على ذلك تفسير ابن العربي وتفسير القرطبي.
- الإعراض عن المباحث الفلسفية، والمسائل الكلامية، والفروض الجدلية².

¹ - منهج المدرسة الأندلسية في التفسير صفاته وخصائصه، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرّومي، مكتبة التوبة السعودية، ط1، 1417هـ/1997م، ص8.

² - ينظر: منهج المدرسة الأندلسية في التفسير، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرّومي، ص63-68.

2/- التعريف بالكتاب:

هو من التّفسيرات الكبيرة، التي يدلّ اسمها عليها، "جامعٌ لألوان كثيرةٍ من المعارف التي تتعلّق بالقرآن، ويحتاجُ إليها في بيان معانيه، ووجوه تأويله، واستنباط أحكامه، وضبط نصوصه. وتوجيه قراءاته من الإعراب والاحتجاج للقراءات، والتفسير الأثري والفقهية، وإيراد المذاهب الفقهية والعقدية وغيرها، فهو وإن كانت صبغته فقهية - مُعنى كلّ العناية بالنحو والقراءات، ملآن بهما موصول الحرص على أن يذكر في كلّ آية ما يناسبها منهما"¹. وأمّا عن زمن تأليفه، فقد استبعد الباحثون أنّه قد ألّفه في قرطبة؛ لأنّه تحدّث فيه عن سقوط قرطبة وعن مقتل أبيه أثناء ذلك؛ "ولعلّه بدأ في تأليفه بعد ذلك، عندما خرج من قرطبة، ثمّ أكمله عندما استقرّ بالصّعيد"².

تفسير القرطبي كتابٌ ضخّم الحجم، وضعه الإمام القرطبي لتفسير كلام الله تعالى كاملاً. وقد طبعته دار الكتب المصرية في عشرين مجلداً (20) سنة 1933م، وأعدت طبعه سنة 1952م. ثمّ صورته دار الكاتب العربي بالقاهرة سنة 1967م. ثمّ قامت مؤسسة الشعب بالقاهرة بطبعه في ثمانين عدداً (80)³.

وقد حصلنا على نسختين مطبوعتين لهذا الكتاب: أولهما نسخة أصدرتها دار علم الكتب بالرياض سنة 2003م، والنسخة الأخرى، وهي التي اعتمدناها في بحثنا هذا، بعد المقارنة بينهما، وهي نسخة منقّحة مضبوطة، كما أنها أحدث نسخة صدرت لهذا التفسير، أصدرتها مؤسسة الرسالة ببيروت لبنان سنة 2006م، في أربعة وعشرين مجلداً (14). حقّقها الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ولأنّ العمل ضخّم، فقد ساعده جمع من الباحثين هم: محمد رضوان عرقسوسي، وماهر حبوش، وغيث الحاج أحمد، وخالد العواد، ومحمد معتز كريم الدّين، ومحمد أنس مصطفى الخن، ومصطفى بركات، وكامل محمد الخراط، ورضوان مامو وفادي المغربي.

ويتحدّث القرطبي بنفسه عن كتابه معرّفاً، ذاكرًا سبب تأليفه، وطريقة عمله فيه، فيقول: "قلّمًا كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشّرع الذي استقلّ بالسّنّة والفرض، ونزل به أمين

¹ - التّحقيق وكتب التفسير، إبراهيم عبد الله رفيعة، ص 844.

² - القرطبي ومنهجه في التفسير، القسبي محمود زلط، ص 44.

³ - ينظر: القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص 185.

الباب النظريّ ----- الفصل الثالث ----- تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

السماء إلى أمين الأرض، رأيتُ أن أشتغل به مدى عمري، وأستفرغ فيه مُنتي، بأن أكتب فيه تعليقاً وجيزاً، يتضمّن نُكْتاً من التفسير واللغات، والإعراب والقراءات، والرّد على أهل الزيّغ والضلالات وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعاً بين معانيها، ومبيّناً ما أشكل منها، وعملته تذكرةً لنفسي، وذخيرةً ليوم رمسي، وعملاً صالحاً بعد موتي¹.

ثم بيّن طريقة عمله في كتابه فقال: "وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائلها والأحاديث إلى مصنفها... وأضرب عن كثير من قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين، إلا ما لا بدّ منه، ولا غنى عنه للتبيين، واعتضتُ من ذلك تبيين آي الأحكام، بمسائل تُسفر عن معناها وترشد الطالب إلى مقتضاها. فضمنتُ كل آيةٍ تتضمّن حكماً -أو حكماً فيما زاد- مسائل يتبين فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول، والتفسير الغريب والحكم. فإن لم تتضمّن حكماً، ذكرتُ ما فيها من التفسير والتأويل"².

والناظر في تفسيره يرى أن القرطبي قد استطاع -إلى حدّ بعيد- أو يوفي بما اشترطه على نفسه، فكان يعرض لأسباب النزول، والقراءات، وغريب القرآن، وكثيراً ما كان يحتكم إلى الإعراب واللغة، والاستشهاد بأشعار العرب، ثم كان يبيّن ضلالات بعض الفرق؛ كالمعتزلة والروافض ويعترض كذلك على بعض الفلاسفة وغلاة المتصوفة، ولم يُعرض كلياً عن القصص، وإنما أحياناً يروي ما جاء من غرائب القصص الإسرائيلي. كما كان وفيّاً أيضاً في أمانته العلمية؛ إذ ينقل عن السلف كثيراً مما أثّر عنهم في التفسير والأحكام، وينسبُ كل قول إلى قائله، وأمّا من ناحية الأحكام، فكان يُفيض في ذكر مسائل الخلاف ما تعلّق منها بالآيات عن قرب، وما تعلّق بها عن بُعد، مع بيان أدلة كل قول³.

وفي آخر مقدّمته يضبط العنوان بالشكل التام فيقول: "سمّيته ب الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان"⁴. وقد وضعه بالديار المصرية، بعد سقوط الأندلس وارتحاله إلى مصر، ودلّ على ذلك في أكثر من موضع، منها قوله في شرح قوله تعالى: ﴿فَمَا

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص7، 8.

² - المصدر نفسه، ج1، ص8.

³ - ينظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط7، 2000م، ج2، ص337، 338.

⁴ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص8.

الباب النظريّ ----- الفصل الثالث ----- تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

حَصَدْتُ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلَةٍ ﴿﴾ [يوسف:47]. قال القرطبي: "قيل لئلا يتسوس، وليكون أبقى؛ وهكذا الأمر في ديار مصر"¹. وقد ارتأينا قبل الشروع في القول المفصل عن هذا الكتاب، أن نبدأ بأقوال القرطبي نفسه، لنشرع بعد ذلك في الحديث عن منهجه وكذا موضوعاته وأهم خصائصه ومميزاته.

3/- مصادره:

لا شك أن الإمام القرطبي في تفسيره اعتمد على عدّة مصادر من مؤلّفات شيوخه ومن سبقوه من العلماء. والرّائي الممعن في تفسيره تتجلى له عدّة مصادر ذكرها أو أشار إليها القرطبي أثناء كلامه، وهي مؤلّفات ضخمة عديدة، تمثّل كنزا معرفيا معتبرا، وهي مصنّفات غنيّة من حيث كثرتها وتنوّعها. وإشارة القرطبي لها دليل على أمانته العلمية، ووفائه بشرطه السّابق؛ من أنّه سينسب الأقوال إلى أصحابها.

وكثرة نقل القرطبي عن غيره تدلّ أولا على سعة اطلاعه، كما تدلّ آخرا على راحة عقله من خلال تعليقاته التي كان يردفها إثر كلّ نقل من منقولاته. وإذا أجرينا مسحا كاملا دقيقا لتفسيره فإننا نجده قد أشار إلى أكثر من مئتين وستين مصدرا (260)، على اختلاف الموضوعات والتخصصات. فمنها ما أكثر النقل عنها، ومنها ما أقلّ. ونكتفي هنا بذكر أهمها:

أ. كتب التفسير:

1. المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الغرناطي.
2. جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري.
3. أحكام القرآن، للقاضي أبي بكر بن العربي.
4. تفسير الماوردي.
5. تفسير النقاش، ويسمى (شفاء الصدور).
6. تفسير مكي بن أبي طالب القيسي.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج11، ص367.

ب. كتب علوم القرآن:

1. معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس.
2. معاني القرآن، لأبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق.
3. النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ، لأبي جعفر النَّحَّاس.

ت. كتب القراءات:

1. كتاب القراءات (المقصود والممدود)، لأبي عبيد القاسم بن سلام.
2. كتاب البيان، لأبي عمرو الداني.
3. سوق العروس، لأبي معشر الطبري.
4. الحجة في علل القراءات السبع، لأبي علي الفارسي.
5. المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني.

ث. كتب الحديث:

1. صحيح البخاري ومسلم.
2. موطأ الإمام مالك.
3. مسند الإمام أحمد بن حنبل.
4. سنن أبي داود، والترمذي، والنسائي.

ج. كتب الفقه:

1. الكافي في الفقه، لابن عبد البر.
2. التمهيد، لابن عبد البر.
3. القبس، لأبي بكر بن العربي.
4. أحكام القرآن لكيا الطبري.

ح. كتب النحو واللغة:

1. كتاب سيبويه.
2. محكم ابن سيده.
3. صحاح الجوهري.

4. مجمل ومقاييس ابن فارس

5. مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب.

وكتب أخرى، في علوم الحديث، وعلم الاعتقاد الإسلامي، والتَّصَوُّف والأخلاق، والسيرة والتاريخ والتراجم، والنِّقَافَة العامة، وغيرها من عشرات الكتب التي أسهمت في تكوين شخصية القرطبي العلمية، وهي تدلّ على يقظته الفكرية، ونشاطه العلمي¹.

4/- منهجه:

أيّ باحث يريد تصنيف مؤلّفٍ ما، لا بدّ له أن يرسم منهجا أو طريقا يسير من خلاله نحو غايته. فالمنهج هو الخطوات التي يضعها الباحث لأجل إنجاز ما يروم إنجازه. لذا فلا بدّ أن يكون لكلّ منهجٍ فلسفته، وهذا ما يفسّر اختلاف الباحثين في دراسة موضوع واحد، فكلّ منهم فلسفته المنهجية، أو كما عرفه بعض الباحثين المحدثين بقوله: "ولهذا تُستمدُّ فلسفة المنهج من فلسفة الموضوع، فيُصنَّعُ المنهجُ بفلسفة الموضوع"²، أي أنّ فلسفة الموضوع هي التي تحدد فلسفة المنهج؛ لأن المنهج "هو الوعي بالموضوع من خلال الوعي بفلسفته، وبالخطوات التي تُتَّبَع من أجل اكتماله وتبَيّانه"³.

كان التفسير أول أمره يعتمد النّقل؛ أي التفسير بالمأثور. ثمّ ما لبث العلماء يقولون بأرائهم ويجتهدون، وأمّا الإمام القرطبي فكان يجمع في تفسيره بين الرواية الدّراية، "لهذا فهو يعارض اعتماد التفسير على السّماع وحده، وعلى مجرد الرّأي المحض"⁴، فالإمام القرطبي بحنكته العلمية استطاع أن يجمع بين المنهجين في تفسيره، فلا يخرج عن المأثور في ما جاء فيه نصّ يفسّره ويعتمد الرّأي المضبوط فيما غاب عنه نص صريح.

وكان لزاما على الإمام القرطبي أن يضع لنفسه منهجا ينقاد إليه في بحثه، سائرا به بين التفسير والقراءات واللغة وأسباب النزول والأحكام والحديث، فخلال تنقّله بين كلّ هذه المجالات

¹ - القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص 204-212.

² - فلسفة مناهج البحث العلمي، عقيل حسين عقيل، مكتبة مدبولي، 1999م، ص 47.

³ - المرجع نفسه، ص 47.

⁴ - القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص 173.

الباب النظريّ ----- الفصل الثالث ----- تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

كان عليه أن يضبط خطّة السير وطريقة التناول والدراسة. فمن ذلك الاختصار وتجنّب التكرار، إذ كان لا يتحدث مطوّلاً عند مسألة كان قد تناولها في كتاب له آخر، فنراه كثيراً ما كان يحيل على كتبه، ويذكر أنه ذكر ذلك في كتاب آخر. وقد يصل إلى مسألة ما، فلا يعيد الكلام فيها لأنه ذكرها في موضع سابق¹، أو أنه يترك الكلام فيها لأنه سيفصل القول فيها في موضع آت بعد ذلك².

ومما بيّن حسن منهج القرطبي هي المقدّمة التي رأس بها تفسيره، فهو لم يبدأ رأساً بتفسير كلام الله تعالى، وإنما وضع بين يدي القارئ ما هو محتاجٌ إليه من أبواب علمية في التفسير واللغة والفقه والحديث والقراءات والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول.

لقد حوّت مقدّمة التفسير عدّة أبواب مهمّة، تعدّ بحدّ ذاتها كتاباً منفرداً. فقد ذكر جملاً من فضائل القرآن، والترغيب فيه، وفضل طالبيه وقارئه، وطريقة تلاوته، ثمّ التحذير من الرّياء، وما ينبغي على عامله أن يعمل به ولا يغفل عنه. ثمّ تحدّث عن تفسير القرآن وإعرابه، والقراءات وشروطها، وكذا لغات القرآن، والرّدّ على بعض الشبهات والفرق الضّالة. بعد ذلك كان يدخل في السورة، ويبدأ بتعريف السورة والحديث عن نزولها وعن فضلها، وما جاء فيها؛ أي كان يُجملُ ثمّ يفصّل، وفي هذا تمهيد للقارئ وتشويق.

ثم ألزم نفسه في تفسيره بنسبة الأقوال إلى أصحابها، والإحالة على الكتب والمصادر التي تتناول ما يريد الحديث فيه، أو المصادر التي نقل عنها، ثم يقوم بتخريج الأحاديث وذكر أسانيدھا ودرجة صحتها أو ضعفها. كما بسط القول عن الأحكام الفقهية التي كان يستخرجها من مضامين الآيات الفقهية، دون أن نسي التزامه كذلك بذكر أسباب النزول، وتوضيح الغريب والغامض من الألفاظ والعبارات، مع الاستعانة كذلك باللغة والنحو والإعراب كلّما أوجبت الدلالة إلى ذلك.

وكان منهج القرطبي بعد ذلك أن يذكر الآية أو الآيتين، أو مجموعة من الآيات يجرّئها آية فآية، فيبيّن ما فيها من لغة واشتقاق وإعراب، مستشهداً بشعر العرب ونثرها، وكان يذكر في الآية الواحدة أوجه عديدة من الإعراب، وكثيراً ما كان يرجّح أحد الأوجه، ترجيحاً لعلّة لا ارتجالاً، ومن

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص58.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج5، ص88.

الباب النظريّ ----- الفصل الثالث ----- تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

ذلك قوله: "و(أجرا) نُصِبَ بـ (فضّل)، وإنْ شئتَ كان مصدراً، وهو أحسن؛ ولا ينتصب بـ (فضّل) لأنّه قد استوفى مفعوليه، وهما قوله: (المجاهدين) و(على القاعدين)"¹.

وإنْ حَوَتْ الآية ما يتعلّق بالفقه وأحكامه، فصّل وأسهب القول، في شكل مسائل مرتبة ذاكرة آراء المذاهب الفقهية محتجا لرأيه. كما أنّه لا يفصل الآية عن غيرها، فقد يربطها بسابقتها أو بما يشبهها، وهذا دليل على قدرة تحكّمه في معاني القرآن الإجمالية، وأنّ صاحبه لم يبدأ في كتابته إلا بعد أن اكتملت صورته في ذهنه، بشكل أكثر وضوحا، مما يؤكّد أنه كان منهجيا فيما يكتب، بحيث أنّه يدرك الآيات أو الألفاظ التي سبق تفسيرها وإيضاحها"². وكان مع كل آية يبوب ما فيها من معانٍ إلى مسائل، فتقل مسائل بعض الآيات، وقد تكثر مسائل آيات أخرى، بل قد نجد الآية الواحدة تزيد المسائل فيها عن خمسين مسألة³، وقد ورد هذا في كتابه مرات عديدة. وهذا دليل على دقة التفسير، وسعة التبسيط.

وأما من حيث مصادر التفسير، فإنّه اتّبع التسلسل العلمي الصحيح؛ ففسّر القرآن بالقرآن فما أجمل في موضع فصّل في موضع آخر، وإن لم يجد فيلجأ إلى السنّة؛ لأنّها شارحة له ومبيّنة فإن لم يجد فيرجع إلى أقوال الصحابة؛ لأنّهم شهدوا الوحي، وتربّوا على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم-، وإن لم يجد فيأخذ بما أثر عن التابعين والعلماء الراشدين في العلم.

ثمّ إنّّه لم يُغفل عقله، الذي كان يخضعه للشرع، ولم يطلق له العنان، مثلما فعل أصحاب التفسير بالرأي من الفرق الضالة. وفي هذا قال فيه أحد الدارسين: "ومن عادة القرطبي أن يلتزم النصّ عند تفسيره للآية ما أمكنه ذلك، غير أنّ هذا لم يمنعه من التفسير بالرأي المحمود أحيانا. وتراه في غير آيات الأحكام يوجز في مقام الإيجاز، ويطنب في مقام الإطناب. وقد يذكر في الآية الواحدة ثلاثين مسألة أو أكثر"⁴.

وإذا جئنا إلى تطبيق منهج المفسرين على تفسير القرطبي، فإنّه لم يُغفل جانبا من جوانب مناهج المفسرين، بل فسّر القرآن بالقرآن، ثمّ بالسنّة، ثمّ بأقوال الصحابة، فالتابعين، فبالقراءات

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج7، ص60.

² - القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص225.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج4، ص423.

⁴ - اختلاف المفسرين، مسعود بن عبد الله الفنيسان، ص266.

الباب النظريّ ----- الفصل الثالث ----- تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

واللغة والإعراب. وبالبلاغة والمناسبات والأحكام الفقهية. وسنذكر أمثلة على ذلك ليتّضح لنا منهجه بجلاء.

أما تفسير القرآن بالقرآن، فهو أعلى مراتب التفسير، ولا يتعارض معه تفسير آخر، أو نصّ أو رأي سواه. فالله تعالى أعلم بكلامه من خلفه. وهذا المنهج في التفسير هو الغالب على تفسير القرطبي. ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف:1] قال القرطبي: "وليس في القرآن عِوَجٌ؛ أي: عيب؛ أي: ليس متناقضا مختلفا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]. وقيل: أي لم يجعله مخلوقا، كما روي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: 28]. قال: غير مخلوق. وقال مقاتل: ﴿عِوَجًا﴾: اختلافا. قال الشاعر:

أَدُومُ بُوْدِي لِلصَّدِيقِ تَكْرُمًا وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ كَانَ فِي الْوُدِّ أَعْوَجًا¹.

فلاحظ تفسيره هنا لألفاظ القرآن ومعانيها بالقرآن نفسه. بل نراه كذلك في المثال نفسه يستعين بأقوال الصحابة والتابعين وشعر العرب. وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الكهف: 31] اختلف المفسرون وقالوا: لكل واحد منهم ثلاثة أسورة: واحد من ذهب، وواحد من ورق، وواحد من لؤلؤ. فقال القرطبي: "هذا منصوب عليه في القرآن؛ قال هنا: ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ وقال في (الحج) و(فاطر): ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤًا﴾ وفي (الإنسان): ﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾².

وفي موضع آخر، في تفسيره لآية الاستئذان من سورة النور: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيْسَ ذَنْبُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوْفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: 58] قال: "قال العلماء: هذه آية خاصة، والتي قبلها عامة؛ لأنه قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج13، ص 205.

² - المصدر نفسه، ج13، ص 265.

الباب النظريّ ----- الفصل الثالث ----- تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

يُؤْتَا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴿[النور: 28] ثُمَّ خَصَّ هُنَا فَقَالَ: ﴿لَيْسَتْ دِينُكُمْ﴾ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ فَخَصَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَعْضَ الْمُسْتَأْذِنِينَ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا يَتَنَاوَلُ الْقَوْلُ فِي الْأُولَى جَمِيعَ الْأَوْقَاتِ عَمُومًا، وَخَصَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَعْضَ الْأَوْقَاتِ فَلَا يَدْخُلُ فِيهَا عَبْدٌ وَلَا أُمَةٌ، وَغَدًّا كَانَ أَوْ ذَا مَنْظَرٍ، إِلَّا بَعْدَ الْاسْتِئْذَانِ¹.

وأوضح مثال على تفسيره القرآن بالقرآن قوله تفسير: ﴿أَمْ أَمْنُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: 16] قال: "قال المحققون: أمنتكم من في السماء كقوله: ﴿فَيَسْجُوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: 2] أي: فوقها. لا بالمراساة ولا التحيز، لكن بالقهر والتدبير. وقيل معناه: أمنتكم من على السماء؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّبُوا فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: 71] أي: عليها"².

أما تفسيره القرآن بالسنة فيتنجلى في مواضع عدة؛ لأن السنة هي في الموضع الثاني بعد التفسير بالقرآن، فهي شارحة لما جاء فيه، وموضحة له. وقد نقل ابن تيمية عن الشافعي قوله: "كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن"³. وقد قال القرطبي: "وتفسير النبي ﷺ أولى وأعلى وأحسن"⁴.

ومن تفسير القرآن بالسنة، تفسيره للفظه "العبد" في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الكهف: 65] إذ اختلف هل هو الخضر أم عالم آخر. قال القرطبي: "والصحيح أنه كان الخضر بذلك ورد الخبر عن النبي ﷺ"⁵. وفي تفسيره للحساب اليسير في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: 7] أنه الحساب الذي "لا مناقشة فيه، كذا روي عن رسول الله ﷺ"⁶. وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: 12] قال القرطبي: "قيل: المعنى إذا رأتهم جهنم سمعوا لها صوت التغيط عليهم. والأول أصح، لما روي مرفوعاً أن رسول الله ﷺ قال:

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج15، ص328، 329.

² - المصدر نفسه، ج21، ص126.

³ - شرح مقدمة التفسير شيخ الإسلام ابن تيمية، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، السعودية، ص18.

⁴ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص231.

⁵ - المصدر نفسه، ج13، ص324.

⁶ - المصدر نفسه، ج22، ص162.

الباب النظريّ ----- الفصل الثالث ----- تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً، قيل: يا رسول الله، ولها عينان؟ قال: أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: 12] يخرج عنق من النار له عينان تبصران...¹.

وفي قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكْمَلُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: 65] قال القرطبي: "في صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: كنّا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: هل تدرون ممّ أضحك؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: من مخاطبة العبد ربّه يقول: يا ربّ، ألم تُجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى. فيقول: فإنّي لا أُجيزُ على نفسي إلا شاهداً منّي. قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، فقال: فيُختم على فيه فيُقال لأركانه: انطقي. قال: فتتطّق بأعماله، قال: ثمّ يُخلّى بينه وبين الكلام، فيقول: بُعداً لكَنّ وسُحقاً، فعنك كنّت أناضيل²". وفي قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 57] فسرها بأنّها السّماء الرابعة وقال: "وروي ذلك عن النبي ﷺ"³.

ثمّ كان يرجع القرطبيّ إلى الصّحابة وما أثر عنهم؛ لأنّهم تلقوا القرآن من النّبي ﷺ، فهم أعلم النّاس بمعاني القرآن؛ لأنّهم شهدوا نزوله، وحضروا وقائعه. يقول ابن تيمية: "إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنّة، رجعت في ذلك إلى أقول الصّحابة، فإنّهم أدري بذلك؛ لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصّوا بها، ولما لهم من الفهم التّامّ والعلم الصّحيح، لا سيما علماؤهم وكبرائهم من الأئمّة الأربعة الخلفاء الرّاشدين، والأئمّة المهديين"⁴.

ومن مواضع رجوعه إلى فهم الصّحابة تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: 53] اختلّف في معنى ظنّ؛ إمّا بمعنى اليقّين، أو بمعنى التّوهم. فرجع القرطبيّ إلى قول ابن عبّاس: "أيقنوا أنّهم موافعوها"⁵. وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: 58] قال:

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج15، ص373.

² - المصدر نفسه، ج17، ص475.

³ - المصدر نفسه، ج13، ص467.

⁴ - شرح مقدّمة التفسير شيخ الإسلام ابن تيمية، محمّد بن صالح العثيمين، ص129، 130.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج13، ص308.

الباب النظري ----- الفصل الثالث ----- تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

"قال ابن عمر وابن عباس ومجاهد: المقام الكريم: المنابر"¹. وقال في موضع آخر: "وقال عمر بن الخطاب في قول الله عز وجل: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات:22] قال: الزاني مع الزاني، وشارب الخمر مع شارب الخمر، وصاحب السرقة مع صاحب السرقة، وقال ابن عباس: وأزواجهم: أي: وأشباههم، وهذا يرجع إلى قول عمر"². ومثله في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات:77] قال: "قال ابن عباس: لما خرج نوح من السفينة مات من معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءه"³.

وفي قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان:24] نقل أقوال الصحابة؛ قال قتادة: "أحسن مقيلاً: منزلاً ومأوى"⁴. وقال ابن مسعود: "لا ينتصف النهار يوم القيامة من نهار الدنيا حتى يقل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار"⁵. وقال ابن عباس: "الحساب من ذلك اليوم في أوله، فلا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار"⁶.

وما لم يجده عند الصحابة كان يرجع إلى أقوال التابعين وتأويلاتهم، فهم قد تلقوا تفسير القرآن عن الصحابة. قال ابن تيمية: "إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبير، فإنه آية في التفسير"⁷.

فمن مواضع رجوعه إلى تفسير التابعين قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:89] فقال: "واختلّف في القلب السليم، فقل: من الشكّ والشرك، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد. قاله قتادة وابن زيد وأكثر المفسرين. وقال سعيد بن المسيّب: القلب السليم: الصحيح

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج16، ص30.

² - المصدر نفسه، ج18، ص23.

³ - المصدر نفسه، ج18، ص47.

⁴ - المصدر نفسه، ج15، ص398.

⁵ - المصدر نفسه، ج15، ص398.

⁶ - المصدر نفسه، ج15، ص398.

⁷ - شرح مقدّمة التفسير شيخ الإسلام ابن تيمية، محمّد بن صالح العثيمين، ص138.

الباب النظريّ ----- الفصل الثالث ----- تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

وهو قلبُ المؤمن؛ لأنَّ قلبَ الكافر والمنافق مريض، قال الله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة:10]. وقال أبو عثمان النيسابوري: هو القلب الخالي عن البدعة، المطمئن إلى السنّة. وقال الحسين: سليمٌ من آفة المال والبنين. وقال الجُنيد: السّليم في اللّغة: اللّديغ؛ فمعناه: أنّه قلبٌ كاللّديغ من خوف الله، وقال الضّحّاك: السّليم: الخالص¹.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [النمل:87] اختُلف في المستثنين من الفزع، ففي حديث أبي هريرة أنّهم الشّهداء عند ربّهم يرزقون، إنّما الفزع يصل إلى الأحياء، وهو قول سعيد بن جبیر أنّهم الشّهداء متقلّدون السيّوف حول العرش. وقال القشيري: الأنبياء داخلون في جملتهم؛ لأنّه لهم الشّهادة مع النّبوة. وقيل: الملائكة. قال الحسن: استثنى طوائف من الملائكة يموتون بين النّفختين. قال مقاتل: يعنى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وقيل الحور العين. وقيل هم المؤمنون؛ لأنّ الله تعالى قال عُقِبَ هذا: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل:89] وقال بعض علمائنا: والصّحيح أنّه لم يرد في تعيينهم خبرٌ صحيح والكلُّ محتمل².

وفي تفسيره اعتنى بالقراءات وتوجيهها، فيذكر في الآية ما فيها من قراءات متواترة أو شاذة. فاتّساع القراءات واختلافها باب من أبواب فهم الآية. فهذا مقام الكلام عن القراءات من حيث علاقتها بالإعراب دلالة، مختصراً في الإشارة، دون بسط القول في تعريفها، متواترها وشاذّها فليس هذا مقتضى مقامنا، إنّما نكتفي بأن نقول: إنّ القرطبي في تفسيره كثيراً ما كان يذكر للآية الواحدة أوجه من القراءات، التي كانت تؤثر في معنى الآية ودلالاتها، من باب تغيير وجهها الإعرابي، فينجز عن تغيير الإعراب تغيير الدلالة.

وأما القراءات الشاذة، فموقف القرطبي منها مختلف؛ إذ مرّة يذكرها ويرجّحها، ومرّة تختفي هذه القراءات من ترجيحاته للقراءات المتواترة. وربما دافع عن القراءة، ولو اعترض عليها جمعٌ من النّحاة. وإنما ذكرنا هذا الباب من علم القراءات لأنّنا استبعدناه من الدّراسة التطبيقية مفصلاً وذكرناه للتنبيه عليه؛ ذلك أنّه كثيراً ما أورد في تفسيره تخريجا إعرابيا لبعض القراءات المتواترة أو

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج16، ص44.

² - المصدر نفسه، ج16، ص219.

الباب النظريّ ----- الفصل الثالث ----- تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

الشاذة. بل اكتفينا بالتفسير على قراءة عاصم، التي ارتضاها القرطبي، ونظنُّ أنه اختار قراءة عاصم؛ لأنها كانت المشهورة بالديار المصرية، ولو أنه استقدّم تصنيف تفسيره بأرض الأندلس لكان أميل إلى قراءة نافع، لأنها قراءة أهل الأندلس آنذاك.

وما يدعونا إلى استبعاد الإشارة إلى مواضع القراءات، وتفصيل القول فيها في التطبيق -إلاّ إشارةً وذكرًا عَرَضِيًّا- لآيةٍ ما أنَّ غيرنا من الباحثين سبقنا إليها، فقد وجدنا من عُنِيَ في بحثه بالقراءات في تفسير القرطبي وما تتحصل عنها من دلالات ودور في التفسير والتأويل¹. فوددنا أن لا نعيد القول فيها؛ تحاشيا للتكرار والإطناب.

ومن هذا؛ فإنَّ اختلاف القراءات فيه اتّساعٌ للمعاني؛ ومنه قوله تعالى: ﴿لَوَاطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ [الكهف:18] قال القرطبي: "وقرأ نافع وابن كثير وابن عباس وأهل مكة والمدينة: لَمُلِئْتَ منهم، بتشديد اللام على تضعيف المبالغة؛ أي: مُلِئْتُ ثم ملئت. وقرأ الباقون: لَمُلِئْتُ، بالتخفيف، والتخفيف أشهر في اللغة"². أو قد يتغيّر الإعراب من قراءةٍ إلى أخرى مثل ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ [يونس:89]. قال القرطبي: وقرأ عليّ والسلمي: (دَعَوَاتُكُمَا) بالجمع، وقرأ ابن السّمِيع: (أَجَبْتُ دَعْوَتُكُمَا) خبرا عن الله تعالى، ونَصَبَ دعوةً بعده³. فقد رأينا في لفظة (دَعْوَتُكُمَا) كيف تغيّر المفرد إلى جمع، والمرفوع إلى منصوب.

وقد يتغيّر اللفظ كلّهُ، من لفظةٍ إلى أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿نُجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس:92] ذكر القرطبي القراءة الشاذة: (بِنْدَائِكَ) والتي "يرجعُ معناها إلى معنى قراءة الجماعة"⁴. مع ما بين اللفظتين من تقاربٍ؛ شكلاً ومعنى. وقد يتغيّر اللفظ من الاسم إلى الفعل؛ نحو قوله تعالى: ﴿لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً﴾ [يونس:92] ذكر القرطبي من قرأ (خَلَقَكَ) فعلاً، ومن قرأ: (خَلَقَكَ)⁵، فأبطل الفاء قافاً.

¹ - ينظر مثلاً: منهج القرطبي في القراءات وأثرها في تفسيره، جمال عبد الله أبو سحلوب، الجامعة الإسلامية، كلية الأصول، رسالة ماجستير.

² - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج13، ص235.

³ - المصدر نفسه، ج11، ص42.

⁴ - المصدر نفسه، ج11، ص50.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه، ج11، ص50، 52.

الباب النَّظَرِيّ ----- الفصل الثالث ----- تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

وبعد هذه الآليات المنهجية التي كان يعتمد عليها في تفسيره كان يرجع إلى اللغة والإعراب والبلاغة، ودلالة الألفاظ وأسباب النزول، وغيرها من الخصائص، التي امتاز بها تفسيره؛ سنعدّد بعضها -إن شاء الله- في حديثنا عن خصائص تفسيره ومميزاته.

5/- خصائصه ومميزاته:

من خصائص هذا الكتاب خلوّه من التّعصّب، فالقرطبي منصفٌ لا يتعصّب في إبداء رأيه والرأي المخالف، ولا يتعصّب لمذهبه المالكي، بل يمشي مع الدليل حتى يصل إلى ما يرى أنّه صواب، مهما كان قائله¹. كذلك نجده كثيرا ما يدفعه إنصافه إلى أن يقف موقف الدّفاع عمّن يهاجمهم ابن العربي المخالفين، مع توجيه اللوم إليه أحيانا، بسبب ما يصدر منه من عبارات قاسية في حق من خالفه من علماء المسلمين².

وقد قال فيه محمد حسين الذهبي في آخر دراسته لتفسير القرطبي: "وعلى الجملة؛ فإنّ القرطبيّ -رحمه الله- في تفسيره هذا حرٌّ في بحثه، نزيهٌ في نقده، عِفٌّ في مناقشته وجدله، ملّمٌ بالتفسير من جميع نواحيه، بارع في كلّ فن استطرد إليه وتكلّم فيه"³. وقال فيه الإمام الذهبي: "وقد سارت بتفسيره الرّكبان، وهو كاملٌ في معناه"⁴. وتأثّر بتفسيره الكثير من المفسّرين الذين جاؤوا من بعده؛ كابن كثير والشوكاني وغيرهما.

وقد وضع العلماء قديما الكثير من الشروط التي تعدّ أدوات مهمّة يد كل مفسّر؛ منهما اشتراطهم أن يكون المفسّر محيطا بخمسة عشر علما؛ هي: اللغة، والاشتقاق، والتّصريف، والنحو والمعاني، والبيان، والبديع، والقراءات، وأسباب النزول، والآثار والأخبار، والسّنن، وأصول الفقه والفقه والأخلاق، والنّظر والكلام، والموهبة. فعلم اللغة هو معرفة الألفاظ المفردة بحسب دلالاتها. وعلم الاشتقاق هو معرفة نسبة بعض الألفاظ المفردة إلى بعض. وعلم التّصريف هو معرفة الأبنية والصّيغ. وعلم النّحو يُقصدُ به معرفة أحكام ما يعرّضُ للألفاظ في تراكيبها من الإعراب. وعلوم

¹ - ينظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ج2، ص338.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص340.

³ - المرجع نفسه، ج2، ص341.

⁴ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للحافظ شمس الدين الذهبي، ج50، ص75.

الباب النَّظَرِيّ ----- الفصل الثالث ----- تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

المعاني والبيان والبدیع هي من علوم البلاغة التي تعرف بها خواص تراکيب الکلام من جهة إفادتها المعنى.

وبعلم القراءات يعرف القارئ كيفية النطق بالقرآن، وبه يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض، كما يدخل في موضوعها التکيف الصوتي للحروف، وهو داخل في علم الصوتيات العربية أو علم التجويد. ولا بد لمعرفة ما يتعلق بالأسباب التي نزلت عندها الآيات من الاطلاع على الكتب المدونة في أسباب النزول. وعلم الآثار والأخبار يبحث في شرح القصص التي تنطوي عليها السور القرآنية.

والمقصود بالسنن هو العلم الذي نُقِلَ عن النبي ﷺ وعن الصحابة الذين شهدوا الوحي. وعلم أصول الفقه هو معرفة الناسخ والمنسوخ، والعموم والخصوص والمحکم والمتشابه، وغير ذلك. وعلم الفقه والأخلاق يبحث في معرفة أحكام الدين وآدابه، وآداب سياسة النفس والأقرب والرعية. وأما علم النظر والكلام فهو معرفة الأدلة العقلية، والبراهين الحقيقية والفرق بين المعقولات والمظنونات، وغير ذلك. وعلم الموهبة هو ما يورثه الله من عمل بما علم واتقى وأحسن¹.

وسنحاول البحث عن هذه الشروط، وهل استطاع القرطبي توفيرها في تفسيره، وهل أحاط ولو نسبيا بكل هذه العلوم حتى يتصدى لتفسير كلام الله عز وجل. فمن حيث اللغة فإن القرطبي كثيرا ما كان يناقش اللفظ ودلالاته، وتصريفاته واشتقاقاته، وستند في ذلك إلى أئمة اللغة المبرزين ويستشهد بكلام العرب شعرها ونثرها. وكثيرا ما كان يناقش هذه الآراء، إما تأييدا وإما تنفيذاً، بأدلة وشواهد وبراهين. ومن أمثلة ذلك شرحه للفظة ﴿سَتَعِيرُ﴾ [الفاتحة: 05] وذكر ما فيها من لغات العرب وتحليل اشتقاقاتها².

وفي مجال علم القراءات فهو بارز جداً في تفسيره؛ إذ نراه في كل آية تقريباً يذكر الوجوه التي قُرئت بها، مبيناً درجة القراءة، وكان يميل إلى قراءة الجمهور. ومثال ذلك في ذكره قراءة (مالك، أو مَلِك، أو مَلْكَ، أو مَلِيكَ) من قوله تعالى: ﴿مَلَأَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 04]، مبيناً

¹ - ينظر: القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص 168 - 170.

² - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 1، ص 226.

الباب النظريّ ----- الفصل الثالث ----- تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

ما فيها من قراءات¹. وكما أسلفنا، فإنّ طالب العلم الباحث في علم القراءات سيجد ضالّته في هذا التفسير، الذي استطاع القرطبيّ أن يُلمّ فيه كلّ ما اشتهر واعتمد من قراءات، ذاكرًا إيّاها، وشارحًا مواطن الاختلاف ومعلّلاً بها.

وأما من حيث أسباب النزول، فهذا من العلوم النقليّة التي لا اجتهاد فيها، ولا يكون الكلام فيها إلا بنصّ صريح صحيح في تواتره، سليم في سنده. وذكر سبب النزول يعين كثيرًا في إيضاح المعاني، وإبراز الدلالات، وإقامة الأحكام. فتفسير بعض الآيات يقوم أساسًا على معرفة أسباب نزولها. قال ابن تيمية: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبّب"².

وإذا نظرنا إلى تفسير الجامع، وجدنا للقرطبيّ حظًا وفيرًا من هذا العلم، فقلّما يغفل في تفسير الآيات عن ذكر ما ورد فيها من روايات حول أسباب نزولها. وكان يعلّق على هذه الرواية ويبني تفسيره عليها. وهذا ما حدث في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 64] فذكر ما ورد في سبب نزولها. ثمّ علّق واحتجّ لرأيه³. ويتبع هذا باب مهم من أبواب علوم القرآن، وهو معرفة الناسخ والمنسوخ، وهو باب ضروري لإقامة الأحكام الفقهيّة على ضوءه، وما كان يغفله، أيضًا، الإمام القرطبي في كتابه. قال في أهمية تعلم علم الناسخ والمنسوخ في القرآن العظيم: "معرفة هذا الباب أكيدة، وفائدته عظيمة، لا يستغني عن معرفته العلماء، ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء، لما يترتّب عليه من النوازل في الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام"⁴.

وأما السّنن، وأحاديث النبي ﷺ وما جرى في عهده وفي عهد صحابته فإنّ الإمام القرطبيّ اهتمّ بهذا الجانب اهتمامًا كبيرًا؛ إذ بعلم السّنن "يعرف المفسّر بيان ما أجمله القرآن، وتفسير ما

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص215، 216.

² - مقدّمة في أصول التفسير، ابن تيمية، تح: عدنان زرزور، ط2، 1392هـ/ 1972م، ص47.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج10، ص67، 68.

⁴ - المصدر نفسه، ج2، ص300.

الباب النظريّ ----- الفصل الثالث ----- تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

كان مشكلاً، وتحقيق ما كان منه محتملاً¹. ومثال ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: 60] فذكر سبب نزول هذه الآية وهو ما رواه ابن عمر فقال: "خرجنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من الثمر ويأكل فقال: يا ابن عمر ما لك لا تأكل، فقلت: لا أشتهيه يا رسول الله. فقال: لكنني أشتهيه، وهذه صبيحة رابعة لم أذق فيها طعاماً، ولو شئتُ لدعوتُ ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قومٍ يُخبئون رزقَ سنتهم ويضعفُ اليقين. قال: والله ما برحنا حتى نزلت: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾"².

والقرطبي يضعفُ هذه الرواية ويقول: "وهذا ضعيفٌ يضعفه أنه عليه الصلاة والسلام كان يدّخر لأهله قوت سنتهم، اتفق عليه البخاري ومسلم، وكانت الصحابة يفعلون ذلك وهم القدوة"³. وأما من حيث علم أصول الفقه، وعلم الفقه والأخلاق، فقد بلغ فيهما شأواً عظيماً، ولا شك أن تتلمذه على كبار الفقهاء والأساتذة العلماء الذين برزوا في كل فنٍّ من فنون العربية والشريعة كان له أثره العميق على تكوين شخصيته الفقهية، بالإضافة إلى ما منحه الله من قوة البصيرة وحدة الذاكرة، وحسن الفهم⁴. مثال ذلك تعرضه لتعريف المصلحة والمفسدة في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَكُونُونَ﴾ [يوسف: 47]، إذ يقول: "هذه الآية أصلٌ في القول بالمصالح الشرعية؛ التي هي حفظ الأديان، والنفوس، والعقول والأنساب، والأموال. فكلُّ ما تضمنَ تحصيلَ شيء من هذه الأمور فهو مصلحة، وكلُّ ما يفوت شيئاً منها فهو مفسدة ودفعه مصلحة. ولا خلاف أن مقصود الشرائع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية ليحصل لهم التمكن من معرفة الله تعالى وعبادته الموصلتين إلى السعادة الأخروية، ومراعاة ذلك فضلٌ من الله

¹ - القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص 179.

² - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 16، ص 384.

³ - المصدر نفسه، ج 16، ص 384، 385.

⁴ - القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص 180.

الباب النَّظَرِيّ ----- الفصل الثالث ----- تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

ورحمةً رحم بها عباده، من غير وجوبٍ عليه ولا استحقاق. هذا مذهب كافة المحققين من أهل السنّة أجمعين، وبسطه في أصول الفقه¹.

أمّا من حيث علم النَّظر والكلام، فإنّه كان يرى برأي أهل السنّة، وكثيرا ما كان يردُّ على الفرق الضّالة، ويدخل في جدالاتهم، ويقيم عليهم الحجة الدامغة والبراهين القاطعة، مستخدما منطقهم وفكرهم؛ إذ كان القرطبي على علم واطّلاع بهذا العلم، متمكّنا فيه. قال في معرض تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْهُكْمُ لِلَّهِ وَحْدَهُ﴾ [البقرة: 163]: "لَمَّا حَذَّرَ اللهُ تَعَالَى مِنْ كِتْمَانِ الْحَقِّ بَيَّنَّ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَجِبُ إِظْهَارُهُ وَلَا يَجُوزُ كِتْمَانُهُ أَمْرُ التَّوْحِيدِ. وَوَصَلَ ذَلِكَ بِذِكْرِ الْبِرْهَانِ، وَعِلْمِ طَرِيقِ النَّظَرِ، وَهُوَ الْفِكْرُ فِي عَجَائِبِ الصَّنْعِ، لِيُعْلَمَ أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ فَاعِلٍ لَا يَشْبَهُهُ شَيْءٌ"².

وفي موضعٍ آخر، كان يتحدّث عن تنوّع مخلوقات الله، وعن أغذية الناس من طعامٍ متنوّع وشرابٍ مختلف ذوقا ولونا، قال: "فَأَيْنَ الطَّبَائِعُ وَأَجْنَاسُهَا، وَأَيْنَ الْفَلَاسِفَةُ وَأَنَاسُهَا، هَلْ فِي قُدْرَةِ الطَّبِيعَةِ أَنْ تَتَّقِنَ هَذَا الْإِتْقَانَ، أَوْ تَرْتَّبَ هَذَا التَّرْتِيبَ الْعَجِيبَ"³. ويقول في موضعٍ آخر: "ذهبت الكفرة -لعنهم الله- إلى أَنَّ كُلَّ حَادِثٍ يَحْدُثُ بِنَفْسِهِ لَا مِنْ صَانِعٍ، وَادَّعَوْا ذَلِكَ فِي الثَّمَارِ الْخَارِجَةِ مِنَ الْأَشْجَارِ، وَقَدْ أَثَرُوا بِحُدُوثِهَا، وَأَنْكَرُوا مُحْدِثَهَا، وَأَنْكَرُوا الْأَعْرَاضَ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ بِحُدُوثِ الثَّمَارِ لَا مِنْ صَانِعٍ، وَأَثْبَتُوا لِلْأَعْرَاضِ فَاعِلًا. وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْحَادِثَ لَا بَدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ أَنَّهُ يَحْدُثُ فِي وَقْتٍ، وَيَحْدُثُ مَا هُوَ مِنْ جِنْسِهِ فِي وَقْتٍ آخَرَ. فَلَوْ كَانَ حَدُوثُهُ لِاخْتِصَاصِهِ بِهِ لَوَجِبَ أَنْ يَحْدُثَ فِي وَقْتِهِ كُلِّ مَا هُوَ مِنْ جِنْسِهِ. وَإِذَا بَطَلَ اخْتِصَاصُهُ بِوَقْتِهِ، صَحَّ أَنَّ اخْتِصَاصَهُ بِهِ لِأَجْلِ مُخَصَّصٍ خَصَّصَهُ بِهِ، وَلَوْلَا تَخْصِيسُهُ إِيَّاهُ لَمْ يَكُنْ حَدُوثُهُ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ بَعْدَهُ. وَاسْتِيفَاءُ هَذَا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ"⁴.

كما يزخر تفسيره بمادّة غزيرة في اللّهجات العربية، فحين توسّع في الباب الصّرفي، كان يتطرّق إلى لهجات العرب، ويذكر اختلافها وتنوّعها، بل يُعدُّ هذا التّفسير معينا كبيرا للباحثين في

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج11، ص 367.

² - المصدر نفسه، ج2، ص488، 489.

³ - المصدر نفسه، ج9، ص52.

⁴ - المصدر نفسه، ج12، ص10.

الباب النظريّ ----- الفصل الثالث ----- تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

علم اللهجات العربيّة، فكان يتطرق إلى بعض لغات القبائل النادرة الاستعمال، فيضفي على التفسير بعض النكت وطريف الأخبار؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ [هود:39] إذ نَقَلَ عن الكسائي: "أَنَّ أناساً من أهل الحجاز يقولون: سَوْ تعلمون، وقال: من قال: ستعلمون، أسقط الواو والفاء جميعاً. وحكى الكوفيون: سَفَ تعلمون، ولا يعرف البصريون إلا: سَوْفَ تفعل، وستفعل لغتان ليست إحداها من الأخرى"¹.

واستشهد بالشعر كثيراً، وورد ذلك في سياق الاستدلال اللغوي في بعض القضايا اللغوية وأبواب الإعراب المختلفة. فاستشهد من الجاهليين بامرئ القيس، وعنتر، وزهير، والحارث بن حلزة وعُدَيّ بن زيد، وعمرو بن كلثوم. ومن المُخَضَّرمين بحسّان بن ثابت، وليبد، والحطيئة. ومن الإسلاميين بجريز، والفرزدق، والأخطل، وذو الرُّمّة، وجميل بن مَعمر².

كما تطرّق إلى جانب مهم من جوانب دراسة دلالة الألفاظ، التي يشتغل عليها علم فقه اللغة، فيذكر كثيراً من أبواب الاشتقاق والتّرادف والاشتراك والتضاد والنحت والمطلق والمقيّد وغيرها، وقد استخرجها بإسهاب القصبي في كتابه³. وأهميّة هذا التفسير تكمن، أيضاً، كما ذكر بعض الباحثين⁴، في رجوعه واعتماده على بعض المصادر النفيسة، التي أصبحت اليوم مفقودة. مثل كتاب معاني القرآن لأبي بكر بن الأنباري، وكتاب معاني القرآن لابن كيسان. ونقل عنهما كثيراً من نصوصهما.

6/- مأخذ على تفسيره:

يظهر القرطبي من خلال تفسيره ذا عقلية علمية دقيقة في التحريّ عمّا ينقل، وهو الذي كان قد اشترط على نفسه إسقاط ما لم يصح من الروايات والقصص والأساطير المسماة بالإسرائيليات. لكننا كنا نجد في تفسيره ما يعترض مع هذا، فمن العجيب أن يرتضي القرطبي

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج11، ص113، 114.

² - ينظر: القرطبي ومنهجه في التفسير، القصبي محمود زلط، ص277. وينظر الفهارس العامة ل: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج23، ص327 وما بعدها.

³ - ينظر: القرطبي ومنهجه في التفسير، القصبي محمود زلط، ص237 وما بعدها.

⁴ - ينظر: دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، صاحب أبو جناح، ص348.

الباب النظريّ ----- الفصل الثالث ----- تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

بعض الروايات التي لا سند يعضدها، فيذكرها ويرويها في تفسيره. بل إن بعض الروايات لا يقبلها العقل السليم والمنطق الصحيح، وهي أقرب منها إلى الخرافة.

فقد ذكر القرطبي في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة:

255] روايةً إسرائيل عن السُّدِّي عن أبي مالك قوله: "إِنَّ الصَّخْرَةَ التي في الأرض السابعة ومنتهى الخلق على أرجائها، عليها أربعة من الملائكة، لكل واحد منهم أربعة وجوه: وجه إنسان ووجه أسد، ووجه ثور، ووجه نسر، فهم قيامٌ عليها، قد أحاطوا بالأرضين والسماوات، ورؤوسهم تحت الكرسي، والكرسي تحت العرش، والله واضعٌ كرسيه فوق العرش"¹.

وقد استغرنا نقله لهذه الرواية، ولغيرها من الروايات التي لا تصح نقلاً ولا عقلاً، وهو الذي كان يلوم غيره إذا نقل ما لا يصح. وهو الذي قال في موضع آخر من كتابه: "والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات، فأعرض عن سطورها بصرك، واصمم عن سماعها أذنيك فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالاً، ولا تزيد فؤادك إلا خبالاً"². ونظائر هذا في تفسيره كثير.

ومما يؤخذ عليه في نقله هذه الإسرائيليات أنه لم يعلّق عليها، ولم يبين بطلانها، ولا ندري سبب ذلك؛ لأنّ ذكر مثل هذه الخرافات يشوّه نصاعة الإسلام، ويسيء إلى القرآن، ويحطّ من قيمة التفسير. ولولا أنّه قلّ من ذكر هذه الإسرائيليات ولم يُكثِر، لكان للعلماء قول آخر في هذا التفسير.

ومما يؤخذ عليه أيضاً كثرة النقول في تفسيره، وكانت معظم الأقوال التي ينقلها عن غيره يتصرف فيها، إذ لاحظ المحققون والباحثون بعض الاختلاف بين النصوص الأصلية في مصادرها، وبين النصوص التي نقلها الإمام القرطبي في تفسيره³. وقد نبّر له ذلك، فكثرة النقل ربما كانت من عادة سلفنا، ليعضدوا ما يذكرون من مسائل، أو ليعطوا أقوالهم بعض المصادقية لأن أقوال السلف حجة للخلف. كما أننا نبّر له الاختلاف بين ما ينقله من أقول وبين النصوص

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج4، ص276.

² - المصدر نفسه، ج18، ص215.

³ - ينظر: القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، ص204-212.

الباب النظريّ ----- الفصل الثالث ----- تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

في مصادرها الأصلية، أنه ربما كان ينقل من نسخ أخرى لم تصلنا، أو أنه كان يتصرف فيها لداع علمي لا يطعن في أمانته العلمية، فقد يستدعي النقل حذف ما لا ضرورة إليه.

ويؤخذ عليه كذلك انفراده ببعض الآراء والاجتهادات التي تخالف ما أجمع عليه جمهور الأمة، منها قوله بنبوة مريم عليها السلام؛ لأن الله تعالى أوحى لها بوسطة الملك، مثلما أوحى إلى سائر الأنبياء؛ ولأنها ممّن وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم - بالكمال، والكمال جزء من النبوة¹. وهذا يخالف ما ذهب إليه العلماء، الذين قالوا بأنه ليس في النساء نبية، كما أن الوحي ليس من علامات النبوة، فكثير ممن أوحى الله إليهم ليسوا أنبياء، "فالله أرسل ملكا لرجل يزور أبا له في قرية أخرى، وقصة الأقرع والأبرص والأعمى معروفة"².

كما أن الكمال لم يكن لمريم وحدها، وإنما لأربع من النساء، منهنّ فاطمة وخديجة، وليستا بنبيتين. ومن الآراء التي انفرد بها كذلك قوله بأنّ الذبيح في قصة إبراهيم، ليس هو إسماعيل، بل إسحاق³، عليهم السلام جميعا، وهذا لا يصحّ، ولا شكّ أنّ الروايات القائلة بذلك، هي من الإسرائيليات المدسوسة الموضوعة.

ومما يؤخذ عليه أيضا ميله الشديد إلى الأحكام الفقهية، فقد جعل المسائل الفقهية تطغى على المسائل التفسيرية في كتابه. حتى كأنّ القارئ يظهر له أنّ القرطبيّ فقيه أكثر منه مفسرا ففي المسألة الواحدة يذكر زحما كبيرا من أقوال الفقهاء، ويقدم رأيه ومذهبه، وينتقد آراء مخالفيه رأيا برأي، "وهذا الأسلوب طريقة الفقهاء لا المفسرين"⁴. وهذا ما جعل بعض المصنّفين والباحثين يصنفون تفسيره في باب التفسير الفقهي.

ثمّ ممّا لاحظناه في تعريف الكلمة، قوله: "وأما الكلمة فهي الصورة القائمة بجميع ما يختلط بها من الشبّهات"⁵. ولم نفهم معنى هذا التعريف، وبخاصة لفظة (الشبّهات) إلا بعد اطلاعنا على

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص126، 127.

² - الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سليمان، ص126.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج18، ص61، 62.

⁴ - اختلاف المفسرين، مسعود بن عبد الله الفنيسان، ص268.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص108.

الباب النَّظَرِيّ ----- الفصل الثالث ----- تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

تعريفه للحرف، قائلاً: "وأما الحرف فهو الشُّبْهَةُ القائمة وحدها من الكلمة"¹. ولسنا نعلم سبب تسميته الحرف بها، ولا مدلولها عنده، ولم نقف عليها عند غيره. وقد نتأوّل أنّه إنما شبهها بالكلمة ولمّا كانت كأنها كلمة، لكنّها دونها، كانت شَبْهَهَا.

ومما يلاحظ على القرطبي في تفسيره لفواتح السور، إيغاله في تأويل الحروف المقطعة المعجزة التي تبدأ بها بعض السور، ويذكر شتى الأقوال التي لا ترقى إلا إلى اجتهد تأويلي ظني غير قطعي. فنراه ينقل عن غيره، في بداية سورة الشورى، قاصداً: ﴿حَمَّ ۝ عَسَقَ ۝﴾ [الشورى: 1-2] أنّ الحاء جِلْمُهُ والميم مجده، والسين سنائه، والقاف قدرته. أو أنّ الحاء من الرحمن والميم من المجيد، والعين من العليم، والسين من القدّوس، والقاف من القاهر. ونقل أيضاً أنها اسم للجبل المحيط بالدنيا. وذكر في آخر كلامه أنّها واردة في النبي ﷺ فالحاء حوضه المورود، والميم ملكه الممدود، والعين عزّه الموجود، والسين سنائه المشهود، والقاف قيامه في المقام المحمود وقربه في الكرامة من المَلِكِ المعبود²؛ وهذا لأنه كان لا يُغْفَل في كل آية أقوال المفسّرين والمؤوّلين، مهما كانت من المعقول والمنقول قُرْباً وبعُدًا.

من كلّ هذا الذي تقدّم، نستشف أنّ تفسير القرطبي هو جامعٌ بحقّ، لكلّ ما قد يخطر ببال القارئ، وما ينتابه من تساؤل، ويحتاجه حول كلّ آية من آيات الذكر الحكيم، بل حول كلّ كلمة من كلماته. فقد كان يستشعر، رحمه الله، وهو يضع هذا التفسير، قُدسيّة وعظمة كلّ كلمة من كلماته، فكان يقف عند كلّ كلمة، ما وسّع الجهد، فيذكر فيها كلّ أوجه التفسير والتأويل، وكلّ حكم من أحكام الفقه، وما فيها من أخبار ولغات وقراءات، وأوجه أخرى. كلّ ذلك جعل من هذا المُصنّف أمّا في بابه، لا يستغني عنه المتخصّص، ولا المبتدئ.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص109.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج18، ص442.

البَابُ التَّطْبِيقِي

الفصل الأول

المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

- 1- المعنى النحوي.
- 2- الابتداء / المبتدأ والخبر.
- 3- كان وأخواتها.
- 4- ظن وأخواتها.
- 5- أفعال المقاربة.
- 6- أفعال الرجاء.
- 7- أفعال الشروع.
- 8- إنَّ وأخواتها.
- 9- الصفة / النعت.
- 10- البدل.
- 11- التوكيد.
- 12- الإضافة / المضاف والمضاف إليه.

1. المعنى النحوي:

لم نقصد بدرسنا هذا مسائل النحو والصرف واللغة، وإنما قصدنا إلى مسائل الإعراب ومعانيها لا غير، وأثر ما كان يُعرب في توجيه دلالة الآية، وتفسير معناها العام. وقصدنا من مسائل الإعراب ما له مُتَعَلِّقٌ بالآيات المُفسَّرة، لا ما كان يُخْرَجُ فيه الإمام عن الآية، مُسْتَطَرِّدًا في بعض مسائل الإعراب، مما ليس له صلة بالآية المُفسَّرة، فإنَّ ذلك كثيرٌ يشق حصره وبيانه.

وإذا نظرنا إلى العلاقة بين الإعراب والمعنى نرى أنها قضية فلسفية مشكلة، فأيهما الأصل السابق، وأيهما الفرع المستنتج اللاحق¹؟ فالظاهر أنهما إلى بعضهما يحتكمان، فهل الإعراب لا يأخذ وضعه السِّلَقيَّ إلا بعد تبين المعنى المراد، أم أنَّ المعنى لا يُسْتَشَفَّ إلا بعد تخريج إعرابه؟ ولما كانا كلاهما إلى بعض يحتكم، ننطلق من فرضية أن للإعراب يدا في تحديد بعض المعاني. نبينها من خلال ما يأتي من أبواب إعرابية، نحاول بحث المعنى في كل باب من أبواب النحو غير مركَّزين على أحكام القاعدة النحوية المعروفة في كتب النحاة قديما وحديثًا، ثم نمثِّل لها بأمثلة ذكرها القرطبي في تفسيره، وكان يذكر الوجه الإعرابي للفظة أو الآية، ثم يذكر ما يترشح عنها من معانٍ تفسَّر ما انبهت دلالته.

ثم إنَّ لكلَّ باب سنبويه حدًّا سنذكره، والحدَّ مصطلح فلسفيٍّ منطقيٍّ، وُلِع به النحاة؛ كابن عصفور، وابن الحاجب، وابن هشام؛ لتأثُّرهم في تلك الفترة بالمنطق والفلسفة، السائدتين على الساحة المعرفية وقتذاك². وحاولوا تطبيق معنى الحدِّ على تعاريفهم. غير أنَّ هناك من يرى أنَّ هذه التعريفات للمصطلحات لا تصحَّ أن تكون حدًّا، بل رسماً؛ لأنَّ شرط الحدِّ أن يستغرق المحدود³.

¹ - يرى ابن جني أنَّ المعنى أصل والإعراب فرع؛ يقول في حالة تنازع الإعراب والمعنى: "فمتى اعتورا كلامًا ما أمسكت بعروة المعنى، وارتحت لتصحيح الإعراب". الخصائص، ابن جني، ج3، ص255.

² - ينظر: نظرية المعنى في الدراسات النحوية، كريم حسين ناصح الخالدي، دار صفاء، عمان، الأردن، ط1، 1427هـ 2006م، ص33-36.

³ - الحل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، لابن السيّد البطليوسي، تح: سعيد عبد الكريم سعودي، دار الطليعة بيروت، لبنان، ص60.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

وقد اشترط أهل المنطق أن يكون الحدُّ مساوٍ للمعنى، والحدُّ هو تحديدٌ لمفهوم المصطلح النحوي وضبطٌ له. والمصطلح النحوي هو لفظٌ محدّد يدلّ على باب واسع من أبواب النحو العديدة. ولما كان وضع المصطلح لا يكون ارتجالاً، فإنّه رُوِيَ في كلّ مصطلح شروطٌ ومصادر أهمها المعنى؛ فالمصطلح يجب أن يحمل في ذاته وبنيته المعنى العام الذي يدور فيه ذلك الباب المسمّى به. وهذا لبّ ما سنتناوله في دراستنا التطبيقية، مع أنّنا سنحاول الربط بين اسم كل مصطلح نحوي وبين ما يؤدّيه من دلالة ومعنى.

ثمّ إنهم حين وضعوا المصطلحات، وراعوا معانيها، كمصطلح الفعل مثلاً، راعوا معاني جزئية أخرى في تقسيم المصطلح الواحد. فالفعل عندهم بحسب الزمن ماضٍ، ومضارع في الحال والمستقبل، وأمر. ثمّ نظروا إليه من زاوية العامل، فأوجدوا المتعدّي واللازم؛ فالمتعدّي ما تجاوز عمله فاعله إلى مفعولٍ واحد أو أكثر. واللازم ما قصُر عن ذلك. وكذلك في باب الاشتغال والتنازع فإنّها تسميات مبنية على فكرة العامل.

ثمّ راعوا إلى جانب ذلك الدلالة الصوتية، فالضّمّ والفتح هما صفتان لحالات الشفتين والكسر كذلك. ثمّ إنّ الحركات لها علاقة أيضاً بالرفع والنصب والخفض والجزم؛ ذلك أنّ "المتكلم بالكلمة المضمومة يرفع حنكه الأسفل إلى الأعلى، ويجمع بين شفتيه ... والمتكلم بالكلمة المنصوبة يفتح فاه، فيبين حنكه الأسفل من الأعلى، فيبين للناظر إليه كأنّه قد نصّبهُ لإبانة أحدهما عن صاحبه. وأمّا الجرّ فسمّي بذلك ... لانخفاض الحنك الأسفل عند النطق به، وميله إلى إحدى الجهتين. وأمّا الجزم فأصله القطع ... فكأنّ معنى الجزم قطع الحركة عن الكلمة"¹.

ثمّ رجعوا إلى المعنى النحوي، في وضعهم للمصطلح، فنجد في المصطلح ما يدلّ على ما في بابه من تفصيل ومعانٍ؛ كالتمييز، والاستثناء، والنداء، والصفة، وأفعال المدح والذمّ والتوكيد وغير ذلك من المصطلحات التي تحمل في ذاتها المعنى النحوي لها. ومن هذا كلّهُ نستشفّ أنّ وضع المصطلحات كان وضعاً علمياً لا ارتجالياً؛ انجزّ عن ذلك ما نراه من مناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ومطابقته لكلّ مصطلح، وذلك من أهم عوامل بقاء المصطلح وديمومته.

¹ - الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي، ص 93، 94.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

فالمعنى الذي نقصده هو "محصلة التفاعل الدلالي بين معنى الألفاظ من ناحية، ومعاني النحو التي أقامها المتكلم بين هذه الألفاظ من ناحية أخرى. أمّا الغرض فهو الفكرة العامة؛ الفكرة الخام قبل أن تُصاغ في أسلوبٍ بعينه، والأغراض هي المعاني التي وصفها الجاحظ بأنها مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي"¹.

ودراسة هذا المعنى في باب النحو، ليس ضرباً من الدخيل على مجال بحث النحو، بل إنّ النحو في جوهره "يقوم ببحث العلاقات التي تربط بين الكلمات في الجملة الواحدة، وبيان وظائفها"² إلا أنّ النحاة القدماء لم يولوا هذا الجانب كبير أهمية، لانشغالهم بتقعيد النحو، ووضع الحدود. لكنهم بالتأكيد، راعوا هذا الجانب في أذهانهم وهم يصوغون للكلام العربي قوانينه وقواعده، وإلا فلا يمكن وضع هذه القواعد اعتباطاً أو ارتجالاً بمنأى عن المعنى.

واختيارنا للبحث الدلالي على المعنى على صعيد الجملة، هو لأهمية هذا التركيب في تشكيل الدلالات والمعاني، "فالجملة تشكّل شبكةً من العلاقات السياقية، التي تقوم كلّ علاقة منها عند وضوحها مقام القرينة المعنوية، والتي تعتمد في وضوحها على التآخي بينها وبين القرائن اللفظية في السياق"³، وهذا ما جعل النحاة المحدثين يتجهون إلى نحو الجملة، ومنها إلى نحو النص.

ومهمة الباحث النحوي أمام الجملة هي تصنيفها، وشرح طريقة بنائها، وإيضاح العلاقات بين عناصر هذا البناء، وتحديد الوظيفة التي يشغلها كل عنصر من عناصرها، والعلاقات اللغوية الخاصة بكل وظيفة منها، ثمّ تعيين النموذج التركيبي الذي ينتمي إليه كلّ نوع من أنواع الجمل. وليس من حقّ النحوي أن يرتجل الجملة ويصنعها بما يراه مناسباً له، بل عليه أن يدرس اللغة كما

¹ - مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني قراءة في ضوء الأسلوبية، نصر أبو زيد، مجلة فصول للنقد الأدبي، المجلد 5 العدد 1، 1984م، ص 19.

² - التحليل اللغوي في ظلّ علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط2، 1432هـ / 2011م، ص 123.

³ - المرجع نفسه، ص 124.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

سمعها من أهلها فحسب¹. فيضع القواعد بناء على ما لديه من مادة خام، ويبنى كذلك تخريجاته الإعرابية على هذا الأساس، فيتكوّن المعنى على وجه الانضباط بما سمعه، وبنى عليه قواعده. وأمّا بعد؛ فهذه أبواب الجملة الاسمية، من مبتدأ وخبر، وأحكامهما. أضفنا إليهما أحكام التّواسخ الدّاخلية عليها، وإنّ كانت بعضها أفعالا، إلا أنّها ممّا يختصّ بدخوله على الجملة الاسمية. ثمّ أردفنا ذلك بالتّوابع؛ من صفةٍ وبدلٍ وتوكيدٍ، وكذا باب الإضافة؛ لأنّها في أكثرها أسماء، ولأنّها ليست ممّا يختصّ بالجملة الفعلية شرطاً. فدرجناها ضمن أبواب الجملة الاسمية، من أجل مواءمة أبواب الجملة الفعلية منهجياً، التي تكثر أبوابها وتتشعب.

2. الابتداء/ المبتدأ والخبر²:

وردت في تفسير القرطبي كثيراً عبارة: "ابتداء وخبر"، كان الغرض من هذا الإعراب الموجز أن يقول: بأنّ الجملة قد تمّت دلالة ومعنى، وانقطعت عما بعدها وقبلها. وفي هذا أثر بين في ترتّب الأحكام، فلا تتجر جملة تامة على ما ليس منها من جمل تلت أو سبقت. أمّا الابتداء فذكره النّحاة على أنّه عاملُ الرّفْع في المبتدأ، وأمّا المبتدأ والخبر فهما ركنا الجملة الاسمية، وهما المسند إليه والمسند، ويجب أن يحملا معنى واحداً، أو أن يكون بين معنييهما رابط قوي. وأمّا الإسناد فهو علاقة تركيبية، من أجل فائدةٍ ما، "ولا تتحقّق الفائدة إلاّ بانتلاف الكلام وضّمّ بعضه إلى بعضه، على وجه من الوجوه النّحوية المألوفة"³. فإمّا أن نقول: زيدٌ جاء، أو جاء زيدٌ. ومثّل لذلك عبد القاهر الجرجاني؛ وجعلها ثلاث علاقات: تعلّق اسم باسم، أو تعلّق اسم بفعل، أو تعلّق حرف بهما⁴.

¹ - ينظر: بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، مصر، 2003م، ص19.

² - هذا الباب ورد كثيراً في تفسيره، سنكتفي في مقامنا هذا بذكر المشكل فيه، ونشير إشارة إلى المكرر منه أو المعلوم بالظاهر مقصده، مما لا إشكال فيه ولا تأويل.

³ - المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان ط2، 2007م، ص315.

⁴ - ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص4.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

والابتداء هو العامل الرفع للمبتدأ عند البصريين عامة، وكُلٌّ من الابتداء والمبتدأ هما عاملا الرفع للخبر¹. وأمّا قولنا بأنّ المبتدأ والخبر لهما معنى واحد، فذلك مصداقاً لقول سيبويه: "واعلم أنّ المبتدأ لا بدّ له من أن يكون المبنيّ عليه شيئاً هو هو"². ووافقه المبرّد فقال: "واعلم أنّ خبر المبتدأ لا يكون إلّا شيئاً هو الابتداء في المعنى؛ نحو: زيدٌ أخوك، وزيدٌ قائمٌ. فالخبر هو الابتداء في المعنى، أو يكون الخبر غير الأول، فيكون له فيه ذكرٌ. فإنّ لم يكن على أحد هذين الوجهين فهو محال"³. وهذه إشارة لطيفة إلى عنصر المعنى بين المبتدأ والخبر، يفيد في تقييد اللفظ الذي يصلح خبراً والذي لا يصلح.

وهذا ما أشرنا إليه قبلُ، في شرحنا لعبارة القرطبي: "ابتداء وخبر"، التي كان يعرب بها جملة تامة، فإنّ ذلك يعني من حيث الدلالة: أنّ الجملة تامة في نفسها، وأنّ بين عناصرها صلة دلالية. فمن أمثلة اشتراطهم العلاقة المعنوية بين المبتدأ والخبر؛ قولُ سيبويه: "وجميع ظروف الزمان لا تكون ظروفًا للجثث"⁴؛ معناه أنّ المبتدأ إذا كان علماً جثّة لا يصحّ الإخبار عنه بظرف زمن؛ فلا يجوز من حيث المعنى أن نقول: (زيدٌ يوم الجمعة). وهذا الأمر متعلّق بالمعنى وليس بالظرف خاصة، بدليل أنه يجوز الإخبار بظروف المكان عن الجثث فنقول: زيدٌ في الدار.

ثم إنّ ارتباط الخبر بالمبتدأ من حيث المعنى، وكونه هو هو، لا يعني المطابقة التي تؤدي إلى التكرار وعدم الفائدة، وإنّما اشترط ابن جنّي أن يكون في الخبر فائدة تُضاف إلى فائدة المبتدأ إذ يقول: "يجب أن يُستفادَ من الجزء الثّاني ما ليس مستفاداً من الجزء الأول، ولذلك لم يجيزوا: ناكحُ الجارية واطئها، ولا ربُّ الجارية مالِكها؛ لأنّ الجزء الأول مستوفٍ لما انطوى عليه الثّاني"⁵. والفائدة المشروطة هنا جزء مهم من المعنى المستفاد من الإعراب.

¹ - ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، لأبي البركات بن الأنباري، تح: جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص40.

² - الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1408هـ/ 1988م، ج2، ص127.

³ - المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، ط2، 1399هـ/ 1979م، ج4، ص127، 128.

⁴ - الكتاب، سيبويه، ج1، ص136.

⁵ - الخصائص، ابن جنّي، ج3، ص336.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

ومن أمثلة تأثير ذلك في الإعراب والعكس؛ أي توافق الإعراب مع المعنى، قولهم في قوله تعالى: ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ [لق:10]. قال النَّحَّاسُ: "رَفَعْتَ طَلْعًا بِالْإِبْتِدَاءِ، وَإِنْ كَانَ نَكْرَةً؛ لَمَا فِيهِ مِنَ الْفَائِدَةِ"¹؛ أَيْ لِعِلَّةِ الْفَائِدَةِ أَعْرَبْتُ (طَلْعٌ) رَفَعًا عَلَى الْإِبْتِدَاءِ. وَفِي الْمَقَابِلِ، يَرَفُضُونَ النُّكْرَةَ مُبْتَدَأً إِذَا لَمْ تُقَدِّمْ مَعْنًى، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ سَيَبُويهِ: "وَلَا يُبْدَأُ بِمَا فِيهِ اللَّبْسُ، وَهُوَ النُّكْرَةُ. أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: كَانَ إِنْسَانٌ حَلِيمًا، أَوْ كَانَ رَجُلٌ مُنْطَلِقًا، كُنْتَ تُلْبِسُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُسْتَكْرَرُ أَنْ يَكُونَ فِي الدُّنْيَا إِنْسَانٌ هَكَذَا"². وَهَلَمْ جَرًّا ...

وليس معنى المبتدأ، ما نفهمه من معناه اللغوي، أنه استحقَّ هذا الاسم؛ لأنه يُبْتَدَأُ بِهِ فَقَط. فهذا لا يستقيم؛ إِذْ أَنَّ الْمَعْنَى الْإِعْرَابِيَّ لِلْمُبْتَدَأِ هُوَ أَنَّهُ أُسْنِدَ إِلَيْهِ الْخَبَرُ أَوْ الْمَعْنَى، وَأُنْثِبَتْ لَهُ. وَالاسْمُ الَّذِي يَحْمِلُ هَذَا الْمَعْنَى، أَوْ يَنْقَلُ هَذِهِ الْفَائِدَةُ، هُوَ الْخَبَرُ. وَأَبَانَ ذَلِكَ الْجِرْجَانِيُّ عَبْدَ الْقَاهِرِ بِقَوْلِهِ: "وَلَوْ كَانَ الْمُبْتَدَأُ مُبْتَدَأً لِأَنَّهُ فِي اللَّفْظِ مُقَدَّمٌ مَبْدُوءٌ بِهِ، لَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَخْرُجَ عَنْ كَوْنِهِ مُبْتَدَأً بِأَنْ يُقَالَ: مُنْطَلَقٌ زَيْدٌ"³. لَكِنَّ الْمَعْنَى الْمُسْتَقَى مِنْ هَذَا الْكَلَامِ، هُوَ أَنَّ زَيْدًا اسْتَحَقَّ إِعْرَابَ الْمُبْتَدَأِ مَعَ تَأْخُرِهِ، لِإِسْنَادِ الْإِنْطِلَاقِ إِلَيْهِ. وَإِنَّمَا اشْتَرَطَ فِيهِ الْإِبْتِدَاءَ وَاسْمِي بِهِ؛ احْتِرَازًا وَتَفْرِيقًا عَنِ الْاسْمِ الْمُتَعَلِّقِ بِمَا قَبْلَهُ، فَالْمُبْتَدَأُ مُنْقَطِعٌ عَمَّا قَبْلَهُ، عَارٍ عَنِ الْعَوَامِلِ اللَّفْظِيَّةِ. وَيُظْهِرُ هَذَا اللَّبْسُ فِي تَسْمِيَةِ الْمُبْتَدَأِ، مَعَ الْفَاعِلِ أَيْضًا⁴، كَمَا سِيرِدَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وبناءً على ما سبق من بحثٍ في المعنى؛ نستنبط المعاني الآتية:

- المبتدأ والخبر بهما تتم فائدة الجملة الاسمية؛ لأنهما ركنَا التركيب الإسنادي الاسمي.
- المطابقة بين المبتدأ والخبر في أصل المعنى (مطابقة هو هو أو أن يكون في الخبر ما يعود على المبتدأ).
- شرط الإفادة في الخبر، فالمطابقة بين المبتدأ والخبر لا تعني التكرار.

¹ - إعراب القرآن، لأبي جعفر النَّحَّاسِ، تح: زهير غازي زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط2، 1405هـ 1985م، ج4، ص222.

² - الكتاب، سيبويه، ج1، ص48.

³ - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص189.

⁴ - أي أَنَّ الْفَاعِلَ فِي النُّحُو لَيْسَ هُوَ مَنْ قَامَ بِالْفِعْلِ، وَإِنَّمَا أُسْنِدَ إِلَيْهِ الْفِعْلُ.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

وشواهد هذه المعاني من المبتدأ والخبر في تفسير القرطبي كثيرة، بل هي أكثر المعاني وروداً. وسنقسم دراستنا، بناء على ذلك، إلى ثلاثة عناصر: ما أعربه إعراب إجمال (ابتداء وخبر)، ثم ما أعربه مبتدأ؛ وما أعربه خبراً. وذلك بحسب مناط الاهتمام، وموضع الإشكال. ونستنبط هذه المعاني وغيرها فيما ذكره القرطبي في تفسيره من أمثلة، نذكر أهمها فيما يلي:

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة:2]. قال القرطبي: "الحمدُ لله: بالرفع: مبتدأ وخبر وسبيل الخبر أن يُفيدَ، فما الفائدة من هذا؟ فالجواب أن سيبويه¹ قال: إذا قال الرجل: الحمدُ لله بالرفع، ففيه من المعنى مثل ما في قولك: حمدتُ الله حمداً². اعتبر القرطبي بقوله هذا، أن الجملة (الحمدُ لله) مكثفية بمعناها تامة الإسناد؛ فالحمدُ مبتدأ، وخبره متعلقٌ بالمحذوف في الجار والمجرور؛ أي أن الحمد تامٌ المعنى.

لهذا يرى القرطبي "أن الذي يرفع (الحمد) يُخبر أن الحمدَ منه ومن جميع الخلقِ لله، والذي ينصب، يُخبر أن الحمدَ منه وحدهُ الله"³. أي أن الذي يرفع (الحمدُ) فعلى تقدير أن الحمد لله تعالى منه ومن جميع الخلق، فبناه على الاستغراق. فكل الحمد لله تعالى وحده، وهذا التخصيص يفيد الخبر الذي تدل عليه شبه الجملة من اللام الجارة واسم الجلالة. والنَّاصب للحمد، إنما يقصد نفسه بالحمد؛ أي: أنا أحمد الله. من هنا كانت قراءة الرفع أعم وأغرق من قراءة النَّصب.

وقيل إنَّ المعنى: (قولوا: الحمدُ لله) فهو ثناءً من الله تعالى، أثنى به على نفسه⁴. ونقل الطبري "عن ابن عباس، قال: قال جبريل لمحمد: قل يا محمد (الحمدُ لله). قال ابن عباس: الحمد هو الشكر لله، والاستخذاء⁵ لله، والإقرار بنعمته وهدايته وابتدائه، وغير ذلك"⁶. فتكون جملة (الحمدُ

¹ - ينظر: الكتاب، سيبويه، ج1، ص319، ص328، 329.

² - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص209.

³ - المصدر نفسه، ج1، ص209. وذكر هذا النَّحْس في معانيه، ونقلها عنه القرطبي في جامعهِ. ينظر: معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر النَّحْس، تح: محمد علي الصَّابوني، جامعة أم القرى، السعودية، ط1، 1408هـ / 1988م، ج1 ص57.

⁴ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص209.

⁵ - الاستخذاء: الخضوع.

⁶ - تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، مصر، ط1، 1422هـ / 2001م، ج1، ص135، 136.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

الله) جملة مقول قول في محل نصب مفعول به. فتكون أعم من الأولى؛ إذ فيها، من جهة تركيب الجملة، حمدٌ من الله تعالى لنفسه، ومن جهة أجزاء التركيب، حمدٌ يستغرقُ المتكلمَ، وجميعَ الخلق. من أجل ذلك منع الطبري قراءة النَّصب، إذ قال: "ولو قرأ قارئٌ ذلك بالنَّصب، لكان عندي مُحيلًا معناه، ومستحقًا للعقوبة، على قراءته إياه كذلك، إذا تعمَّد قراءته كذلك، وهو عالم بخطئه وفساد تأويله"¹. وقراءة الرَّفع هي قراءة القراء السبعة، وقراءة النَّصب هي قراءة سفيان بن عيينة ورؤية بن العجاج²، وهارون العتكي³. وردُّ قراءة النَّصب من جهة اللغة أنَّ المصادر تُنصبُ إذا كانت غير مضافة، أو كانت غير معرفة بالالف واللام، وهنا (الحمدُ) مصدرٌ معرفٌ بالالف واللام⁴.

وقرأ الحسن البصري: (الحمد لله) بكسر الدال؛ لإتباعها اللام، وقرأ إبراهيم بن عتبة: (الحمد لله) بضم اللام؛ لإتباعها الدال⁵. وخلاصة الأمر، أنَّ إعراب الحمد بالرفع، هو أنَّ الحمد كله لله، يستغرق مدح الله لنفسه، ومدح القارئ الناطق للجملة، وكلُّ خلق الله تعالى. وهو الوجه مع أنَّ القراءات الأخر مقبولة، لكنها من حيث الوجه تقلُّ عن وجه الرفع.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:5]. ذكر القرطبي⁶ وقبله النَّحَّاس⁷، في إعراب (هم): أولئك: مبتدأ، وهم: مبتدأ آخر، أو ضمير فصل أو عماد. وبين الإعرابين فرق في المعنى؛ فعلى الرغم من أنَّ كلا الإعرابين جائز، إلا أنَّ إعراب (هم) ضمير فصل، أبلغ في الدلالة؛ لأنَّ ضمير الفصل يدلُّ على أنَّ ما بعده خبرٌ لا صفة، وفيه معنى

¹ - تفسير الطبري، ج1، ص138، 139.

² - ينظر: تفسير القرآن العظيم، عماد الدين بن كثير، تع: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1419هـ / 1998م، ج1، ص42.

³ - ينظر: تفسير الطبري، ج1، ص138.

⁴ - ينظر: معاني القراءات، لأبي منصور الأزهري، تح: عيد مصطفى درويش وعوض حمد القوزي، دار المعارف، ط1 1412هـ / 1991م، ج1، ص108.

⁵ - ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزَّمَخْشَرِي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1418هـ 1998م، ج1، ص113.

⁶ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص277.

⁷ - ينظر: إعراب القرآن، النَّحَّاس، ج1، ص184.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

التوكيد؛ لأنّ في الآية أصلاً تكرر يفيد التوكيد، وهو تكرر (أولئك). فكان الأولى أن تفيد (هم) هنا التوكيد، "وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره"¹، وهذا ما تدلّ عليه ألف ولام التعريف في لفظة (المفلحون).

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 25]. فقوله: (هم) فيها خالدون): هم: مبتدأ، وخالدون: خبره، والظرف هنا ملغى، ويجوز في غير القرآن نصب (خالدين) على الحال². وقد وردت (خالدون) في القرآن بالرفع؛ لأنّ معناها الإعرابي أبلغ وأرجح. فالخبر أدوم وأثبت من الحال، التي عدّها النحاة منتقلة غير دائمة. فحال الدّاخل إلى الجنّة من المؤمنين هو دخول ديمومة وخلود، فكان من الرّاجع والأنسب الرفع على الإخبار لا النصب على الحال.

قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38]. قرأ الزّهري والحسن البصريّ وعيسى بن عمر وابن أبي إسحاق ويعقوب³: (فلا خوف) على اعتبار (لا) للترتية⁴؛ أي: النّافية للجنس. والتّخريج الإعرابي الأسلم هو الرفع على الابتداء⁵؛ لأنّ الجملة بعد هذا معطوفة، ودخلت (لا) على المعرفة (هم) و(لا) النّافية للجنس لا تعمل في المعرفة، "فاختاروا في الأوّل الرفع ليكون الكلام من وجه واحد"⁶. أي: أن (لا) الثّانية، المعطوفة على (لا) الأولى لا تعمل نفي الجنس لأنها دخلت على معرفة، وحتى تتجانس الجملتان المعطوفتان وتتساكلان في البناء، وجب تقدير الرفع في الأولى لا النّصب؛ لأنّ التّأويل الملتبس يخضع إلى القرائن، فإذا بانّت القرينة تبعها التّأويل. فيصير الخوف المنفيّ مسنداً إليه.

وتقدير المعنى الإعرابي: لا خوف حاصل عليهم، والرفع أولى من النّصب؛ لأنّ النّصب يدلّ على نفي الخوف بالكلّيّة، وليس المراد ذلك، بل المراد نفيهم في الآخرة⁷. وهذا المعنى

¹ - الكشاف، الزّمخشري، ج1، ص161.

² - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص362. إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص202.

³ - ينظر: معاني القراءات، لأبي منصور الأزهري، ج1، ص148.

⁴ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص489. إعراب القرآن، النّحاس، ج1، ص216، 217.

⁵ - ساغ الابتداء بالنكرة؛ لتقدّم النّفي عليها، وهو أحد مسوّغات الابتداء بالنكرة.

⁶ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص489.

⁷ - التبيان في إعراب القرآن، العكبري، ص55.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

يتطابق مع معنى الآية، ويتطابق مع الواقع؛ إذ أنّ المؤمن مبتلى في دنياه، والعبرة أن ينجو يوم القيامة.

إلا أنّ ابن عطية قال: "فلا خوف عليهم: نُصِبَ بالتبرئة، ووجهه أنّه أعمّ وأبلغ في رفع الخوف، ووجه الرفع أنّه أعدل في اللفظ، لينعطف المرفوع من قولهم (يحزنون) على مرفوع، و(لا) في قراءة الرفع عاملة عمل ليس"¹. وتكون (خوف) اسمها. والعموم ليس أرجح؛ لأنّ الحزن معطوف على الخوف، ولا تخلو حياة من حزن، فلا تخلو إذن من خوف. من هنا؛ فإنّ الأرجح هو الرفع، على تخصيص الخوف في الآخرة. أضف إلى ذلك أنّ قراءة الرفع هي قراءة الجماعة وقراءة الجماعة على التواتر، وتخضع القاعدة إلى النصّ المتواتر.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: 49]. اختلف في محلّ إعراب الجملة (يسومونكم). قال القرطبي: "قال الأخفش: وهو في موضع رفع على الابتداء، وإن شئت كان في موضع نصب على الحال؛ أي: سائمين لكم"². ومعنى هذا أنّ الجملة (يسومونكم) في محلّ رفع خبر، لمبتدأ محذوف تقديره (هم). ويجوز تقدير الجملة في موضع الحال دون تقدير محذوف.

والإعراب على الحال أقرب إلى القاعدة النحوية؛ لأنّه لا يحتاج إلى تقدير محذوف، كما احتاجه الإعراب بالرفع. ويرى السمين الحلبي أنّه تقدير لا حاجة إليه³. ورفض هذا الإعراب وارتضى الإعراب على الحال، وارتضى غيره ذلك أيضاً⁴. ومعنى الإعراب على الخبر، هو أنّ تكون الجملة استئنافية منقطعة عن الأولى، ومعناه: "واذكروا نعمتي عليكم إذ نجيناكم من آل

¹ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ / 2001م، ج1، ص132.

² - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص84. وينظر: إعراب القرآن، النّحاس، ج1، ص223.

³ - ينظر: الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تح: أحمد محمّد الخراط، دار القلم، دمشق، سورية ج1، ص344.

⁴ - ينظر: مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، ج1، ص46. وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدّين الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1، ص253.

الباب التطبيقيّ ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسميّة

فرعون، وكانوا من قبل يسومونكم سوء العذاب"¹. ومعنى إعرابها حالا: "وإذ نجّيناكم من آل فرعون سائميكم سوء العذاب، فيكون حالا من آل فرعون"².

فعلى الخبريّة فإنّ الله تعالى نجّاهم بعد أن سامهم فرعون سوء العذاب، فتكون الآية تذكيراً لهم بنعم الله عليهم. وعلى الحال فإنّ إنجاء الله تعالى لهم كان حال تعرّضهم للعذاب. وكلا المعنيين مقبول، إلا أننا نرجّح الأول، بالرفع على الخبر؛ لأنّ بني إسرائيل نالوا ما نالوه من فرعون وهلك من هلك منهم، وبقي من نجا، فكان إنجاء الله لهم على يد موسى -عليه السّلام- بعد ذلك وقصّته في القرآن معلومة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 85]. ذكر القرطبي أنّ (أنتم) في موضع رفع بالابتداء³، و(هؤلاء) فيها أقوال: قال القتبي بأنّها منادى على تقدير: يا هؤلاء. وذكر النّحاس⁴ أنّ هذا لا يجوز على رأي سيبويه⁵؛ إذ لا يجوز قول: هذا أقبل، على تقدير: يا هذا أقبل. وقال الرّجاج⁶: (هؤلاء) بمعنى (الذين)؛ أي: ثمّ أنتم الذين تقتلون. "وقيل: (هؤلاء) رفع بالابتداء، و(أنتم) خبر مقدّم، (وتقتلون) حال من (أولاء). وقيل: (هؤلاء) نصب بإضمار (أعني)⁷8.

وذكروا أنّ معناه "ثمّ أنتم -القوم- تقتلون أنفسكم، فيرجع إلى الخبر عن (أنتم)، وقد اعترض بينهم وبين الخبر بهؤلاء. كما تقول العرب: أنا ذا قادم"⁹. فتكون (هؤلاء) هنا بدلا من

¹ - تفسير الطبري، ج1، ص644.

² - المصدر نفسه، ج1، ص644.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص237.

⁴ - ينظر: إعراب القرآن، النّحاس، ج1، ص242، 243.

⁵ - ينظر: الكتاب، سيبويه، ج2، ص230.

⁶ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الرّجاج، شرح وتح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1، 1408هـ / 1988م ج1، ص167.

⁷ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص174.

⁸ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص238.

⁹ - تفسير الطبري، ج2، ص206.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

(أنتم). وذكر بعض البصريين أنَّ (هؤلاء) تنبيه وتوكيد لأنتم¹. وقيل: هؤلاء: صفة للمبتدأ (أنتم) والمعنى: أنتم هؤلاء المشاهدون².

وبعض هذه الأعراب مردودٌ من حيث القاعدة، وبعضها من خلال المعنى. فقول القتبي وغيره³، بأنها في تقدير المنادى، قد ردّه سيبويه بقوله: "ولا يحسن أن تقول: هذا ولا رجل، وأنت تريد: يا هذا، ويا رجل، ولا يجوز ذلك في المُبهم"⁴. فلا يجوز بناءً على ذلك (هؤلاء) منادى.

وأما تقدير الوصل في الإشارة، فقد قال بها الزجاج: "هؤلاء بمعنى الذين، وتقتلون صلةً لهؤلاء؛ كقولك: ثم أنتم الذين تقتلون أنفسكم. ومثله قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَى﴾ [طه:17]⁵. وهو تمثيلٌ للموصول؛ أي: وما هذه التي بيمينك. والقول بهذا يفيد القصر، ولا معنى له، فالأولى أن تكون (هؤلاء) اسم إشارة. وهذا القول لم ينفرد به الزجاج، وإنما قال به أيضا الفراء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَى﴾ قال: "ومعنى (تلك) هذه، وقوله: (بيمينك) في مذهب صلةً لتلك؛ لأنَّ (تلك) و(هذه) توصلان كما توصل (الذي)⁶. وأما القول بأنَّ (هؤلاء) تنبيه وتوكيد، فإنَّ "هؤلاء لا يؤكّد بها عن مخاطبين"⁷.

ومن حيث المعنى المقبول، فإنَّ غرض الآية الإخبار، فهؤلاء مرفوعة بالابتداء، و(أنتم) خبر مقدّم، و(تقتلون) حالٌ، "وبها تمَّ المعنى، وهي كانت المقصودة، فهي غير مُستغنى عنها. وإنما جاءت بعد أن تمَّ الكلام في المسند والمسند إليه؛ كما تقول: هذا زيدٌ منطلقاً، وأنت قصدت الإخبار بانطلاقه، لا الإخبار بأنَّ هذا زيد"⁸. وهذا قياساً على نعت المبهمة الذي لا يُستغنى عنه

¹ - ينظر: تفسير الطبري، ج2، ص206.

² - ينظر: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتّل، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 1413هـ 1993م، ج1، ص103.

³ - ينظر: تفسير الطبري، ج2، ص205، 206.

⁴ - الكتاب، سيبويه، ج2، ص230.

⁵ - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج1، ص167.

⁶ - معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، ط3، 1403هـ / 1983م، ج2، ص177.

⁷ - تفسير الطبري، ج2، ص206.

⁸ - المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص147.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

فكذلك حاله¹. من ذلك فإنّ المعنى المقصود من الآية الكريمة هو الإخبار بحالتهم، أنهم يقتلون بعضهم بعضاً، ويخرجون بعضهم بعضاً من ديارهم². وبناء على تمام المعنى، يصحّ إعراب (أنتم) مبتدأ، وخبره: (تقتلون أنفسكم)، و(هؤلاء) في موضع نصب بإضمار الفعل (أعني)³.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ [البقرة: 85]. لخص القرطبي معظم ما ورد في هذه الآية من أعاريب، وذلك راجع إلى اختلاف التقدير. قال القرطبي: "هو: مبتدأ، وهو كناية عن الإخراج، و(محرم) خبره، و(إخراجهم) بدل من (هو)⁴. وإن شئت كان كناية عن الحديث والقصة، والجملة التي بعده خبره؛ أي: والأمر محرم عليكم إخراجهم؛ فإخراجهم: مبتدأ ثانٍ، ومحرم: خبره، والجملة خبر عن (هو). وفي (محرم) ضمير ما لم يُسمَّ فاعله، يعود على الإخراج. ويجوز أن يكون (محرم) مبتدأ، وإخراجهم: مفعول ما لم يسمَّ فاعله يسدّ مسدّ خبر (محرم)، والجملة خبر عن (هو). وزعم الفراء أنّ (هو) عمادٌ، وهذا عند البصريين خطأ لا معنى له؛ لأنّ العماد لا يكون في أول الكلام"⁵.

وأجاز الفراء أن يكون (هو) عماداً، ويرتفع الإخراج بمحرم. والعماد هو ما يسمّيه البصريون ضمير فصل؛ أي: يفصل بين المبتدأ والخبر، أو بين الخبر والنعت، ويسمّيه الكوفيون عماداً؛ لأنّه يُعتمد عليه في الفائدة، إذ به يُتبيّن أنّ الثاني خبر لا تابع له، وبعض الكوفيين يسمّيه دعامَةً؛ لأنّه يُدعّم به الكلام؛ أي: يقوّ ويؤكد⁶. وردّ النحاس على الفراء، بأنّ العماد لا يكون في أول الكلام⁷ ولا يمكن حذفه في هذا الموضع؛ لأنّه عائد وكناية عن الإخراج.

¹ - ينظر: مشكل إعراب القرآن، القيسي، ج1، ص59. وينظر: البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات بن الأنباري، تح: طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1400هـ / 1980م، ج1، ص103.

² - للتفصيل أكثر ينظر: تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1، ص586، 587.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص59.

⁴ - ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص245.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص241.

⁶ - ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج1، ص51.

⁷ - ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص245.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

وقال القيسي: "ولا يجوز أن تكون (هو) فاصلة، إذا لم يتقدّم قبلها شيء؛ وهذا مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1]؛ أي الأمر الحقّ هو: الله أحد"¹. فبناءً على المعنى الإعرابي المتحصّل عن (هو)، لا يمكن إعرابها عمادًا أو ضمير فصل. وإنّما الإعراب الذي ارتضاه علماء اللّغة والإعراب والتّفسير هو كالآتي:

الإعراب الأوّل:

هو	مبتدأ
محرمّ	خبر
إخراجهم	بدل

و(هو) هنا تحمل معنى الإخراج، فالمعنى هنا إسنادُ التّحريم إلى الإخراج، وإضافة البدل للتّوضيح والتّفصيل.

الإعراب الثّاني:

هو	مبتدأ
إخراجهم	مبتدأ آخر
محرمّ	خبر للمبتدأ (إخراجهم)
محرمّ عليكم إخراجهم	جملة في محل رفع خبر للمبتدأ (هو)

و(هو) هنا تدلّ على الحديث أو الخبر، تقديرها: (هو الأمر محرمّ عليكم إخراجهم). والمعنى أنّ الأمر والوضع المطلوب علمه هو أنّ الإخراج أمرٌ محرمّ، فيكون إسنادان متشابهان في الجملة: إسنادُ التّحريم إلى الإخراج، وإسنادهما معا إلى الأمر المتضمّن في الضمير (هو).

¹ - مشكل إعراب القرآن، القيسي، ج1، ص61.

الإعراب الثالث:

هو	مبتدأ
محرم	مبتدأ الوصف
إخراجهم	مفعول ما لم يسم فاعله سدّ مسد خبر (محرم)
محرم إخراجهم	خبر للضمير (هو)

وتكون (هو) هنا كالإعراب السابق، على أن لا يكون إسنادان متشابهان في الجملة نفسها بل إسناد نائب فاعل إلى اسم المفعول العامل فيه (محرم)، وإسنادهما إلى المبتدأ (هو). ونلاحظ أن كلاً من الأعراب الثلاثة متقاربة في المعنى والدلالة، وهو إسناد التحريم إلى الإخراج.

قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: 147]. في إعراب (الحق)

أقوال؛ فإما على الابتداء، وإما على الخبر بإضمار مبتدأ، وإما على الفاعلية بإضمار فعل¹. فالأول أن (الحق) مبتدأ، وشبه الجملة (من ربك) متعلقة بمحذوف: خبر. أو أن التقدير: (هو الحق)، فيكون الحق خبراً لمبتدأ محذوف مُقدّر. أو أن يكون فاعلاً لفعل محذوف تقديره: (جاءك الحق). وهذا الأخير مستبعد، لما فيه من التكلف، ولم أجد من قال به غير القرطبي.

ومردّد الخلاف إلى معنى الآية، فيحتمل أن يُراد به الحق الأول؛ وهو قوله تعالى، في الآية قبلها: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 146]، ويحتمل أن يُراد به جنس الحق². أي: إما أن تكون اللام في (الحق) للعهد، والإشارة إلى الحق الذي يكتُمونه، والتقدير: هذا الذي يكتُمونه هو الحق من ربك. أو تكون اللام للجنس؛ على معنى: الحق من الله لا من غيره³. فبناءً على هذا المعنى، يكون الراجح: إعراب (الحق) مبتدأ، و(من ربك) خبره.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: 178]

يرى القرطبي أن قوله (اتَّبَاعُ) يجب أن يرتفع، وارتفاعه على الابتداء؛ لأن المعنى يستدعي ذلك.

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص448.

² - ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، اعتنى به: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 1428هـ / 2007م، ص101.

³ - ينظر: الكشف، الزمخشري، ج1، ص345.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

فالمعنى هنا يتحكّم في الإعراب. يقول القرطبي: "هذه الآية حضّ من الله تعالى على حسن الاقتضاء من الطالب، وحسن القضاء من المؤدّي"¹. وذكر أنّ الرّفْع يدلّ على الوجوب؛ لأنّ المعنى: فعليه اتّباعٌ بالمعروف². وقد قال النّحاس: "(فمن عُفي له) شرطٌ، والجواب (فاتّباعٌ بالمعروف)"³.

ونكتة الأمر أنّ الواجب سبيلُهُ الرّفْع، والمندوب إليه يأتي منصوباً⁴. ويجوز الارتفاع على خبرٍ لمبتدأٍ مضمّر تقديره: فالواجب والحكم اتّباعٌ⁵. فارتفاعُ (اتّباع) هو على معنى الأمر، والأمر نفسه ينطبق على كلمة (أداء). ومصادقاً ذلك قال الطّبري: "جاء رفعاً، وهو أفصح في كلام العرب من نصبه، وكذلك ذلك في كلّ ما كان نظيراً له، ممّا يكون فرضاً عامّاً ... لا ندباً وحثّاً. ورفعته على معنى: فمن عُفي له من أخيه شيءٌ فالأمر فيه اتّباعٌ بالمعروف، وأداءٌ إليه بإحسان"⁶. فالمعنى الإعرابي من الرّفْع هو إفادة الوجوب، مع جواز مجيئه منصوباً (اتّباعاً) في غير القرآن لكن الرّفْع أجود وأبلغ في أداء معنى الوجوب.

قوله تعالى: ﴿صُمُّ بُكْرٌ عُمَى﴾ [البقرة: 18]. قال القرطبي: "صمّ: أي هم صمّ؛ فهو خبر ابتداء مضمّر"⁷. وهو هنا يتنزّع في الإعراب منزع الكوفيين، الذين كانوا يؤوّلون الضمير ومنهم الفراء خاصة. والإخبارُ ألصقُ بالمخبر عنه من غيره؛ ذلك أنّه وردت قراءة شاذّة بالنّصب⁸ (صمّاً بكما عمياً)، ونُصِبَ على الذّمّ، أو بالفعل (تركهم)⁹. وجاءت ثلاثة أخبار متتالية على طريقة التّشبيه البليغ؛ من انعدام آثار الإحساس، فكلّ واحد منهم اجتمعت له الصّفات الثلاث وذلك شأن

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3، ص86. وينظر: المحرّر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص246.

² - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزّجاج، ج1، ص249.

³ - إعراب القرآن، النّحاس، ج1، ص281.

⁴ - ينظر: المحرّر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص246.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص246.

⁶ - تفسير الطّبري، ج3، ص111.

⁷ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص323.

⁸ - ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج1، ص16. وينظر: إعراب القرآن، النّحاس، ج1، ص193، 194.

⁹ - ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج1، ص16. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص323.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

الأخبار الواردة بصيغة الجمع بعد المبتدأ¹. من هنا كانت قراءة الرفع أقوى وأشهر، وأبلغ أداءً للمعنى من قراءة النصب؛ من حيث الإجماع، ومن حيث دلالة الإعراب.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: 58]. قال القرطبي: "و(حِطَّةٌ) بالرفع، قراءة الجمهور على إضمار مبتدأ؛ أي: مسألتنا حِطَّةً، أو يكون حكاية"². وذكر الأخفش أنها قرئت بالنصب "على أنه بدل من اللفظ بالفعل"³. إلا أن قراءة الرفع هي قراءة الأئمة، "وهو أولى في اللغة"⁴. والمعنى: قولوا: لتكن منك حِطَّةٌ لذنوبنا، أو: مسألتنا وسؤالنا حِطَّةً لذنوبنا. فيكون القول بالرفع إخباراً مؤدياً لمعنى الآية العام.

أمّا بعد؛ فليس هذه الأمثلة هي كلّ ما ورد في تفسير القرطبي، وإنما هذا ذكر تمثيل لا ذكر حصر؛ حتى نطبّق على ما اخترناه من أمثلة على المعاني الإعرابية المستنتجة من المبتدأ والخبر. ويبقى ما لم نذكره يصبّ في المجال نفسه، فتحاشيا للتكرار وإثقال كاهل البحث، سنكتفي في هذا الباب، وما يليه من أبواب، بنماذج تتعاضد لتؤدّي بذكر بعضها إلى الإشارة إلى ما لم نذكره.

3. كان وأخواتها:

المبتدأ اسمٌ مرفوع بعامل معنوي هو الابتداء، إلا أنّه قد يطرأ عليه عامل لفظي ينسخ العامل المعنوي؛ ومن هذه النواسخ: كان وأخواتها. وكان هي فعل، يتصرّف على أنواع الأفعال الثلاثة؛ فكان ماضي، ويكون مضارع، وكن أمر. ولما كان الفعل حدثاً مقترناً بزمن؛ فالفعل (كان) سمّي ناقصاً؛ لخلوّه من الحدث، واكتفائه بالزمن؛ لأنّ يعتمد على الحدث الذي في خبر المبتدأ. وسمّي ناسخاً لأنّه ينسخ عمل المبتدأ والخبر، ويتعلّق به، فيكونا معمولاه، يرفع المبتدأ وينصب الخبر. وهذا التعلّق بين كان ومعموليهما هو المقصود من قول سيبويه: "ومما يكون بمنزلة

¹ - ينظر: التّحرير والتّوير، الطاهر بن عاشور، ج1، ص313.

² - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص124.

³ - معاني القرآن، لأبي سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1 1411هـ/ 1990م، ج1، ص102.

⁴ - إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص228.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

الابتداء قولك: "كان عبد الله منطلقاً... لأنّ هذا يحتاج ما بعده، كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده"¹. والجملة التي تدخل فيها كان على المبتدأ والخبر سمّاها بعض اللغويين بالجملة الفعلية المحوّلة². وهي الجملة الاسمية التي دخل عليها أحد الأفعال النواسخ. ودرس النحاة هذه الأفعال ضمن الجملة الاسمية؛ لأنّه يلزمها جملة اسمية بعدها.

وكان وأخواتها ثلاثة عشر فعلاً، كما ذكر النحاة: (كان، وأصبح، وأضحى، وظلّ، وأمسى وبات، وصار، وليس، وما زال، وما برح، وما فتى، وما انفكّ، وما دام). لنحاة كلام طويل في شروطها وأحكامها؛ نحن في غنى عن إعادتها، أو الخروج بذكرها عن مقصد المعنى والدلالة. من أجل ذلك سنبحث في دلالة هذه الأفعال في التركيب، وما الذي تغيّر في الجملة قبل أن تدخل هذه الأفعال الناسخة عليها.

فالمبتدأ والخبر يدلان على حدث غير مقترن بزمن، ودخول كان تدل أنّ "ذلك وقع فيما مضى، وليس بفعلٍ وصل منك إلى غيرك"³؛ أي لا تدل الجملة على أنّ فاعلاً أوقع فعلاً معيّناً. وإنّما تحدّد للفائدة التي في الخبر زمناً معيناً؛ إمّا ماضياً أو حاضراً أو مستقبلاً. وتفيد كان الكينونة أو الوجوديّة. وأمّا (أصبح) فتفيد التوقيت في الصباح، أو اقتران مدلول الطرفين بالصباح. وكذلك (أضحى) تفيد اقتران مدلولي الطرفين بوقت الضحى، ونفسه (أمسى).

وأما (ظلّ) فتفيد التوقيت طول النهار، و(بات) تفيد التوقيت طول الليل. وأمّا (صار) فمعناه التحوّل من صفة إلى أخرى، فهو موضوع في اللغة لإفادة التحوّل. وأمّا (ليس) فهي لنفي مضمون الجملة في الحال؛ أي: تنفي حكم الخبر على المبتدأ. وما زال هي نفي للفعل زال، وزال تعني الذهاب والاستحالة والاضمحلال والانتقال والتحوّل. وما برح نفي للفعل برح، ويدلّ على زمن يفيد استمرار حدوث الخبر المسند إلى المبتدأ. وما فتى نفي للفعل فتى؛ وما انفكّ نفي للفعل انفكّ وما دام، ومعناها: مدة دوام⁴.

¹ - الكتاب، سبويه، ج1، ص23.

² - ينظر: النحو العربي، إبراهيم إبراهيم بركات، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، 1428هـ/2007م، ج1 ص293.

³ - المقتضب، المبرد، ج3، ص97.

⁴ - للتفصيل ينظر: النحو العربي، إبراهيم إبراهيم بركات، ج1، ص295-318.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

ومن أمثلة النواسخ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:34]. حكاية عن إبليس إذ أبى السجود لآدم. قال القرطبي: "كان هنا: بمعنى صار، ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ﴾ [هود:43]¹، حكاية على ولد نوح -عليه السلام- إذ أبى أن يركب السفينة، والمعنى: فصار من المغرقين. واعتُرض على هذا التأويل؛ قال جمهور المتأولين: المعنى: كان في علم الله أنه سيكفر لأن الكافر حقيقة والمؤمن حقيقة هو الذي قد علم الله منه الموافقة². قال القرطبي: "قلت: وهذا صحيح"³ لأن الأعمال بالخواتيم.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:198]. قال القرطبي: جناح: اسم ليس، أن تبتغوا: في موضع نصب خبر لها. الجناح هو الإثم؛ والمعنى أنه نفى عنهم إثم ما ابتغوه من فضل؛ ذلك أن الله تعالى لما أمر بتنزيه الحج عن الرفث والفسوق والجدال، ورخص لهم في التجارة، والمعنى: لا جناح ولا إثم عليكم في أن تبتغوا من فضل الله تعالى، وابتغاء الفضل في القرآن معناه التجارة⁴. فليس أزلت عنهم الإثم وأباح لهم التجارة بعد أن حرم عليهم الرفث والفسوق والجدال.

وتخرج (كان) عن دلالتها الأصلية إلى دلالة أخرى، في نحو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:92]. فكان دالة في الأصل على ما انقضى من الزمن، لكن هذا المعنى لا يجوز في ذات الله مع هذه الآية؛ لهذا قال القرطبي: "وكان الله: أي في أزله وأبده"⁵. أي: أن الله كان في أزل الأزمان عليمًا حكيمًا، وما زال إلى الأبد ودوام الزمان. فليس (كان) هنا على أصل بابها، وإنما استغرقت الأزمان الثلاثة: الماضي والحال والمستقبل.

وقد تكون (كان) تامة غير ناقصة، إذا كانت بمعنى (وُجِدَ أو حَدَثَ)؛ وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة:280]. قال القرطبي: "وارتفع ذو بكان

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص442.

² - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص126.

³ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص443.

⁴ - المصدر نفسه، ج3، ص330، 331.

⁵ - المصدر نفسه، ج7، ص32.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

التامة، التي بمعنى وُجد وحدث¹؛ معناه: أن كان ليست ناقصة، لأنها دلّت على الزمان الماضي والحدث معاً؛ فالمعنى: فإن وُجدَ المعسورُ مالاً فيُنظرُ ويؤخّرُ إلى أن يكون ميسوراً. فلا يحتاج إلى منصوب، بل يكفي بمرفوعه.

والأمر نفسه في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]. فقد روى القرطبي أنه: "قيل: هي كان التامة، والمعنى: خُلِفْتُمْ وَوُجِدْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ"². على أنه رويت أنها ناقصة؛ دالة على الزمن الماضي، والمعنى: كنتم في اللوح المحفوظ³، وقيل: كنتم مذ آمنتم خير أمة⁴. وقيل: (كان) زائدة، والمعنى: أنتم خير أمة.

وتكون (كان) زائدة، يتم الكلام دونها، ويقدر حذفها؛ وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَبَطِلْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 139]. قال القرطبي: "كانوا: صلة زائدة"⁵ فالتقدير: باطل ما يعملون. وفي قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّاتَهَا نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا﴾ [هود: 15]. روى القرطبي عن الفراء⁶ بأنه يجوز أن تكون (كان) زائدة، ولهذا جزم الجواب: (نوف). وقيل غير زائدة، والتقدير: من كان في موضع جزم بالشرط، وجوابه: نوفٍ إليهم؛ أي: من يكن يريد⁷.

وكثيراً ما وردت في القرآن أمثلة عن (كان الزائدة)، دون تخريج للمعنى، أو تفسير؛ مما قد يجعل الأمر أشبه بالحشو، ونقول: لا يكون شيء زائداً في كتاب الله دون أن تفيد الزيادة هاتيك شيئاً، وهذا يخصّ كان وغيرها من المواضع التي يُقدّر فيها لفظٌ من الألفاظ زائداً. وغالب ظننا أن (كان) تُزاد لغرض التوكيد، فلا يظهر عملها في التركيب، لكن يظهر أثرها في الدلالة. وحاول

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج4، ص418.

² - المصدر نفسه، ج5، ص260.

³ - ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص400.

⁴ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج1، ص456.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج9، ص318.

⁶ - ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج2، ص5.

⁷ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج11، ص83.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

بعض الدارسين تخريج المسألة بتأويل معمولي كان الزائدة، والخروج من إعرابها زائدة؛ لكنه يظل تأويلاً متكلفاً يحملُ الكلامَ ما لا يحتمل. إنَّ الزيادة في القرآن ليست زيادة لفظ بل زيادة فضلي.

وتستبدل كان بغيرها تقديراً إذا اعترضها المعنى؛ نحو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ

فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: 29]. قال القرطبي -يرجعُ بالإعراب إلى المعنى-: "(وكان) هنا ليس يُرادُ

بها الماضي؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ قد كان في المهد صبيّاً، وإنّما هي في معنى هو ... وقيل هي بمعنى الوجود والحدث"¹. أي أنّ (كان) لا يُحتمل أن تدلّ على الماضي؛ لأنّه لا تقيّد معنى، فلا يخلو

أحدٌ من أن يكون قد كان في المهد صبيّاً. وإنّما تقدير المعنى: كيف نكلّم من هن الآن في المهد صبيّاً. وقيل (كان) تامّة بمعنى الحدث والوجود، والتقدير: كيف نكلّم من وُجدَ في المهد.

وهذا أبو البركات بن الأنباري أيضاً رأى أنّ (كان) في غير بابها؛ أي أنّها ليست ناقصةً دالةً على الزمن الماضي؛ قال: "ولا يجوز أن تكون (كان) ههنا الناقصة؛ لأنّه لا اختصاص

لعيسى [عليه السلام] في ذلك؛ لأنّه ما من أحدٍ إلا كان صبيّاً في المهد يوماً من الأيام، وإنّما تعجبوا من كلام من وُجدَ وصار في حالة الصبي في المهد"². فكان في تقدير ابن الأنباري تامّة

بمعنى (وُجدَ) وصبيّاً حال، أو بمعنى صار، وصبيّاً اسمها.

وقال القرطبي: "والصحيح أنّ (مَنْ) في معنى الجزاء، و(كان) بمعنى (يكن)، والتقدير: من

يكن في المهد صبيّاً فكيف نعلّمه؟! ... والماضي قد يُذكر بمعنى المستقبل في الجزاء"³. فقد جعل القرطبي (كان) على بابها، وقدّر في (كان) أن يكون بمعنى (يكن) لأنّ الجازم يدخل على

المضارع. ثمّ قدّر التّقديم والتّأخير، وفي كلام العرب كثيراً ما تُقدّر في باب الجزاء (كان) بـ(يكن). وهذا الرأي ارتضاه القرطبي، ذهب إليه غيره⁴.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3، ص445.

² - البيان في غريب إعراب القرآن، ابن الأنباري، ج2، ص125.

³ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج13، ص445، 446.

⁴ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج3، ص328. وينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج3، ص15. وينظر: زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1404هـ/ 1984م، ج5 ص228.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل:27]. فكان هنا في غير بابها، وتستبدل بغيرها؛ قال القرطبي: "وكنْتَ: بمعنى أنت"¹؛ أي: سننظر أصدقت أم أنت من الكاذبين. نظر القرطبي إلى الجملة في الآية وقدر الزمن فيها للحاضر فأبدل كان الدالة على الماضي بالحاضر المخاطب (أنت).

ونظن أن القول بهذا ذلك تكلف منه -رحمه الله-؛ لاعتبار المعنى والإعراب والبلاغة. فمن حيث المعنى يجوز في المعنى تقدير الزمن الماضي، فهذا خطاب سليمان النبي -عليه السلام- للهدد الذي جاءه بخبر، فتحقق سليمان من الخبر يكون من حيث الزمن بعد انقضاء زمن الأخبار من قبل الهدد، فيكون إذن كذبه إن كذب قد وقع فيما انقضى ومضى من الزمن. ومن هنا فمن ناحية الإعراب يجوز تقدير كان على بابها، من أنها ناقصة ماضية، وتاء المخاطب اسمها والمتعلق المحذوف في شبه الجملة (من الكاذبين) خبر لها. وأمّا من حيث البلاغة فاختصرها الزمخشري بقوله: "وأراد: أصدقت أم كذبت، إلا أن (كنت من الكاذبين) أبلغ؛ لأنه إذا كان معروفاً بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذباً لا محالة، وإذا كان كاذباً اتهم بالكذب فيم أخبر به، فلا يوثق به"².

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ [القصص:10]. فإن أصبح في أصل بابها هل كل ما وقع صباحاً، لكن في الآية وجهين؛ قال القرطبي: "أحدهما: أنها ألقت له ليلاً فأصبح فؤادها في النهار فارغاً. الثاني: أنها ألقت له نهاراً؛ ومعنى أصبح: صار"³. فلما أنها ألقت له في اليم ليلاً، فلم يطلع الصبح إلا وقلبها واجد على ولدها. فأصبح هنا على بابها. ويحتمل المعنى: أنها ألقت له نهاراً، ولا يهم هنا الزمن، فصار قلبها بعد إلقائها إياه، فارغاً عن ذكر سواه، إلا من موسى. وهي هنا في معنى (صار). كما في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَانَهُ بِالْأُمْسِ﴾

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج16، ص147.

² - الكشاف، الزمخشري، ج4، ص450.

³ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج16، ص240.

[القصص:82]. المعنى: "صاروا يتندّمون على ذلك التّمّي"¹. والعرب تعبّر عن معنى (صار) بأصبح وأضحى وأمسى².

4. ظَنَّ وأخواتها:

من النّواسخ التي تدخل على الجملة الاسمية الفعلُ (ظَنَّ) وأخواتها، وهي من حيث الإعراب تدخل على المبتدأ والخبر فتتصّبهما معاً، ويُسمّيان مفعولاًها؛ كقولك: ظننتُ البئرَ عامرةً، وكانتُ قبلُ: البئرُ عامرةً: مبتدأً وخبره. وسُمّيت ناقصةً لأنّ الحدث فيها غيرُ تامٍّ، فهي تشبه الفعل المتعدّي الذي لا يكتفي بفاعله، بل يطلب مفعولاً أولاً ومفعولاً ثانياً. ونقصد بقولنا: (أخواتها) "نظايرها من الكلمات التي تشابهها في العمل وتخالفها في اللفظ والمعنى"³.

وقسم النحاة هذه الأفعال إلى قسمين: أفعالُ قلوبٍ؛ وهي ما كنت متّصلة بالقلب، وأفعال تحويلٍ؛ وهي ما دلّت على انتقال الشيء من حال إلى حال أخرى تخالفها، وتسمّى أيضاً أفعال التصيير. فأما أفعال القلوب فمنها أفعال يقينٍ وقطعٍ، ومنها أفعال شكٍّ ورجحان. فليقين: عَلِمَ ورأى، ووجدَ، ودرى، وألفى، وجعلَ، وتعلّمَ. وللرجحان: ظنَّ، وخالَ، وحسبَ، وزعمَ، وعدَّ، وحجّا وجعلَ، وهبَ.

وأما أفعال التّحويل فهي: صَيَّرَ، وجعلَ، واتّخذَ، وتخذَ، وتركَ، وردَّ، وهبَ. وهذه الأفعال يجب أن تدلّ في سياقها على معنى القلب أو الصيرورة، فإن خرجت عن هذين المعنيين لا تكون من النواسخ. وذلك مثل الفعل رأى، فما نقصده هو الرؤية القلبية لا الرؤية البصريّة، فرأى القلبية ناسخة ورأى البصريّة فعل تامّ.

ولكلّ ناسخ من نواسخ أخوات ظنَّ أحكامه التي سطرّها النحاة ليس هذا مقام ذكرها وتفصيلها، وإنّما اشتغالنا على دلالتها؛ فكما رأينا أنّ هذه الأفعال بعضها يدلّ على أمال القلب، إمّا يقينا وقطعاً، وإمّا شكّاً ورجحاناً، ومنها ما يدلّ على التحويل والصيرورة والانتقال من حالة إلى

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج16، ص325.

² - ينظر: تفسير البغوي معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تح: محمد عبد الله النمر وآخران، دار طيبة، الرياض، السعودية، 1411هـ، ج6، ص225.

³ - النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط3، ص543.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

حالة أخرى تختلف عنها. فالجملة الاسمية (المبتدأ والخبر) كانت تقيّد خبراً معيّناً، فدخلت عليه هذه الأفعال فأضافت إلى فائدته صفةً أخرى إما شكّاً وإما يقيناً. فزيدٌ كان أميناً في قولك: زيدٌ أمينٌ لكّتك وأنت تقول: ظننتُ زيداً أميناً؛ كأنك وأنت تتسب له الصفة لا تحقّق في النسبة، وتخرجها مخرج المجاز في نسبتها له، بل قد تخرج إلى الضدية إذا قصدت: ظننتُ زيداً أميناً فإذا به خان الأمانة.

فمما ورد في تفسير القرطبي قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: 214]. يتحدث الله تعالى عن الجنة، وما يحقّها من مخاطر وصعاب؛ يريد أن يذكرهم أن الذين كانوا قبلهم مستثمّهم والبأساء والضراء فصبروا، فكان جزاؤهم الجنة. فالفعل "حَسِبْتُمْ معناها: ظننتم"¹. وهذا الرّاجح. إذ بدا لهم رجحان دخولهم الجنة. ومثله قوله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: 2]. فحسب معناها الظنّ عند القرطبي² وغيره³.

وبدلّ الفعل (ظنّ) في الغالب أو في الأصل على معنى الشكّ، لكن قد يخرج من هذا المعنى إلى معنى اليقين؛ وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 46]. فإذا كانت (الذين) عائدة على الخاشعين في الآية قبلها، فظنّ هنا في قول الجمهور بمعنى اليقين⁴؛ فالسياق يلزم بذلك. وهي مثل قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ [الحاقة: 20]، وقوله تعالى: ﴿فَظَلُّوا أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: 53]⁵. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ [يوسف: 42]⁶. فظنّ في هذه المواضع بمعنى اليقين؛ أي: يوقنون أنهم ملاقو ربهم، وإنّي أيقنّ أنّي ملاقٍ حسابي، وأيقنوا أنهم مواقعوها، وقال للذي أيقن أنّه ناجٍ منهما.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3، ص409.

² - المصدر نفسه، ج16، ص333.

³ - ينظر: النكت والعيون تفسير الماوردي، أبو الحسن على الماوردي، مراجعة وتعليق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج4، ص274.

⁴ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص72.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه، ج13، ص308.

⁶ - ينظر: المصدر نفسه، ج11، ص352.

وفي قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ [التغابن:7]. قال القرطبي: "أي ظنوا. والزعم هو القول بالظن، وقال شريح: لكل شيء كُنْيَتُهُ، وكُنْيَةُ الكذب: زعموا"¹. وقال الزمخشري: "الزعم: ادعاء العلم"². فقوله: (زعم) معناه أنهم ظنوا ذلك، وطمعهم كاذب لا محالة. وكانت العرب تتقل كلام غيرها بصيغتين: فإن كانت توافق ما جاء في ذلك المنقول قالت: (قال فلان). وإن كانت تعارضه، أو لا تقبله قالت: (زعم فلان).

ومن أخوات (ظن) الفعل (جَعَلَ). ويأتي لمعانٍ عدة؛ ذكرها القرطبي³. منها قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة:22]. معناه هنا: صيّر. وأتى بمعنى (خلق) في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ﴾ [المائدة:103]. وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام:1]. ويأتي أيضا بمعنى (سمّى)، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف:3]. وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ [الزخرف:15]. وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ [الزخرف:19]. أي: سموهم إناثا. وغيرها من أمثلة ظن وأخواتها، مما يدخل على الجملة الاسمية فيضيف لها معنى جديداً من هذه المعاني التي ذكرناها.

5. أفعال المقاربة:

كما رأينا مع أفعال (ظن) أنها تفيد الشك، فإن أفعالا أخرى تدلّ أن الحدث كاد أن يقع أو يوشك على الوقوع؛ فهي أفعال لا تدلّ على الوقوع وإنما على اقتراب الوقوع. لهذا فتسمى هذه الأفعال بأفعال المقاربة. ونلاحظ بذلك الفرق بين قولنا: الشمس طالعة، وقولنا: كادت الشمس أن

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج21، ص10. وينظر: الكشاف، الزمخشري، ج6، ص132. وينظر: تفسير الفخر الرازي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1401هـ/ 1981م، ج30، ص23.

² - الكشاف، الزمخشري، ج6، ص132.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص343.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

تطلع؛ "يتبين أن الفعل الماضي (كاد) يؤدي في جملته معنى خاصاً، هو الدلالة على التقارب بين زمن الخبر والاسم"¹.

وهذه الأفعال هي أفعال ناقصة، تشبه كان، تنسخ المبتدأ والخبر، فأما المبتدأ فترفعه، وأما الخبر فتنصبه. ومن أخوات كاد نذكر: أوشك، وكرب. فهي على المشهور ثلاثة أفعال. وبعضهم أضاف: أولى، وألم، وهلهل؛ ولم تشتهر ولم تأتي في كلام العرب إلا نادراً، فالمعتد به ما ذكرناه آنفاً، مما اشتهر.

ومن أمثلة ما ورد منها في تفسير القرطبي قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ [البقرة:20]. قال القرطبي: "يكاد: معناه يقارب، يقال: كاد يفعل كذا: إذا قارب ولم يفعل"². فالمعنى: أن البرق -وهو اسم كاد- لم يُنسب إليه الخطف -وهو خبر كاد- حقيقة، وإنما نسبة على سبيل المجاز، فهو قارب أن يخطف بصرهم، لكنه في الحقيقة لم يفعل. ومثله قوله تعالى: ﴿وَكَاذِبُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ [الأعراف:150]. والمعنى: قاربوا³.

وقد تُرَادُّ كاد فلا تعمل إلا أنها تفيد معنى معين. فقد تفيد التوكيد، مثلما روى القرطبي⁴ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه:15]. والتقدير: إن الساعة آتية أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى. وهي مثل قوله تعالى: ﴿ظَلَمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكْدِ يَرَهَا﴾ [النور:40]. لأن الظلمات التي ذكرها الله تعالى يحول بعضها بين الناظر والمنظور إليه.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ [إبراهيم:17]. وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة:71]. يرى القرطبي أن كاد في الآيتين زائدة، والمعنى: يسيعه بعد إبطاء، وفي الثانية: فعلوا بعد إبطاء⁵. ونرى أن القرطبي قدرها زائدة لأنه رجع المعنى

¹ - النحو الوافي، عباس حسن، ج1، ص615.

² - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص334.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص342.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ج14، ص38.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه، ج12، ص121، 122.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

الذي يدلّ بالضرورة على أنّ الفعل قد وقع حقيقةً، فلمّا رأى الفعل (كاد) المُقَارِبَ دخل على هذه الأحداث، نفى عمله. ونظنّ أنّ القرطبيّ لم ينتبه إلى أنّ الفعل (كاد) في الآيتين منفيّ لا مثبت لذا فهي على بابها مقاربة؛ لأنّ الفعل المثبت يدلّ أنّ المقاربة وقعت والفعل لم يقع، لكن الفعل المنفي يدلّ على عكس ذلك؛ بأنّ المقاربة لم تقع لكنّ الفعل وقع. وهذا من باب منطق المعنى لا غير. وسمعتُ من شَيْخِي السعيد حائزة¹ تأوّلَه للقرطبي، وأنّ "لعلّه قصد في هذا الموضع تثبيت مقام مشهد عذاب الكفار يوم القيامة، ولا أستبعد في حكومتي، أنّه فسّر الآية تفسيراً بلاغياً، لا نحوياً".

6. أفعال الرجاء:

بعض النحاة يجعل أفعال الرجاء وأفعال الشروع مع أفعال المقاربة، من باب أنها تعمل عملاً واحداً، لكن نفرّق بينهما لأنّنا ندرس باب المعنى، وبين الرجاء والمقاربة مفارقة. والرجاء هو "رجاء المتكلّم تحقيق مدلول الخبر للاسم"². والفرق بين الرجاء والتمني، أنّ الرجاء تأمل المتوقّع حدوثه، والتمني طلب المستحيل حدوثه. وأفعاله: عسى، واخْلَوْلَقَ، وحرى. وعسى هي أمّ الباب وللنحاة فيها كلام يطول.

ونكتة الباب هي دلالة (عسى) في القرآن الكريم، ولا سيما إذا جاءت على أسلوب الخطاب الإلهي. فهل يحقّ لنا من باب إعرابها أن نقول هي للرجاء؟ جاء في قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: 216]. فقد روي أنّ (عسى) هنا بمعنى قد³، ونقل القرطبي عن أبي عبيدة: أنّ عسى من الله واجبة، والمعنى: عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من مشقة وهو خير لكم في أنكم تغلبون ومن مات مات شهيداً⁴.

¹ - الدكتور السعيد حائزة، أستاذ محاضر في علوم اللسان بجامعة تيزي وزو - الجزائر -.

² - النحو العربي، إبراهيم إبراهيم بركات، ص 426.

³ - ينظر: تفسير الماوردي، ج 1، ص 273.

⁴ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 3، ص 417. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج 1، ص 289.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ﴾ [الأعراف:129]. قال القرطبي: "عسى من الله واجب؛ جدّد لهم الوعد وحققه"¹. فلا يجوز أن يترجى الله من غيره، فكلّ شيء بيده مطواع، وهو على كلّ شيء قدير، وإنّما جيء بعسى لمصابقة طرائق العرب في كلامها فقط، وسيرا على سننها. ومثلها قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ [الإسراء:8]. فعسى هنا وعد من الله تعالى أن يكشف عنهم². فهي واجبة التحقق أيضا.

وليس كلّ (عسى) في القرآن واجبة، وإنّما يستثنى منها قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّمَّكَنَّ﴾ [التحريم:5]. وقال القرطبي بأنّ كل ما ورد في القرآن من (عسى) فهي واجبة، ما عدا هذه في الآية، وقيل: هو واجب ولكن الله تعالى علّقه بشرط وهو التّطبيق ولم يطلّقهن³. وكان في علم الله أنّه سيطلّقهن، لكن فائدة المعنى من (عسى) أنّه أراد أن يخبر عن قدرته أنّه إن طلقهن سيبدله ربه خيرا منهن؛ تخويفا لهن⁴. فعسى هنا تخبر عن القدرة لا عن الوقوع.

7. أفعال الشروع:

هي أفعال تدلّ على "الشروع في إنشاء الفعل أو إحداثه"⁵؛ أي البدء فيه. فهي أفعال تفيد أنّ أوّل الفعل وقع حقيقة؛ ولهذا سمّاها النّحاة أفعال الشروع؛ "يريدون أنّه الفعل الذي يدلّ معناه على أوّل الدّخول في الشّيء، وبدء التلبّس به، وبمباشرة"⁶. أي: دخول الاسم في الخبر. وأشهر هذه الأفعال: شرع، أنشأ، طفق، علق، أخذ، هبّ، قام، هلّهل، جعل.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج9، ص303.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج13، ص32.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ج21، ص90. وينظر: تفسير البغوي، ج8، ص168.

⁴ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ج21، ص90. وينظر: تفسير الفخر الرازي، ج30، ص45.

⁵ - النحو العربي، إبراهيم إبراهيم بركات، ج1، ص426.

⁶ - النحو الوافي، عباس حسن، ج1، ص620.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

ومما عثرنا عليه من أمثلة أفعال الشروع عند القرطبي قوله تعالى: ﴿وَطَفِقًا يَخِصِّفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف:22]. قال القرطبي: "طَفِقَ: أي أخذ في الفعل"¹، وقال الفراء: طَفِقًا: أقبلًا². فدلالة المعنى الإعرابي للفعل طفق في الآية: أقبلًا على ورق الجنة وشرعا في خصفه وقطعه وإصاقه بهما، ليستترا به، فهما قد بدأ في الفعل حقيقة.

8. إِنَّ وَأَخَوَاتُهَا:

من النّواسخ الداخلة على الجملة الاسمية أحرفٌ مشبهةٌ بالفعل، وهي تنصب الاسم وترفع الخبر، وشبهوها بالفعل المتعدي الذي قُدِّمَ مفعوله على فاعله. والأحرف النّاسخة هي: (إِنَّ، وَأَنَّ وَلَكِنَّ، وَكَأَنَّ، وَلَيْتَ، وَلَعَلَّ). وَسُمِّيَتْ مشبهةً بالفعل؛ لأنّها تحمل معناه؛ قال أبو البركات: "فمعنى إِنَّ وَأَنَّ: حَقَّقْتُ، ومعنى كَأَنَّ: شَبَّهْتُ، ومعنى لَكَنَّ: اسْتَدْرَكْتُ، ومعنى لَيْتَ: تَمَنَّيْتُ، ومعنى لَعَلَّ: تَرَجَّيْتُ"³.

فهذه النّواسخ الحروف إذا تدخلُ على الجملة الاسمية، لا تكفي بنسخ علامة الإعراب في المبتدأ والخبر فحسب. بل تضيف إلى الجملة دلالةً أخرى، بحسب دلالة كلّ حرفٍ ناسخ. فتدخل إِنَّ وَأَنَّ لتفيدا التوكيد؛ أي توكيد نسبة الخبر للمبتدأ، وإزالة الشك أو الإنكار. فكلا هذين الحرفين هو بمنزلة التكرار، ويفيدان ما يفيد التكرار. وتفيد (لَكَنَّ) الاستدراك؛ وهو إبعاد معنى فرعيّ يخطر بالبال. و(كَأَنَّ) تفيد التشبيه؛ أي تشبيه اسمها بخبرها. وفي (لَيْتَ) معنى التّمني؛ وهو الرغبة في تحقّق شيء محبوب حصوله. وفي (لَعَلَّ) التّرجي والتّوقّع والإشفاق؛ والتّرجي هو انتظار حصول أمر مرغوب فيه، ميسور التّحقّق، والإشفاق يكون في الأمر المكروه⁴.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج9، ص179

² - ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج2، ص194.

³ - أسرار العربية، الأنباري، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/ 1998م ص93.

⁴ - ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، ج1، ص631-635.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

والفرق بين إنَّ وأنَّ من حيث المعنى هو أنَّ جملة (إنَّ) المكسورة الهمزة مستقلة بنفسها. وجملة (أنَّ) المفتوحة الهمزة متصلة من حيث المعنى بغيرها؛ فهي تشكّل مع معموليها مصدرًا مؤوّلًا له موقعه الإعرابي. فقولك: يعجبني أنَّ شعرك جميل، تقديره: يعجبني شعرك الجميل.

ومن مواضع (إنَّ) قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: 59]. يرى القرطبي أنَّ (إنَّ) دالة على الاستئناف والقطع ممّا قبله، وفيه معنى التوكيد¹. وجاء التوكيد موائماً لسياق الآية، مطابقاً للجزء الأول من الآية، الذي دلّت عليه نون التوكيد في الفعل (يحسبن)، فهو توكيد على إنكار زعمهم حين حسبوا أنَّهم سبقوا، فأكد الله عجزهم وعدم قدرتهم البتّة على إعجازهم لله تعالى.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النور: 62]. دخلت (ما) على (إنَّ)، فأبطلت عملها، لكنّ معنى بقي أثره. فأفادت إلى جانب التوكيد والتّحقيق معنى الحصر؛ قال القرطبي: "المعنى: لا يتمّ ولا يكمل إيمان من آمن بالله ورسوله إلا بأن يكون من الرسول سامعاً"². أكّد الله تعالى معنى المؤمن فيمن آمن بالله ورسوله كلاهما، فالتّوكيد والحصر أفادتهما كلاهما (إنَّ) المضافة إليها (ما).

ومثلها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 173]. قال القرطبي في دلالة معنى (إنّما): "إنّما: كلمة موضوعة للحصر، تتضمّن النّفي والإثبات، فتنبّأ ما تناوله الخطاب، وتتفي ما عداه"³. وهذا هو معنى الحصر؛ توكيداً للمذكور ونفيّ لسواه. ففي الآية حصرٌ للمحرّمات، وقد ذكّرت، والإباحة لغيرها، ممّا لم يدخل في الحصر.

وأما (أنَّ) بالفتح فتدلّ مع معموليها على مصدر، هو عبارة عن معنى جاء أنَّ لتدلّ عليه. والقرطبي كان يذكر هذا المعنى في مواضع ذكر (أنَّ) في القرآن. وذلك نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: 107]. فالمعنى: ألم تعلم ملك الله للسموات

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج10، ص55.

² - المصدر نفسه، ج15، ص357.

³ - المصدر نفسه، ج3، ص22.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

والأرض "بالإيجاد والاختراع، والمُلك والسلطان، ونفوذ الأمر والإرادة"¹. ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:102]. فأنَّ في موضع رفع، والمعنى في تقدير أنَّ: ولو وقع لنا رجوعٌ إلى الدنيا لآمنَّا حتَّى يكون لنا شفعاء².

وأما (لعلّ) فدالة في العموم على الإشفاق والرجاء والتّوقع. وقد وردت في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. [البقرة:21] وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. [البقرة:83] وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:56]. وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:152]. وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:53]. وغيرها كثير؛ فعلّ هنا عند القرطبي³ على ثلاثة أوجه: فإمّا أن تكون على بابها من التّرجي والتّوقع، والتّوقع إنّما هو في حيّز البشر، فكأنّه قيل لهم: افعلوا ذلك على الرّجاء منكم والطّمع أن تعقلوا، وأن تذكّروا، وأن تتّقوا.

وهذا مذهب سيبويه في تعليقه على قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:43-44]. قال سيبويه: "اذهبا أنتما في رجائكما وطمعكما"⁴ أن يتذكّر أو يخشى. والوجه الثّاني أنّ العرب استعملت (لعلّ) مجردة من الشكّ بمعنى لام (كي). فالمعنى: لتعقلوا ولتذكّروا، ولتتّقوا. والوجه الثّالث: أن تكون (لعلّ) بمعنى التّعريض للشّيء، كأنّه قيل: افعلوا ذلك متعرّضين لأن تعقلوا، أو لأن تذكّروا، أو لأن تتّقوا. والأوجه الثلاثة جائزة.

وتخرج (لعلّ) من التّرجي إلى معنى جزئي متّصل بالتّرجي؛ مثاله قوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون:100]. هذا خطاب من جاءته الموت فسأل الله الرّجعة. ويرى القرطبي أنّ (لعلّ) ههنا تدلّ على معنى التّردّد؛ فقائلها إنّما استيقن العذاب، فقال: أرجعني إلى الدّنيا لعلّي أعمل صالحًا، أي: أعمل صالحًا إن وفّقنتي، فهو يعلم أنّه لا يقطع بوجود القدرة والتّوفيق على العمل الصّالح لو رُدّ إلى الدّنيا⁵.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص311.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج16، ص49. وينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج3، ص185.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص342.

⁴ - الكتاب، سيبويه، ج1، ص331.

⁵ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج15، ص86، 87.

9. الصفة/ النعت:

المتعمّن في ألفاظ اللّغة العربيّة ودلالاتها، يلاحظ أنّ بعضها أسماء، وبعضها أفعال وبعضها الآخر أوصافٌ ونعوتٌ لها. وليست الصّفة أو النعت أو الوصف هو ما اصطُح عليه النّحاة فقط؛ أحد أفراد التّوابع الأربعة، وإنّما يتجاوز ذلك، إلى كلّ اسمٍ يحمل وصفًا، ويفيدُ نعتًا من النّعوت. فالخبر وصفٌ: (السّماء صافيةً)، والفاعل وصفٌ: (جاء الشّجاع) وغيرهما ممّا يفيد الوصف، لكن لا يُعربُ نعتًا. وإنّما هي أوصافٌ من حيث المعنى والدّلالة والوظيفة، ولا تُدرجُ في باب الصّفة بمعناها النّحوي، الذي نقصده ها هنا.

فالنّعتُ أو الصّفة، أو الوصف -كما يسمّيه ابن جني¹- أو الصّلة -كما يسميه الفراء²- هو اسم يحمل معنى الوصفية، ويتبع الاسم الذي ينعتُه (الموصوف/ المتبوع)؛ نحو: "مررتُ برجلٍ ظريفٍ قبلُ، فصار النّعتُ مجرورًا مثل المنعوت؛ لأنّهما كالاسم الواحد"³. فالرجل الذي تقصده هو نفسه الظّريف الذي نعتَ به، فهما كالاسم الواحد. والوصف الذي يدلّ عليه النّعت هو ما تعلّق بالدّوات؛ قال الزّمخشري -معرفًا الصّفة-: "هي الاسم الدّال على بعض أحوال الدّات"⁴.

والفرق بين الصّفة والحال -كما سبق أن ذكرنا في باب الحال- أنّ الحال وصفٌ مؤقت والصّفة وصفٌ دائم. وهي من التّوابع، والتّوابع أربعة: الصّفة، والبدل، والتوكيد، والمعطوف. ويُسمّى النّعتُ -غيره- تابعًا؛ لأنّه يتبع منعوته في رفعه ونصبه وجره، وفي تذكيره وتأنيثه، وفي تعريفه وتذكيره، وفي إفراده وتثنيته وجمعه. ويختلف النّعت عن غيره من ضروب التّوابع في أنّه يأتي مفردًا وغير مفرد؛ أي: جملة وشبه جملة"⁵.

وللنعت أغراض ومعانٍ إعرابية، تُستقى من السّياق. وممّا أجمله السيوطي⁶ من المعاني التي يأتي لأجلها النعت: أنّه يكون للمدح؛ في مثل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

¹ - اللّمع في العربية، ابن جني، تح: سميح أبو مغلي دار مجدلاوي، عمان، الأردن، 1988م، ص65.

² - ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج3، ص149.

³ - الكتاب، سيبويه، ج1، ص421.

⁴ - المفصل في علم العربية، أبو القاسم الزمخشري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، ص114.

⁵ - بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، ص176.

⁶ - ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدّين السيوطي، تح: أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/ 1998م، ج3، ص117.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

[الفتحة:2]، ولذمّ؛ نحو: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، والتّرحّم؛ نحو: (لطفَ الله بعباده الضّعفاء)، وللتّوضيح؛ أي: لإزالة اللبس، نحو: مررتُ بزيد الكاتب، وللتّخصيص في النّكرة؛ نحو: ﴿فَتَحَرَّيْ رَقَبَةَ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:92]، وللتوكيد؛ نحو: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [النحل:51] وللتّعميم؛ نحو: مررتُ برجلين عربيّ وعجميّ.

والنّعتُ نوعان: نعتٌ حقيقيّ، وهو ما سبق ذكره، ونعتٌ سببيّ؛ وهو ما كان "اسماً مركّباً يتمّ فيه الاسم بمرفوعٍ بعده"¹. ومثله قوله تعالى: ﴿أَخْرَجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء:85] وقولك: (رأيتُ فتىً باكيةً أمه)². فالنّعت هنا لا يرتبط بسابقه، كما عرفنا في النّعت الحقيقي. فالأصل أن تقول: رأيتُ فتىً باكيةً أمه عليه؛ لأنّ البكاء وصف للأُم، لكن جاءت التّبعية من باب المجاورة، فتبع ما سبقه؛ لأنّه وافقه في التعريف والتّكثير، واشتهر هذا في قول العرب: (هذا جُحر ضبّ خرب).

وكذلك في قوله: (القرية الظّالم أهلها)، فالظّالم صفةٌ للأهل، لكنّها تبعّت في إعرابها القرية. قال القرطبي: "ووصفها [أي: القرية] بالظلم، وإن كان الفعل للأهل، لعلقة الضمير"³؛ أي: لتعلّق الضمير في (أهلها) بالقرية. وضرب لذلك القرطبيّ أمثلةً للإيضاح؛ نحو: مررتُ بالرجل الواسعة دأره، الكريم أبوه، والحسنة جاريته، "وإنما وُصفَ الرجلُ بها للعلقة اللفظية بينهما وهو الضمير"⁴.

ومن مواضع الصّفة ومعانيها في تفسير القرطبيّ -وهي كثيرة- قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة:2-3]. ذكر الله تعالى الكتاب، وهو القرآن العظيم، بأنّه لا ريب فيه ولا شكّ، وأنّه هدى ورشاد للمتّقين. وأراد الله تعالى أن يبيّن صفة المتّقين الذين يهتدون بهذا الكتاب، فقال: (الذين يؤمنون بالغيب، ويقومون الصلاة، ومما رزقناهم ينفقون)، فالذين: "في موضع خفضٍ نعتٌ للمتّقين"⁵. وصلة الموصول بعد (الذين) تفسّر صفتهم؛ لأنّ (الذين) اسم مبهم، تفسّره صلته. فهو نعتٌ غرضه المدح.

¹ - بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، ص176.

² - ينظر: إحياء النّحو، إبراهيم مصطفى، ص124، 125.

³ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج6، ص461.

⁴ - المصدر نفسه، ج6، ص461.

⁵ - المصدر نفسه، ج1، ص251.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

وضد المدح الذم، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:7]. عظيم: نعت للعذاب¹. فهو نعت يفيد الذم والتشنيع والتنفير والتخويف. ومثله قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة:24]. فالتى: نعت للنار². فبعد أن أمرهم باتقاء النار، ذكر لهم صفتها تخويفاً لهم؛ لأجل أن يبتعدوا عنها بأعمالهم، وينفروا منها. ومن الذم أيضاً وصفه للفاسقين: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة:26-27]. فالذين: "في موضع نصب على النعت للفاسقين"³. وهو ذم لهم وفضح.

وعلى عكس التنفير، قد تُذكر الصفة إغراءً وتحبيباً ودعوة إلى ما أُريد منهم. قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة:25]. بشر المؤمنين بالجنة، ثم ليزيد شوقهم لها، ورغبتهم فيها، ذكر أوصافها، وعدد نعوتها، ويدل على ذلك أن الفعل (تجري) "في موضع النعت لجنات"⁴ بمعنى إعرابه نعتاً المدح والتحبيب والإغراء. وهلم مع مواضع النعت التي لا تخرج في معظمها عن هذه المعاني والأغراض، التي تشارك في توجيه معنى الآية العام.

10. البدل:

تحكم بعض ألفاظ العربية علاقة التعاوضيّة؛ أي: قبول بعض الألفاظ الاستبدال بألفاظ أخرى، فيذكر اللفظان في الجملة، وكلاهما يجوز أن ينوب عن الآخر في تأدية المعنى المطلوب منهما. فلما كان اللفظ الأول السابق أولى من الثاني، سمى النحاة ما تبعه بدلاً. فيكون اللفظ الأول

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص292.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص353. وينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص201.

³ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص369.

⁴ - المصدر نفسه، ج1، ص359.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

المتبوع مُبدلاً منه. "ويسميه بعض النحاة -هم الكوفيون- بالترجمة والتبيين... والتكرار"¹، وأطلق عليه الفراء: التكرير². وقال ابن جنّي: "وعبرة البدل أن يصلح بحذف الأول وإقامة الثاني مقامه"³ فالبدل عند النحاة ما يصحّ أن يقوم مقام الأول ويأخذ عنه جميع أحكامه.

لذا فإنّ الفرق بين البدل وغيره من التّوابع، هو أنّ "البدل تابع مقصود بما يُسبب إلى المتبوع عنه"⁴؛ أي: أنّه يأخذ أحكام متبوعه كأنّه المقصود بالحكم، وأما غيره من التّوابع فالتّابع فيها هو مكملّ لمتبوعه لا غير. والفرق بين البدل وعطف البيان -وهو المعطوف بغير حرف- أنّ البدل "تقديره أنّ يوضّع موضع الأول"⁵ أي: أنّك تستطيع بالاستغناء بالتّاني عن الأوّل، وأما عطف البيان فيعني أنّك "إنّ ذكرت الاسم الأوّل لم يُعرف إلا بالتّاني، وإنّ ذكرت التّاني لم يُعرف إلا بالأوّل، فجئت مبيناً للأوّل، قائماً له مقام التّعت والتّوكيد"⁶.

والبدل من حيث المعنى وعلاقته أربعة أضرب: بدل كلّ، وبدل بعض، وبدل اشتمال وبدل غلط أو نسيان. ويجوز أن تُبدل بين المعرفة والتّكرة، وبين المضمّر والمظهر، والعكس. فكلّ الوجوه جائزة⁷. والغرض الأساس للبدل هو التّبيين؛ "فالبدل والمبدل منه شيء واحد عند المتكلّم والمخاطب يعرف واحداً منهما، ويريد المتكلّم أن يبيّن للمخاطب، أنّهما شيء واحد، ولهذا سُمّي التّرجمة أو التّبيين"⁸. وجعل النحاس⁹ فائدة البدل: البيان.

ويحمل البدل أيضاً معنى التّوكيد؛ لأنّ قولك: مررتُ بزيد أخيك، في تقدير: مررتُ بزيد مررتُ بأخيك. ولكنهما صاراً كالاسم الواحد، ولم يقع تكرار العامل لفظاً حتى لا يلتبس على السامع أنّهما اثنان مختلفان، والحقيقة أنّهما شيء واحد. لذا فالبدل عند النحاة هو على نيّة تكرار

¹ - بناء الجملة العربية، محمد عبد اللطيف حماسة، ص187.

² - ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج3، ص279.

³ - اللع في العربية، ابن جنّي، ص68.

⁴ - شرح الرّضيّ على الكافية، يوسف حسن عمر، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط2، 1996م، ج2، ص379.

⁵ - الأصول في النّحو، لأبي بكر محمّد بن سهل بن السّراج، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان ط3، 1417هـ/1996م، ج2، ص46.

⁶ - إعراب القرآن، النحاس، ج5، ص227، 228.

⁷ - ينظر: المقتضب، المبرّد، ج4، ص295. وينظر: اللع في العربية، ابن جنّي، ص68.

⁸ - بناء الجملة العربية، محمد عبد اللطيف حماسة، ص187.

⁹ - ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج5، ص294.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

العامل، ومنه جاء عن سيبويه قوله: "وذلك قولك: رأيت قومك أكثرهم ... على أنه أراد: رأيت أكثر قومك ... نثني الاسم؛ تأكيداً"¹، كأنهما -وهما يحملان المعنى نفسه- تكرار للمعنى، والتكرار يفيد التوكيد.

وقد يُضاف إلى معاني البديل معنى آخر؛ وهو معنى التفصيل. ويكون ذلك إذا جاء البديل مجملاً، فتكون وظيفة البديل التفصيل. من ذلك قوله تعالى، يحكي جواب أبناء يعقوب -عليه السلام- لأبيهم: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَالْآلَةَ آبَائِكَ ابْرَاهِمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: 133]. قال القرطبي: "إبراهيم وإسماعيل وإسحاق: في موضع خفض على البديل"²، وهو بدل من الآباء؛ التي ذكرت مجملة، فأرادوا التفصيل، فجاءوا بالبديل. ومثله قوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَرَبَعٌ﴾ [النساء: 3]. مثني وثلاث ورباع في موضع نصب على البديل³، فقد حدّد بالبديل العدد المسموح به في مسألة التعدد في النكاح.

ومعاني علاقة البديل بالمبدل منه أربعة: تقول في بدل الكل من الكل: قام زيد أخوك. فكأنك -وأنت تقصد كليهما- تبيّن زيدا وتعرفه للسامع، بأن القائم زيد الذي هو في الحقيقة أخوك. فجائز استغناؤك عن زيد بقولك: قام أخوك، والعكس. وفائدة المبدل منه والبدل: أن ذكرك لزيد إخراج لإخوته مما ليس بزيد، وقولك (أخوك) إخراج لمن تسمّى بزيد، ولم يكن أخا له.

وفي بدل بعض من كل قولك: ضربت زيدا رأسه، فالمضروب زيد، والمضروب من زيد رأسه. فكأنك إذا قلت: ضربت زيدا، ظنّ السامع أنك أبرحتَه في كل مكان من جسده، فأبدلت الرأس من زيد وأنت تقصد بعضاً من كل. وأما بدل الاشتمال فنحو قولك: يعجبني زيد علمه. فالعلم مما اشتمل عليه زيد، فإنك -وأنت تُعجب بزيد- تُخصّص بما اشتمل عليه زيد مما استحقّ الإعجاب فتذكر العلم بدلا من زيد؛ لأنّه مما اشتمل عليه، ولا يسه.

وأما بدل الغلط أو النسيان فمثل قولك: أكلتُ خبزاً تمرّاً. فأنت إنما أكلت تمرّاً، لكن حين أنشأت القول غلطت أو نسيت، وكنت قد صرّحت بالغلط (الخبز) فتردّفه وتتبعه بالمُسْتَدْرَك (التمر)

¹ - الكتاب، سيبويه، ج1، ص150. وينظر: بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، ص188.

² - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص412.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ج6، ص30.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

وتُبدله من الأول. فكأنك قلت: أكلتُ خبزاً بل تمرًا. لذا يسمى أيضا ببدل الإضراب. والفرق بين بدل الغلط وغيره من الأبدال الأخرى، أن بدل الغلط المقصود بالمعنى فيه هو الثاني وليس الأول. وقال ابن جني: "وهذا البديل [أي: الغلط] لا يقع مثله في قرآن ولا شعر"¹. ولا في كلام مستقيم². وقد اختصر ابن الحاجب العلاقة بين البديل والمبدل منه في أضربه الأربعة بقوله: "قالأول [بديل الكل] مدلوله مدلول الأول، والثاني [بديل البعض] جزؤه، والثالث [بديل الاشتمال] بينه وبينه ملابسة بغيرهما، والرابع [بديل الغلط] أن تقصد إليه، بعد أن غلطت بغيره"³.

والبديل تابع من التوابع، إلا أن في تبعيته خصوصية تختلف عن غيره من التوابع. قال الرضي: "وبدل الكل من الكل يجب موافقته للمتبع في الأفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث فقط، لا في التعريف والتكثير. وأما الأبدال الأخر فلا يلزم موافقتها للمبدل منه في الأفراد والتذكير وفروعهما أيضا"⁴. هذا من حيث الإعراب والنحو، لكن من حيث الدلالة فيتبعه في حكمه ودلالته بناء على العلاقة بين البديل والمبدل منه مع كل ضرب من أضربه الأربعة، كما بيناها قبل.

فمن البديل، بدل الكل من الكل، قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿[الفاتحة: 6-5]﴾. قال القرطبي: "صراط: بدل من الأول، بدل الشيء من الشيء"⁵. وهو بدل معرفة من معرفة. ويسمى أيضا: البديل المطابق، فالصراط الثاني هو الصراط الأول. والدليل على المطابقة هذه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ صِرَاطَ اللَّهِ ﴿[الشورى: 52-53]﴾. فهذا بدل معرفة من نكرة⁶، فهو إبدال يفيد التبیین؛ إذ بعد أن ذكر النكرة، أراد توضيحها وتبيينها بما هو أعرف منها، فجاء بالمعرفة، فالصراط المستقيم هو صراط الله تعالى. وهذا كقوله

¹ - اللع في العربية، ابن جني، ص 69.

² - ينظر: المقتضب، المبرد، ج 4، ص 297.

³ - شرح الرضي على الكافية، ج 2، ص 384.

⁴ - المصدر نفسه، ج 2، ص 368.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 1، ص 229.

⁶ - ينظر: المصدر نفسه، ج 18، ص 516.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

تعالى: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: 15-16]. فناصية: بدل من الناصية¹، وهي نفسها؛ ولهذا قال الفراء: بأنها مجرورة على التكرير². إلا أنه بدل نكرة من معرفة. ومن بدل البعض من الكل **قوله تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: 97]. قال القرطبي: "من: في موضع خفض على بدل البعض من الكل"³. ومعناه: أن المبدل منه عامٌّ، والبدل خاصٌّ، فالحج فرض من الله تعالى على المستطيع من عباده، فجاء البدل ليخصّص وقوع الفعل بعد أن كان عامًّا، فيه مشقة، فوقع التيسير بالإبدال، فكأنه قال: والله على المستطيعين حج البيت.

وكذلك **قوله تعالى:** ﴿قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِصْفَهُ﴾ [المزمل: 2-3]. فنصفه بدل بعض من كل. وهو بدل من الليل⁴. أي: قم نصف الليل. وإنما ذكر الليل ثم النصف تأكيدًا. وقوله **تعالى:** ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّمَرِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: 126]. قال القرطبي: "(من آمن): بدل من (أهل) بدل البعض من الكل"⁵. فالفعل (ارزق) كان سيكون عامًّا لولا دخول البدل، وتخصيص الدلالة؛ فانتقل المعنى من الكل إلى البعض، فاستثنى من الأهل المؤمنين، وخصّهم برزق الله لهم. ومن بدل الاشتمال - وهو ما كان البدل فيه ليس جزءا من المبدل منه وإنما لابس واشتمل عليه - **قوله تعالى:** ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: 217]. هو بدل اشتمال عند سيبويه⁶، قال القرطبي: "لأن السؤال اشتمل على الشهر وعلى القتال؛ أي: يسألك الكفار تعجبًا من هناك حرمة الشهر، فسألهم عن الشهر إنما كان لأجل القتال فيه"⁷. فالمعنى عند القرطبي هو أنه قصدتهما بالسؤال: الشهر والقتال. والمعنى عند الزجاج⁸: يسألونك عن قتال في الشهر الحرام؛ أي:

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج22، ص385.

² - ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج3، ص279.

³ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص221.

⁴ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج5، ص239. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، ج21، ص318.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص384.

⁶ - ينظر: الكتاب، سيبويه، ج1، ص151.

⁷ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3، ص424.

⁸ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج1، ص282.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

أنه قصد القتال ولم يسأل عن الشهر، ووافقه المبرّد فقال: "لأنّ المسألة عن القتال، ولم يسألوا أيّ الشهر الحرام"¹.

وإنما نرتضي رأي القرطبي؛ لأنّ السؤال عنهما من حيث المعنى، فلم يسألوا عن القتال إلا حين كان في الشهر الحرام. وإبعاد القصد بالسؤال عن الشهر يجعل البديل أقرب إلى بدل الغلط لأنه بدلٌ يقوم على مبدأ إلغاء المبدل منه، ولا خلاف في عدم جواز تأوّل بدل الغلط في القرآن العظيم. فبدل الاشتمال، من حيث المعنى، يقصد فيه المتكلم المبدل منه والبديل، لكنه إلى قصد البديل أكثر منه إلى قصد المبدل منه، فكأنّ المتكلم قبل أن يذكر عين الشيء المقصود، فإنّه يذكر المجال الذي يشتمل عليه هذا الشيء وينتمي إليه.

11. التوكيد:

يعدّ التوكيد من أكثر الأبواب النحويّة التي تظهر من خلال اسمه وظيفته الدلاليّة، والمعنى الذي جاء يؤدّيه. على عكس غيره من الأبواب النحويّة التي قد يكون المعنى فيها متضمّنًا غير جليّ. والتوكيد يستوي فيه الجانبان: النحوي والدلالي؛ فهو من حيث النحو تابع لأجل التوكيد، ومن حيث الدلالة مؤكّد يؤكّد متبوعه. ومعنى التوكيد يظهر في هذا الباب بصورة جليّة، بالمقارنة مع غيره من الأبواب النحويّة الأخرى التي تتضمّن -فيما تتضمّن- من معانٍ - على غرض التوكيد. ومن حيث المصطلح يسمّى (التوكيد) والتأكيد. ونختار التوكيد عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْضُوا أَلَيْمَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: 91]. على أنّ كلا المصطلحين جائز.

ويكتسب التوكيد دلالته هذه من خلال ما يحمله من تكرار لفظي أو معنوي. فالتكرار اللفظي هو أن تُعاد اللفظة بنفسها، ويسمّى التوكيد اللفظي، ويقع على الاسم والفعل والحرف والجملة. قال عنه ابن الحاجب: "يجري في الألفاظ كلّها"². والتكرار المعنوي هو توكيد للمعنى بألفاظ مخصوصة، ولا تكون إلا أسماء، وهي (النفس) و(العين) وهما لتوكيد الذات، و(الكل) و(الجميع) لتوكيد العموم ونفي الخصوص، وتوكيد ما يكون جمعا، أو ما يقبل التجزئة، و(كلا)

¹ - المقتضب، المبرّد، ج4، ص297.

² - شرح الرضي على الكافية، ج2، ص363.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

و(كلتا) لتوكيد المثنى، و(أجمع) و(جمعاء) و(أجمعون) و(جُمع). ولا بدّ في ألفاظ التوكيد المعنوي من ضمير عائد على المؤكّد، وهو الرّابط بينهما¹؛ فنقول: جاء زيدٌ نفسه، وجاء الزيدان أنفسهما وجاء الزيدون أنفسهم. ما عدا (أجمع وجمعاء وأجمعون) فلا تحتاج ضميراً؛ لأنّه غالباً ما يؤكّد بها بعد (الكل)².

وكان الرّضيّ الإستراباذي أكثر النّحاة تطرّفًا إلى معنى التّوكيد ودلالته؛ حيث قال: قالغرض الذي وضع له التّوكيد؛ أحدُ ثلاثة أشياء: أحدها: أن يدفع المتكلّم ضررَ غفلة السّامع عنه. وثانيهما: أن يدفع ظنّه بالمتكلّم الغلط، فإذا قصد المتكلّم أحد هذين الأمرين، فلا بدّ أن يكرّر اللفظ ... تكريراً لفظياً ... والغرض الثالث: أن يرفع المتكلّم عن نفسه ظنّ السّامع به تجوّزاً؛ وهو ثلاثة أنواع: أحدها أن يظنّ به تجوّزاً في ذكر المنسوب ... والثّاني: أن يظنّ به السّامع تجوّزاً في ذكر المنسوب إليه المُعيّن ... والثّالث: أن يظنّ به السّامع تجوّزاً، لا في أصل النسبة، بل في نسبة الفعل إلى جميع أفراد المنسوب إليه ... فهذا هو توكيد الغرض من جميع ألفاظ التوكيد³.

فالمعنى: أنّ المتكلّم لا يؤكّد كلامه إلا لأحد ثلاثة أغراض: فإمّا لينبّه السّامع الغافل إلى ما يريد أن ينتبه إليه ويركّز عليه، فتكرّر اللفظة نفسها مرّتين أو أكثر حتّى ينتبه إليها السّامع إن رأيته غافلاً أو قد يغفل. والغرض الثّاني إن ظنّك السّامع أخطأت وغلطت، فتؤكّد له أنّك تقصد ما قلت، وتتفي عنه الظنّ بالحقيقة، ويكون هذا التوكيد بالتكرار اللفظي أيضاً، فيتأكّد السّامع حين تكرّر له اللفظة أنّك تقصدها بعينها لا غيرها.

والغرض الثّالث أن يظنّ بك السّامع أنّك تقصد المعنى الذي تريده مجازاً لا حقيقةً. فتؤكّد له الكلام لتتفي عنك إرادة المجاز. ويقع هذا المجاز على أمور ثلاثة: الأمر الأوّل أن يظنّ أنّ الفعل الذي أوقعته هو للمجاز أو المبالغة لا للحقيقة، فقد تقول: قُتِلَ زيدٌ، فيظنّك قصدت مجازاً: ضُرب ضرباً شديداً حتّى كأنّه قُتِلَ، فتؤكّد الكلام للحقيقة فتقول: قُتِلَ قُتِلَ زيدٌ.

¹ - ينظر: بناء الجملة العربيّة، محمد عبد اللطيف حماسة، ص184.

² - ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، تح: محمد خير طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان ص253.

³ - شرح الرضي على الكافية، ج2، ص357-359.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

والأمر الثاني أنك قصدت نفي المجاز أو المبالغة في من نسبت إليه الفعل، مما يجوز أن تقصد غيره، فتؤكد له المنسوب إليه، حتى يعلم أنه على الحقيقة لا المجاز؛ كأن تقول: قطع الخليفة يد السارق، فيظن السامع أن القطع كان بأمر من الخليفة، لا أن يكون هو الفاعل حقيقة بل جنده، فتتفي عن السامع المجاز، وتؤكد له قصدك الحقيقة، فتقول مؤكداً: قطع الخليفة الخليفة يد السارق، أو تقول: قطع الخليفة نفسه يد السارق.

وأما الأمر الثالث أن يظن بك السامع أنك قصدت نسبة الفعل إلى بعض من نسبت إليهم وليس كلهم، فتريد تأكيد الحقيقة أنك تقصد الجميع على العموم لا الخصوص، وهذا التوكيد لا يقع إلا على ما يتجزأ. كأن تقول: صافحت القوم، فيظن بك أن صافحت بعضهم، فتؤكد له رافعا المجاز مثبتاً الحقيقة: صافحت القوم كلهم.

ومن أمثلة التوكيد عند القرطبي؛ قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: 35]، وقوله تعالى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا﴾ [المائدة: 24]. فالآية الأولى خطاب من الله تعالى لآدم عليه السلام، والثانية خطاب من قوم موسى، عليه السلام، لنبيهم - حين تخلفهم عن القتال - وفيهما تكرار يُفيد التوكيد. قال القرطبي: "أنت: تأكيد للمضمر الذي في الفعل¹ فالفعل (اسكن/ اذهب) يتضمن الضمير وجوباً، وإبرازه بعد الفعل في آيتين هو تكرار على سبيل التوكيد، حتى يعلم المخاطب أنه المعني نفسه لا غيره بالخطاب والأمر.

ومن تكرار الضمير أيضا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [البقرة: 249]. تحدث الله تعالى عن خروج طالوت بجنوده، وقطعهم النهر الذي جعله الله لهم فتنة أن لا يشربوا منه إلا غرةً بيده، فقال: فلما جاوزَهُ هو: "الهاء تعود على النهر، و(هو): توكيد²". وقد يفيد التوكيد رفع اللبس على من شك أن المجاوزين جنوده لا هو بشخصه، فهو توكيد لعين الفاعل ورفع للمجاز. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَفَرُونَ﴾ [الأنبياء: 36]

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص448

² - المصدر نفسه، ج4، ص244.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

قال القرطبي: "هم الثانية توكيد كفرهم؛ أي: هم الكافرون، مبالغة في وصفهم بالكفر"¹. فغرض التوكيد هو الزيادة في المبالغة.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:255]. فلا الثانية توكيد². كان جائزاً لو قال: لا تأخذه سنة ولا نوم، ولكن للتوكيد فصل بينهما، وخصص لكل اسم نفيًا منفردًا، ليتأكد السامع من نفي السنة، ونفي النوم عنه سبحانه وتعالى. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:154]. فكله توكيد³؛ لحقيقة المنسوب إليه، فإن الأمر كله لله، لا بعضه. فهو توكيد للعموم ونفي للخصوص؛ الذي قد يجوز في الكلام غير المؤكد.

ومن دقائق التوكيد قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس:99]. فكلهم توكيد لـ(مَن)⁴. وجميعًا: توكيد على قول الأخفش⁵. فكأن المعنى: أن قدرة الله تعالى على هداية من شاء تستغرق كل مخلوق على الأرض، والاستغراق دللت عليه (مَن). ثم أكد العموم هذا بقوله (كلهم) نافيًا البعضية المحتملة، والمجاز في التخصيص، ثم أكد التوكيد نفسه بقوله: جميعًا؛ الدالة على العموم أيضًا.

ونختم باب التوكيد بكلام القرطبي عند تفسير قوله تعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا [الشرح:5-6]. قال: "إن من عادة العرب إذا ذكروا اسمًا معرفًا وكرروه، فهو هو. وإذا نكروه ثم كرروه فهو غيره. وهما اثنان؛ ليكون أقوى للأمل، وأبعث على الصبر، قاله ثعلب"⁶. فليس تكرار المعرفة كتكرار النكرة. فكل منهما دلالتة ومعناه.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج14، ص203.

² - ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص330. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج4، ص270.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص371.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ج11، ص56.

⁵ - معاني القرآن، الأخفش، ج1، ص378.

⁶ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج22، ص358. وينظر: النكت والعيون، الماوردي، ج6، ص298. وينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد النيسابوري، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/1994م، ج4، ص518، 519.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

ومن مآثور ما سمعناه من التفسير المرئي للإمام الشعراوي رحمه الله¹، لهذه الآية قوله: إنَّ المعرفة إذا تكرّرت فهي عين الأول، والنكرة إذا تكررت تعدّدت، ولم تكن عين الأول؛ أي: كانت غير الأول. ومن هذا المنطلق قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ»². فلما جاء العسر معرفةً فإنّه واحد، وتكرّر للتأكيد لا للتعدد، وتكرّر اليسر وهو نكرة فتعدّد؛ فأصبح لدينا في الآية: عسرٌ واحدٌ وبسران.

ومن الكرامات التي يجريها الله تعالى على أوليائه الصالحين، ما ذكره الإمام الشعراوي في المقام نفسه، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:84]. فكيف الأمر هنا؟ وقد جاء (إله) نكرة، والنكرة -كما سبق- إذا تكررت تعدّدت. فهل هذا يعني وجود إلهين؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. قال الإمام الشعراوي: كنا في المسجد الأحمدى، وجاء الشيخ محمود شنتوت، وكان شيخ الأزهر، في زيارةٍ إلى طنطا، وزار المسجد. فلما صلى وكان بالمسجد أستاذُ تفسيرٍ اسمه: أبو العينين. فسأله عن (إله) التي في الآية، هل تُطبّق عليها قاعدة: العسر واليسرين؛ أي: قاعدة تكرار المعرفة والنكرة. فقال شيخ الأزهر: القاعدة أغلبية وليست مطّردة على كل الحالات. يقول الشعراوي: وبينما نحن في نقاش هذه المسألة المعضلة؛ إذ دخل علينا رجل والله ما عرفناه قبلُ ولا عرفناه بعد. رجلٌ رأسه مكشوفة ومعه عصا، وقال: يا علماء يا علماء، هل نسيتم اسم الموصول؟ أي: (وهو الذي) فاسم الموصول معرفة وهو واحد. وإله المتكررة هي صلة موصول، لهذا فلم يحصل هناك تكرار؛ لأن المذكور واحد وهو اسم الموصول (الذي). وهذا من أسرار البيان القرآني.

12. الإضافة (المضاف والمضاف إليه):

من المعلوم في علم العربية أنّ لكلّ لفظٍ معنًى، أو بالأحرى: لكلّ معنى لفظٌ يعبر عنه. إلا أنّ الممعن بنظره في دقائق المعاني وألفاظها يجد بعض المعاني التي لا يُعبّر عنها إلا بلفظين اثنين، لا انفصام لهما. وذلك قولك: جاء غلامٌ زيدٌ، فالجائي هو معنًى واحد يرتسم في الذهن، لكن

¹ - نقصد تفسيره المصور. متوفر على الشابكة.

² - أخرجه الطبري في تفسيره، ج24، ص495، 496.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

لا يُعَبَّرُ عنه إلا بلفظين متلازمين، يأخذ الأول منهما حكمه الإعرابي كما تأخذه الألفاظ الواحدة المعبرة عن معانيها، بحسب موقعها الإعرابي من الجملة. ويبقى الثاني مضافاً له مجروراً أبداً، أو بالتركيب الإضافي.

وسمّاهما النّحة: المضاف والمضاف إليه؛ لأنّ الاسم الأول هو الذي يُضاف إلى الثاني. فمن حيث المعنى لا يتمّ الاسم الأول إلا بالاسم الثاني، فهما كاللفظ الواحد. قال ابن جني: "والإضافة تقتضي وصل المضاف بالمضاف إليه؛ لأنّ الثاني تمام الأول، وهو معه في أكثر الأحوال كالجزء الواحد"¹. فالإضافة في اللّغة هي النّسبة، وفي الاصطلاح عرّفها السيوطي أنّها: "نسبة تقييدية بين اسمين تُوجِبُ لثانيها الجرّ"².

ولمّا كانت الكسرة عند النّحة هي علم الإضافة، فإنّ المضاف إليه هو كلّ مجرورٍ بحرف ظاهر أو مقدّر، فقولك: جاء غلامٌ زيدٍ، هي في التقدير: جاء غلامٌ لزيدٍ. فكثير من النّحة يعدّون المجرور بحرف الجرّ من المضاف إليه أيضاً. قال ابن الحاجب: "والمضاف إليه كلّ اسمٍ نُسِبَ إليه شيءٌ بواسطة حرف جرّ لفظاً أو تقديرًا"³. لذا فالمضاف إليه يُقدَّرُ له حرف الجرّ معنًى لا لفظاً مثلما أنّ المجرور بالحرف يُضاف إليه بواسطة الحرف.

وهذا الرّأي هو رأي النّحة الأوائل، مع أنّ السائد اليوم عند النّحة المتأخّرين هو التفريق بين الاسم المجرور والاسم المضاف إليه؛ قال سيبويه: "والجرّ إنّما يكون في كلّ اسمٍ مضاف إليه. واعلم أنّ المضاف إليه ينجرّ بثلاثة أشياء: بشيءٍ ليس باسم ولا ظرف [وهو الحرف]، وبشيءٍ يكون ظرفاً [ظرف الزمان وظرف المكان]، وباسم لا يكون ظرفاً"⁴.

وذكر ذلك بصريح العبارة - المبرّد بقوله: "هذا باب الإضافة، وهي في الكلام على ضربين: فمن المضاف إليه ما تضيف إليه بحرف جرّ، ومنها ما تضيف إليه اسماً مثله"⁵. وهو

¹ - المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، تح: علي نجدي ناصف وآخران وزارة الأوقاف، القاهرة، مصر، 1415هـ/ 1994م، ج1، ص165.

² - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، ج2، ص411.

³ - شرح الرّضي على الكافية، ج2، ص201.

⁴ - الكتاب، سيبويه، ج1، ص209.

⁵ - المقتضب، المبرّد، ج4، ص136.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

الاسم المضاف الذي نحن بصدد، ونرجئ المجرور بالحرف إلى باب. ولا يُضاف المضاف إلى المضاف إليه إلا إذا كانت بينهما أدنى ملاسة¹، فلا يجوز إضافة ما لا علاقة لهما ببعضهما.

وذكر سيبويه الأسماء التي يجوز أن تكون مضافة، فقال: "وأما الأسماء فنحو: مثل، وغير وكل وبعض، ومثل ذلك أيضاً: الأسماء المختصة نحو: حمارٍ وجدارٍ ومالٍ، وأفعل نحو قولك: هذا أعمل الناس، وما أشبه هذا من الأسماء كلها؛ وذلك قولك: هذا مثلُ عبدِ الله، وهذا كلُّ مالك وبعض قومك، وهذا حمارُ زيدٍ، وجدارُ أخيك، ومالُ عمرو، وهذا أشدُّ الناس²". وكل هذه الأمثلة تعني النسبة؛ أي: إضافة المضاف إلى المضاف إليه، إلا صيغة التفضيل فتدلّ إلى جانب ذلك على الزيادة؛ فقولك: (زيدٌ أفضلُ القوم) "فقد أضفته إلى جماعةٍ هو أحدهم، تزيدُ صفته على صفتهم، وجميعهم مشتركون في الصفة"³.

وليس كلّ مضاف إليه مُقدَّر فيه حرف الجرّ، فقد يُضافُ الاسم إلى الاسم، وتسمّى الإضافة اللفظية، فقولنا: زيدٌ حسنُ الوجه، مضافٌ ليس بتقدير حرف جرّ، بل هو هو، "وكذا في: ضاربُ زيدٍ؛ لأنّ (ضاربٌ) وإن كان مضافاً إلى (زيد) لكنّه بنفسه لا بحرف الجرّ"⁴. وهذه الإضافة مختصة بالمشقات، إذا أضيفت إلى معمولاتها.

والإضافة نوعان: معنوية ولفظية. فالمعنوية "أن يكون المضاف غير صفةٍ مضافةٍ إلى معمولها"⁵. أي أنّ المضاف إليه لا يجب أن يكون معمولَ المضاف على جهة الصفة، فإنّما أن يكون المضاف غير صفةٍ نحو: غلامُ زيدٍ، أو يكون صفةً غير مضافةٍ إلى معمولها نحو: الله خالق السموات. والمقصود بالصفة اسم الفاعل واسم الفاعل وصيغ المبالغة والصفة المشبهة.

والإضافة المعنوية ثلاثة أقسام⁶: إمّا بمعنى اللام، أو بمعنى من، أو بمعنى في؛ نحو: غلامُ زيدٍ، وخاتم فضّةٍ، وضربُ اليوم؛ والمعنى: غلام لزيد، وخاتم من فضة، وضرب في اليوم.

¹ - ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، ج2، ص411.

² - الكتاب، سيبويه، ج1، ص420.

³ - الأصول في النحو، ابن السراج، ج2، ص6.

⁴ - شرح الرضي على الكافية، ج2، ص203.

⁵ - المصدر نفسه، ج2، ص206.

⁶ - ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص206.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

والفرق بين تقدير اللام ومن، مبني على العلاقة بين المضاف والمضاف إليه؛ قال ابن جني: "باب الإضافة، وهي في الكلام على ضربين: أحدهما ضم اسم إلى اسم هو غيره بمعنى اللام، والآخر: ضم اسم إلى اسم هو بعضه بمعنى (من)"¹.

وأضاف النحاة إلى هذين الحرفين تقدير الحرف (في)، "وقد أغفلها أكثر التّحويين، وهي ثابتة في الفصح؛ كقوله: ﴿أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: 204]، ﴿مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: 33] ... فمعنى (في) في هذه الأمثلة ظاهر، ولا يصحّ تقدير غيرها إلا بتكلف"². فما قُدِّرَتْ فيه اللام كان بمعنى المغيرة، وما قُدِّرَتْ فيه (من) كان بمعنى البعضية، وما قُدِّرَتْ فيه (في) كان بمعنى الظرفية. وأمّا الإضافة اللفظية فهي ما كانت غير معنوية، أي أن يكون الاسم المضاف صفةً تابعة لمعمولها؛ كقولك: مررتُ برجل حسن الوجه، أصلها: حسنٌ وجهه.

وقال ابن الحاجب في معنى الإضافة: "وتفيدُ تعريفاً مع المعرفة، وتخصيصاً مع النكرة وشرطها تجريدُ المضاف من التعريف"³. فلا يكون إلا نكرة. وقوله: (تفيدُ تعريفاً مع المعرفة) أن المضاف النكرة يصبح معرفةً أو معروفاً بالإضافة إلى مضاف إليه معرفة؛ كقولك: غلامٌ زيد فالغلام نكرةٌ لم يكن يُعرف من هو إلا بإضافته إلى زيد، فعُرف به. وقوله: (وتخصيصاً مع النكرة) معناه: أن المضاف إذا أُضيف إلى اسم نكرة، أفادته الإضافة تخصيصاً، فقولك: غلامٌ رجلٍ: خصّصت الغلام بأنّه ليس غلام امرأة.

وأسلوب الإضافة في اللغة العربية هو: "من أكثر الأبواب شيوعاً في الكلام، وأسيرها على الألسن"⁴، لما يمتاز به هذا الأسلوب من إيضاحٍ وتفسيرٍ واستيعابٍ للمعاني والأفكار. وعلى خطر هذا الباب وأهميته، لا نجد له عند النحاة واسع الكلام، وطول الدّراسة، كما حظيت به الأبواب الأخر. ولهذا دعا إبراهيم مصطفى النحاة "أن يدرسوها [أي: الإضافة] درساً واسعاً مفصلاً، دقيقاً

¹ - اللمع في العربية، ابن جني، ص 64.

² - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، ج 2، ص 413.

³ - شرح الرضي على الكافية، ج 2، ص 206.

⁴ - إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، ص 75.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

عميقاً، لا ليتبينوا أثرها في اللفظ، وحكمها في الإعراب، بل ليعرفوا سبيلها في البيان، وأثرها في تصوير المعاني، ومدى تصرف العرب فيها وتوسع العربية بها¹.

ونقول: هذا الذي ينبغي في هذا الباب وغيره من الأبواب النحوية، فنحن بحاجة إلى إعادة دراسة كل الأبواب النحوية ليس من جهة القاعدة النحوية، وإنما من جهة أداء هذه العناصر النحوية لمقاصد المعاني، ومدى مشاركتها في تصوير الأفكار وتأدية الدلالات. وإن يكن هذا الذي عزمنا عليه يندرج فيه إلا أنه لا يكفي، بل يحتاج مستفيض كلام، وإسهاب بحث، وطول مَدَارَسَةٍ.

ومن أمثلة الإضافة، ودلالاتها في القرآن العظيم، عند القرطبي؛ قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35]. فمما هو معلوم أن الإضافة ضدّ التنوين، فالتنوين يقطع الإضافة، فإذا كانت الإضافة تعني أن الاسم الثاني تمام الاسم الأول، فإنّ التنوين يعني تمام الاسم الأول. كما أن التنوين يفيد التكبير، والإضافة تفيد التعريف - كما ذكر ابن جني². فالفرق بينهما في الدلالة يتضح في هذه الآية الكريمة، التي قرئت على (قلب متكبر جبار) وقرئت بالتنوين: (قلب متكبر جبار).

قال القرطبي: بأن قراءة العامة هي بإضافة (قلب) إلى متكبر، وقرأ بعضهم بتنوين (قلب)³. فقراءة التنوين تعني أن (متكبر جبار) صفتان للقلب، "فكُنِيَ بالقلب عن الجملة؛ لأنّ القلب هو الذي يتكبر، وسائر الأعضاء تبع له"⁴. فالمعنى: أن الله طبع على كل قلب صفتَهُ التكبر والتجبر فكأنّ التكبر من صفات القلوب. ومن أضاف دون تنوين، فالمعنى: أن الله "يطبع على قلوب المتكبرين الجبارين قلباً قلباً"⁵؛ لأنّ في الآية حذفاً، تقديره: كذلك يطبع الله على كل قلب على كل متكبر جبار، فحذفت (كل) الثانية، لتقدّم ما يدلّ عليها.

¹ - إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، ص 77.

² - ينظر: الخصائص، ابن جني، ج 3، ص 65.

³ - ينظر: الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد، أبو علي الفارسي تح: بدر الدين قهوجي ويشير حويجاتي، دار المأمون للتراث، بيروت، لبنان، ط 1، 1411هـ / 1991م، ج 6، ص 109.

⁴ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 18، ص 357.

⁵ - المصدر نفسه، ج 18، ص 357.

الباب التطبيقي ----- الفصل الأول ----- المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

وفي المعنى نفسه، ذكر القرطبي الفرق بين تقدير الوصل بالإضافة، وتقدير القطع بالتثوين وذلك في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: 185]. قال القرطبي: قراءة العامة: (ذائقة الموت) بالإضافة، وقرأ الأعمش ويحيى وابن إسحاق: (ذائقة الموت) بالتثوين ونصب الموت. قالوا: لأنها لم تذق بعد؛ وذلك لأن اسم الفاعل على ضربين: أحدهما أن يكون بمعنى المضي، والثاني بمعنى: الاستقبال، فإن أردت الأول لم يكن فيه إلا بالإضافة إلى ما بعده كقولك: هذا ضاربٌ زيد أمس ... وإن أردت الثاني جاز الجر، والنصب والتثوين، فيما هذا سبيله هو الأصل¹.

وهذا الفرق واضح، فالإضافة تعني أن الفعل قد وقع، والتثوين يدلّ على الاستقبال وأن الفعل لم يقع بعد، ويظهر هذا جلياً في المثال الذي سقناه من قبل² في الفرق بين: أنا قاتلٌ أخيك أو أنا قاتلٌ أخاك؛ فالأول قاتلٌ، والثاني متوعدٌ. ومثل هذا في القرآن العظيم واردٌ، نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرُوبِ﴾ [الزمر: 38]، ومواضع أخر³.

ولما كان أسلوب المضاف والمضاف إليه ركيزةً في كلام العرب، كثيراً ما كان القرطبي وقبله النحاة، ينبّهون إليه، ويقدرّون ما حذف منه المضاف، لأهمية تقديره في المعنى، فجاءت مواضع كثيرة في تفسير القرطبي، قدر فيها القرطبي المضاف محذوفاً⁴؛ منها قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران: 141]، ذكر القرطبي⁵ أن (يُمَحِّصَ) يجوز أن تكون بمعنى (يطهر)؛ أي: يطهرهم من ذنوبهم، فهو على تقدير حذف المضاف، والمعنى: وليُمَحِّصَ الله ذنوبَ الذين آمنوا. وهذا ما ذهب إليه الفراء⁶ أيضاً.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص447، 448.

² - في الفصل الأول من الباب النظري من هذا البحث، ص36.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج13، ص374. ج20، ص306. ج21، ص46. ج22، ص66.

⁴ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص290. ج4، ص422. ج5، ص313، 333، 415. ج8 ص273. ج9 ص127 ج11، ص339. وغيرها.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه، ج5، ص338.

⁶ - ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج1، ص235.

الفصل الثاني

المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

- 1- الفعل والمعنى.
- 2- الفعل الماضي.
- 3- الفعل المضارع.
- 4- فعل الأمر.
- 5- الفاعل ونائب الفاعل.
- 6- المفعول به.
- 7- المفعول المطلق.
- 8- المفعول لأجله / له.
- 9- المفعول فيه (ظرف الزمان وظرف المكان).
- 10- المفعول معه.
- 11- الحال.
- 12- التمييز.
- 13- الاستثناء / المستثنى.
- 14- النداء / المنادى.

1. الفعل والمعنى:

بعد حديثنا عن دلالة معاني الإعراب مع الجملة الاسمية وما يتعلّق به، ها نحن ننهج الطريقة نفسها في دراسة المعاني الإعرابية في باب الأفعال وما يتعلّق بها في الجملة الفعلية، وإن كانت ثقل؛ لأنّ الكثير من الأفعال تتعلّق دلالتها الإعرابية بما تُقدّر به من أسماء ومصادر؛ أيّ أنّ كثيراً ما تُؤوّل الأفعال والحروف في موضع الأسماء، إذا ما نظرنا إلى عديد الأبحاث في المعاني النحوية والإعرابية خاصة، نراها تركّز على الاسم، ولا تلحق الأفعال والحروف لأنّها من بابها ومما يتعلّق بها.

من أجل ذلك، ارتأينا تقسيم الدراسة إلى جملة فعلية وكذا جملة اسمية، لأنّ أفراد الأفعال بالدراسة وفصلها عن الأسماء لا يحيلنا إلى المعاني الدلالية المرجوة، فالفعل متعلّق بالاسم. فقولك: (جاء الغلام يجري) فالفعل (يجري) يقدر اسماً في باب الحال، وقولك: أمرته أن فم، فالحاء و(أن) في محل اسم تُدرجان في باب المفعول به. وكذا تاء المتكلم، تُدرج في باب الفاعل. وهلمّ جراً. لكننا سنحاول بدءاً فصل بعض الأفعال والحروف عن محلها الإعرابي العام، والبحث في محلها الإعرابي الخاص، من حيث كانت فعلاً، أو حرفاً، وأثر ذلك في دلالة التركيب والجملة العربية عامة، والآية القرآنية خاصة، وفي شواهد القرطبي في تفسيره بصورة أخص. وندرج بعد ذلك الأبواب الاسمية المتعلقة بالجملة الفعلية كالفاعل والمفاعيل.

نظر النحاة إلى الفعل نظرة دلالية، بدليل أنهم قسّموه بعدّة اعتبارات على أساس ما يدلّ عليه، وأهمّ اعتبار نظروا إليه هو اعتبار الزمن؛ لأنّ الفرق بين الاسم والفعل هو دلالة الفعل على الزمن، وخلوّ الاسم منه. لهذا فسيبويه حين عرّف الفعل نظر إليه من زاوية الزمن، فقال: "وأما الفعل فأمثلةٌ أُخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائنٌ لم ينقطع. فأما بناء ما مضى: فذهبَ وسمعَ ومكثَ وحُمِدَ. وأما بناء ما لم يقع فإنّه قولك أمراً: اذهبَ واقتل، واضرب، ومُخبراً: يقتل ويذهب ويضرب، ويُقتل ويضرب. وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائنٌ إذا أُخبرت"¹.

¹ - الكتاب، سيبويه، ج1، ص12.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

فالفعل من حيث الزمان: ماضٍ، وهو ما انقطع زمن حدوثه. ومضارعٌ، وهو ما هو واقع الآن زمن حدوثه أو أنه سيقع، والأمر هو ما سيقع زمن حدوثه. وصرح سيبويه أنّ الأفعال مشتقة من الأسماء، وهي المصادر التي عبّر عنها بلفظه (الأحداث). وهو ما قصدناه، من أنّ دلالة الفعل تُستقى من دلالة ما يتعلّق به من اسم، أو ما اشتقّ منه. فالفعل (يدخل) دلالاته متعلّقة بما اشتقّ منه من المصدر (الدّخول).

ويعدّ الفعل ركناً أساسياً من أركان الإسناد في الجملة العربية، فكما أنّ الجملة الاسمية تتركّب من المسند إليه وهو المبتدأ، والمسند وهو الخبر، فكذلك الجملة الفعلية، وهي المبدوءة بفعل فإنّ ركنيها الإسنادين هما: الفعل مسنداً، والفاعل مسنداً إليه، ولا يكون الفعل مسنداً إليه أبداً. فالجملة الفعلية هي ما أسند فيها الفعل إلى فاعل ما. والفعل هو ما تضمّن حدثاً ما، مقروناً بزمن معيّن.

وهذه العناصر المركّبة للفعل لها دورها في تشكيل معنى الفعل؛ وهو الأمر الذي أثبتته النحاة الأوائل، من أنّ الفعل يحمل في ذاته معنى، وليس دائماً متعلّقاً بغيره من الأسماء. فنرى ابن السراج، وهو يعرف الفعل، يركّز على هذه النقطة، بقوله: "الفعل: ما دلّ على معنى وزمان"¹. فالفعل دالّ بنفسه عن المعنى، وهذا ما قاله ابن يعيش: "فأما الفعل فكلّ كلمة، تدلّ على معنى في نفسها، مقترنة بزمان"². فتضمّن الأفعال للزمان هو إخراج للأسماء، وتضمّنها للحدث والمعنى هو إخراج للحروف، التي لا تحمل معنى في أنفسها.

فالأفعال في معناها ودلالاتها متعلّقة بما اشتقّت منه من الأسماء، إلا أنّها تحمل في الوقت نفسه المعنى إلى جانب دلالتها على الزمن. دون أن ننسى ما كان يصنّفه النحاة من معاني أبنية الأفعال، وأنّ كلّ بناء يدلّ على معنى عام، يدخل فيه كلّ فعل جاء على تلك البنية. إلا أنّ هذا متعلّق بعلم الصرف؛ لأنّه يُدرج ضمن دلالة الأبنية الصرفية، المتعلّقة باللفظة نفسها أو الفعل نفسه، دون السياق النحوي الذي يرتبط به الفعل في الجملة التي تتضمّنه. وليس هذا مدار بحثنا

¹ - الأصول في النحو، ابن السراج، ج1، ص38.

² - شرح المفصل، ابن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ج7، ص2.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

النحوي، فالدلالة النحوية الإعرابية تدرس دلالة اللفظة في سياق الجملة؛ لأنّ الدراسة النحوية تعني دراسة العلائق بين عناصر التركيب الواحد.

على أنّنا نرى أنّ دلالتها على الزمن أولى من دلالتها على المعنى أو الحدث، فالأسماء تتضمن الحدث، والأفعال تتضمن الحدث والزمن، وكأنّ الفعل كان اسمًا، ولم يصّر فعلًا إلا حين أردنا أن نجعل للحدث الذي في الاسم زمنًا، فأضفنا له زمنًا فكان فعلًا. وأهميّة الزمن في الفعل دليلها أنّه لا يسقط الزمن عن الفعل أبدًا، بعكس الحدث الذي قد يسقط عن الفعل، كما في الفعل الناقص (كان)، فلم يسمّ ناقصًا إلاّ لأنه ناقص من الحدث، متضمّن للزمن فقط، يكتسب حدثه بما يدخل عليه من مبتدأ وخبر.

والملاحظ للدراسات النحوية القديمة، يجد أنّ النحاة اهتموا بالاسم في درسه النحوي، أكثر من اهتمامهم بالفعل، وهذا ما جعل بعض المتأخّرين يحاول الانتصار لمقام الفعل، لكنّ بعض المجتهدين قد بالغ في ذلك، وراح يعترض على النحاة فيما وضعوه من مسلمات، وربما ارتكازًا إلى بعض الاجتهادات الشاذة لبعض النحويين الكوفيين، والتي قد ردّ عليها النحاة بالحجج التي لا تذر للشكّ مجالًا؛ ونذكر منهم عبد الملك مرتاض، الذي حاول في مصنّفه الأخير (نظرية اللغة العربية) التأسيس لنظام جديد للجملة العربية، قد يهدم كلّ ما بناه النحاة قبل.

لقد عقد عبد الملك مرتاض في كتابه بابا سمّاه: (نظرية الجملة واضطراب المصطلح)¹ أعطى فيه تقسيمًا جديدًا للجملة العربية. فالجملة الفعلية في عرف النحاة، هي ما ابتدأت بفعل والجملة الاسمية هي ما ابتدأت باسم في موقعه الأصلي؛ أي: قولك: زيدًا ضربت، جملة فعلية لأنها ابتدأت باسم حقّه التأخير. وما ابتدئ بحرف جار ومجرور أو ظرف فسّمّوه شبه جملة.

وكان لعبد الملك مرتاض اجتهاد آخر، خالف به جمهور النحاة؛ إذ رأى أنّ الجملة الاسمية ما تكونت من اسمين، أي بُدئت باسم وكان الخبر اسمًا، أما ما ابتدأ باسم ثم فعل، فهي جملة فعلية، كقولك: زيدٌ جاء؛ لأنّه يظنّ أنّ الفعل يعمل في الاسم ويؤثر فيه، ولا يعمل الاسم في الفعل. فيجيز -كـبعض الكوفيين- تقديم الفاعل، ويرى بأن قولنا: جاء زيدٌ، فاعلا، وقولنا: زيدٌ جاء مبتدأ، بأنّه تعسّف، لأنّ زيدًا هو نفسه، من أوقع الفعل، ولا فرق عنده بين الجملتين. وكلاهما جملة

¹ - ينظر: نظرية اللغة العربية، عبد الملك مرتاض، ص 110-127.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

فعلية؛ لأنها تضمّنت فعلاً، ولأنّ الفعل عنده هو المركز، يعمل متقدّماً ومتأخّراً، فمن حيث المعنى هو من قام بالفعل، حتى لو جاء في رتبة المبتدأ.

وقد غاب عنه أنّ الفاعل -عند النحاة- ليس هو من قام بالفعل، ولا يجب أن نعامل الجملة النحوية كالجملة اللغوية. إنّ الفاعل هو ما أُسندَ إليه فعلٌ متقدّم عليه، والمبتدأ هو ما أُسندَ إليه خبرٌ مفيد. فإسنادنا الفعل إلى الفاعل هو إسنادٌ نحويّ، لا يستدعي أن يكون فاعلاً على الحقيقة دائماً.

ونظر إلى المعنى وقال: البنت دخلت: البنت فاعل لا مبتدأ، واحتجّ عبد الملك بأنّ النحاة يجيزون تقديم المفعول به على الفعل، ولا يجيزون تقديم الفاعل، وظنّهما سواء، وليس كذلك. فالفاعل عمدة، والمفعول وغيره مما يجوز تقديمه، هي فضلات، تمتلك الحرية في التنقل من موقع إلى آخر؛ هذا شأن الأمير وحاشيته وجنده؛ فلأمير قصره، ولحاشيته وجنده الأرض، يسرون فيها أنّى شاءوا. وأمّا قولنا: البنت دخلت، فهو متعلّق بغرض المتكلّم، فهو قدّم البنت لأنه يريد الإخبار عنها بالدخول، وأمّا قولنا: دخلت البنت، فهذه الجملة لا تخبرنا عن دخول البنت، بل تحكم عليها بذلك. وقد فرّق الرازي¹ بين الجملتين.

وقال الرازي في معنى إسناد الفعل إلى الفاعل: "تارة يُرادُ به وقوع الفعل بقدرة الفاعل، وتارة يُرادُ به مجرد اتّصافه به؛ فالأول مثل قولك: ضربَ زيدٌ، والثاني مثل قولك: مرضَ زيدٌ"². فكلاهما فاعل، "والذي حدّد الفاعل مقصّد المتكلّم، وهذا باب يغلق الجدل في قضية من هو الفاعل، فهذا سؤال افتعله الباحثون دون وجود أسبابه في الخطاب اليومي"³. وسنبين ذلك بشيء من التفصيل في بابه إن شاء الله.

¹ - ينظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تح: نصر الله حاجي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1 1424هـ/2004م، ص74.

² - المصدر نفسه، ص76.

³ - التحليل اللغوي في ظلّ علم الدلالة، محمود عكاشة، ص122.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

وليت شعري، لو أنه اطلع على تفسير شيخنا عبد الرحمن الحاج صالح¹ لنظرية العامل عند النحاة العرب، لوجد أن قولك: عبد الله قام، لا يساوي من حيث الموضع، قام عبد الله، كما ظنَّ عبد الملك مرتاض. فتقديم (عبد الله) على الفعل، هو تقديم في الظاهر فقط، والحق أنه ظلَّ في موضعه، ناب عنه الضمير الذي في الفعل، وزعم عبد الملك مرتاض أنه لا داعي لتقدير الضمير، ونردَّ عليه فنقول: إنَّ هذا الضمير يظهر إذا تغيَّر التقدير وقلنا: "عبد الله قام أخوه"² فالضمير الذي كان مستترا قد برز. ومن هنا فإنَّ الفعل لا يعمل في (عبد الله) إذا تقدَّم عليه (عبد الله)؛ لأنَّ الفعل لا يعمل في معمولين: الاسم وضميره.

وخطاطة العامل -كما ذكرها شيخنا عبد الرحمن الحاج صالح- أنَّ الفعل حين تقدَّم على عبد الله، لا يقابل عبدَ الله في الجملة التي يتقدَّم فيها عبدُ الله. بل هو -أي الفعل- في موضع الابتداء؛ فالفعل عامل لفظي، والابتداء عامل معنوي، ولهذا ظنَّ بعض الكوفيين وتبعهم عبد الملك مرتاض أن: عبد الله قام، هي نفسها في الموضع: قام عبد الله. والصواب ما مثل به شيخنا عبد الرحمن الحاج صالح في الجدول الآتي:

الجملة الأولى	Ø	عبدُ الله	قام
الجملة الثانية	قام	عبدُ الله	Ø

فعلاقة الفراغ (Ø) في الجملة الأولى (الاسمية) هي العامل المعنوي، الذي رفع المبتدأ وهو الابتداء، أو لنسمِّه: تجرَّد المبتدأ من دخول العوامل اللفظية عليه. لهذا فتقديم الفعل على الاسم يضع الفعل موضع العامل، لا موضع المبتدأ. وعلاقة الفراغ (Ø) في الجملة الثانية (الفعلية) دالة على لزوم الفعل، وهي موضع المفاعيل، إذا كان الفعل متعدِّياً. فعلى هذه الطريقة الرياضية التي استطاع بها شيخنا عبد الرحمن الحاج صالح، فهم البنية العميقة للنحو العربي واستطاع إزالة اللبس عن بعض أبوابه، وتوضيح سبب وضع النحاة، كسيبويه وشيخه الخليل لنظرية العامل، التي يقوم على أسسها صرَّح النحو أجمعه.

¹ - ما ذهبنا إليه مشهور عن الشيخ، ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012م، ج1، 298، 299.

² - المقتضب، المبرّد، ج4، ص128.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

ثم من حيث المعنى، يجب أن لا نزع أن الجملتين لهما المعنى نفسه؛ فمحمد جاء، غير: جاء محمد. فكأنني بسائل يقول لك -وقد علم بالمجيء حدثاً- وجهل الجائي: مَنْ جاء؟ فتقول له: محمد جاء؛ تقدّم له ما كان يجهله. وكأنني بسائل آخر، لا يعرف كُنه الفعل، فيسألك، وقد سمع صوتاً: ماذا هناك؟ فتجيبه: جاء محمد؛ فالسائل ههنا لا يهتم الجائي بقدر ما يهتم كُنه الحدث الذي وقع. وهذا بابٌ في البلاغة عُرف عند عبد القاهر الجرجاني.

ثم زاد خروجه عن المؤلف عند النحاة، حين سمى شبه الجملة المبدوءة بظرف: الجملة الظرفية، وهي جملة غير الجملة الاسمية. وسمى شبه الجملة المبدوءة بحرف: الجملة الحرفية. ويرى أن الحرف لفظٌ مثله مثل الاسم، يقوم مقامه في تأدية الوظيفة بنفسه. وإنما كان يصدر عن دراسة عقلية منطقية، يحاول فيها أن يحكم المنطق الصوري على المنطق النحوي، وهذا لا يستقيم لأنّ للنحو منطقاً خاصاً به، وضعه النحاة لتفسير الظواهر الإعرابية في الكلام.

2. الفعل الماضي:

تجاوزاً لأحكام الفعل الماضي النحوية، التي ذكرها النحاة في مصنفاتهم، فإنّ الفعل الماضي من حيث معناه ودلالته الإعرابية، هو ما دلّ على وقوع حدثٍ في زمن قد مضى وانقضى ولم يقع الإخبار عنه إلا بعد وقوعه. من هنا يكتسي أهميته في التركيب العربي عامة، والتركيب الفعل خاصة، ليدلّ بدخوله في الجملة، أنّ الحدث الذي يقرّره سياق الجملة أو الآية القرآنية محدود الزمن والحدوث، وأنّه قد تحقّق وقوعه فعلاً، ومضى زمن هذا الوقوع. وقد يدلّ على تأكيد الوقوع إذا دلّ على حدث لم يقع، وأنّه سيقع، فيأتي بالفعل الماضي وكأنّه لشدة تأكيد أنه سيقع، قد وقع فعلاً، فتقول لرجل تتوعّده، وكان قد أجرم في حقك: (قد قتلنك) وأنت لم تظفر به، وذلك حتّى تجعله ينتظر مُتحقّقاً عقابك له.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

فمن دلالة الأفعال قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى﴾ [البقرة: 51]. ذكر القرطبي¹ وغيره² أن بعض القراء أنكروا (واعدنا) وأقرأوا (وعدنا)³؛ لأنّ المواعدة لا تكون إلا بين البشر، بين مخلوقين متكافئين، ولا يجوز ذلك في مقام الله تعالى، كما أنّ ظاهر اللفظ فيه وعدّ من الله تعالى لموسى. وقال غيرهم: المواعدة تكون بين اثنين، وتكون أيضا من واحد، كما تقول: داويت العليل، وعاقبت اللصّ، والفعل من واحد. فيكون الفعل (واعدنا) في الآية صحيحا. وتأوّل الزجاج⁴ أنّه يجوز أن يكون الفعل في الآية بين اثنين؛ لأنّ قبول الدعوة من موسى عليه السلام، هو بمنزلة المواعدة. فهي مواعدة على أساس وعدٍ من الله تعالى، وقبول من موسى عليه السلام.

ومن نكت معاني الفعل الماضي قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِئِيُونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: 146]. المعنى: كم من نبي، والإشكال واقع في الفعل الذي قرئ (قُتِلَ)⁵. وتتحصّل منه دالتان: فهل القتل واقع على النبي، أم على أصحابه. ومصدر الخلاف أنّ العلماء على رأيين: بعضهم يرى أنّه ما قُتِلَ نبيٌّ في حرب قطّ، وبعضهم أجاز القتل على الأنبياء⁶.

قال القرطبي⁷: وفيه وجهان: أحدهما أن يكون الفعل (قُتِلَ) واقعا على النبي ﷺ، ويكون الكلام حينئذ تامّا، على تقدير مضمّر؛ أي: قُتِلَ ومعه رِئِيُونَ كثير، كما تقول: قُتِلَ الأمير؛ معه جيش عظيم، والتقدير: ومعه جيش عظيم. والوجه الثاني: أن يكون القتل نال النبي ومن معه من الرّبيّين، ويكون المعنى: قُتِلَ من كان معه؛ أي أن النبي لم يُقتل، وقُتِلَ معه أصحابه. وهذا الرّأي ارتضاه القرطبي، لمناسبته نزول الآية.

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص98 وما بعدها.

² - ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص223، 224.

³ - لمعرفة أوجه القراءات وتوجيهها والاحتجاج لكل قراءة ينظر: الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ج2، ص56 وما بعدها.

⁴ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج1، ص133.

⁵ - ينظر: الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ج3، ص82.

⁶ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص520.

⁷ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص351، 352.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

ونكتة أخرى تظهر في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى ۚ﴾ [عبس: 1-3]. ذكر الله تعالى أفعالا ماضية "بلفظ الإخبار عن الماضي؛ تعظيما له، ولم يقل: عبست وتوليت، ثم أقبل عليه بمواجهة الخطاب تأنيسا له فقال: وما يدريك¹. فالفعل (عبس) والفعل (تولى) جاء على صيغة الماضي، لأن فيه معنى الانقضاء والزوال، حتى يطمئن قلب محمد ﷺ، ولم يخاطبه بضمير المخاطبة، بل جاء الفاعل ضميرا مستترا للغائب، وكأن في استناره سترا له، وفي دلالاته على الغائب دون المخاطب عدولاً عن مواجهته بالأمر.

وقد تختلف دلالة الفعل اللغوية، فتؤثر في دلالاته الإعرابية، وذلك كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [غافر: 61]. فالفعل جعل بمعنى خلق، وهذا مذهب المعتزلة: يجعلون الفعل (جعل) بمعنى (خلق) تأويلا وتفسيرا. قال القرطبي: "والعرب تفرق بين الفعل (جعل) إذا كانت بمعنى خلق، وبين (جعل) إذا لم تكن بمعنى خلق؛ فإذا كانت بمعنى خلق فلا تُعديها إلا إلى مفعول واحد، وإذا لم تكن بمعنى خلق، عُدَّتْها إلى مفعولين"² وهذا شأن كل ما ورد في القرآن من الفعل (جعل) وتصريفاته. فجعل الخلق تخالف جعل الصيرورة. وتوجيه ذلك يستند إلى سياق كل آية.

وقد يخرج الفعل الماضي عن دلالاته الزمنية إلى دلالة زمنية أخرى، لقريضة سياقية، ودواع بلاغية معينة. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: 98]. قال القرطبي: "أي: إذا أردت أن تقرأ، فأوقع الماضي موقع المستقبل"³. فالفعل (قرأت) وإن كان في معناه الأصلي ماضيا، إلا أنه حين دخل السياق، تغيرت دلالاته الزمنية، بفعل قرينتين، القريضة الأولى هي الشرط، والمتمثل في لفظة (إذا) فالشرط فيها يدل على الاستقبال، كأن نقول: إذا جننتي سأكرمك، فالمعنى: يا محمد، إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله. والقريضة الثانية الدالة أن الفعل الماضي دال على الاستقبال، هو اقترانه بفعل الأمر (استعذ)، وفعل الأمر من حيث الزمن، دال على المستقبل، أي: ما لم يقع بعد.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج22، ص72.

² - المصدر نفسه، ج18، ص377.

³ - المصدر نفسه، ج1، ص135.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود:98]، يتحدث الله تعالى عن غواية فرعون لقومه، فتحدثت عن حالته وقومه يوم القيامة، ويوم القيامة أمر مستقبل. فمن أجل أن يحقق ويؤكد أنه سيوردهم النار، جاء بالفعل الماضي الدال على الاستقبال. قال القرطبي: "والمعنى: فيوردهم النار، وما تحقق وجوده فكأنه كائن، فهذا يُعبر عن المستقبل بالماضي"¹. ذلك أن الفعل الماضي أدل على وقوع الفعل وحصوله.

وقد يدل عليهما، أي يحتمل أن يكون ماضيا، أو مستقبلا؛ نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [النساء:97]. الفعل يحتمل الوجهين: إما أن يكون فعلاً ماضياً لم يستند بعلامة تأنيث؛ لأن تأنيث الملائكة غير حقيقي. ويحتمل أن يكون فعلاً مستقبلاً على معنى: تتوفاهم حذفت إحدى التائين². فإن كان ماضياً، دل معنى إعرابه على إخباره بما قد وقع فعلاً؛ أي: أنه يحكي قصتهم وما حدث لهم بعد أن توفيتهم الملائكة. وإن كان الفعل للاستقبال، فهو مضارع يخبر بما سيحدث لهم حين تتوفاهم الملائكة في قادم من الزمان. وهذا الذي نرتضيه، بدليل قوله تعالى في موضع آخر: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [النحل:28]. والأمر نفسه في الفعل تولوا في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود:3]. فالفعل يدل على الماضي ويدل على الاستقبال.

ولا أدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:1]. فالفعل أتى بمعنى يأتي. ومما هو معلوم أن "أخبار الله تعالى في الماضي والمستقبل سواء؛ لأنه آت لا محالة"³. وهو أرجح التفسير؛ يدخل في الخصائص النحوية الإلهية. وهو كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ [الأعراف:44]. وقيل في (أتى ثلاثة أقوال: القول الأول: أتى بمعنى

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج11، ص204. وينظر: المحرر الوجيز، ج3، ص205.

² - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج7، ص62. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج2، ص100.

³ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج12، ص266. وينظر: معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس، تح: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، السعودية، ط1، 1410هـ/1989م، ج4، ص51، 52.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

يأتي. والقول الثاني: أتى بمعنى قُرب؛ أي: أنه قريب كأنه قد أتى. والثالث: أن أتى للماضي والمعنى: أتى بعض عذاب الله، وهو الجذب الذي نزل بهم والجوع¹.

وقد تظهر دلالة الفعل في الجملة وإن لم يكن ظاهرًا، فكثيرًا ما كان القرطبي وغيره من معربي القرآن، يقدرون الأفعال مضمرةً، ويؤولونه ظاهرةً، وأمثلة ذلك في القرآن العظيم كثيرة؛ منها قوله تعالى- في رأس الآية -: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: 60]. فلأن في الآية خطابًا للنبي ﷺ، ودليله (لا فتكن)، فكأن الجملة الأولى تحتل تقدير فعل مضمرة؛ "أي: جاءك الحق"². فالحق: فاعل، أسند إليه فعل مضمرة، تقديره: جاء، مناسبة للسياق.

3. الفعل المضارع:

وهو الفرع الثاني من فروع الفعل الثلاثة، وهو ما دلَّ على حدثٍ مقترنٍ بزمنٍ حاضرٍ أو مستقبل، ودلالته على الحال والاستقبال لها شروطها، وقرائنها اللفظية التي وضعها النحاة. وسمّاه النحاة مضارعًا، لمضارعه الاسم في إعرابه، أو لمضارعه الوظيفة الفعلية الزمنية في اسم الفاعل. والمضارعة هي المشابهة. ودلالته الأصلية على الحدث الحاضر زمنه أو المستقبل. وقد يخرج -مثل الفعل الماضي- عن دلالته الأصلية هذه، إلى دلالات زمنية أخرى، بحسب القرائن السياقية المرتبطة به في التركيب. ويدلّ الفعل المضارع على التجدّد والاستمرار، ووقوع الفعل أثناء ذلك الزمن، أو الوعد بقوعه في زمن آتٍ مستقبلاً.

ومن أمثلة معاني الفعل المضارع عند القرطبي، قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 33]، في خطاب الله تعالى للملائكة، حين استغربوا أن يجعل الله آدم وذريته خليفة له في الأرض، فخاطبهم بالفعل (تكتُمون)؛ وهو "للجماعة، والكاتم واحدٌ في هذا القول، على تجوُّز العرب واتساعها، كما يقال لقومٍ قد جنى سفيّة منهم: أنتم فعلتم كذا، أي: منكم فاعله؛ وهذا مع قصدٍ تعنيف"³ أي: لومًا وتعنيفًا، وتقريعًا. ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

¹ - ينظر: زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين الجوزي، ج4، ص427.

² - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص448.

³ - المصدر نفسه، ج1، ص432.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿ [الحجرات:4]. وإنما من ناداه رجل واحد. ويجوز أن يكون المعنى العموم؛ أي أن الفعل (تكتمون) جاء للجماعة، دالاً على العموم في معرفة ما يُسِرُّون ويكتُمون.

وتتغير المعاني بتغير دلالة الفعل المضارع، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَلِيسَىٰ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحَلِّوْنَهُ عَامًا﴾ [التوبة:37]. فُرئ الفعل (يُضِلُّ) بثلاثة أوجه: (يُضِلُّ، وَيُضِلُّ، وَيُضِلُّ)¹. ذكر القرطبي هذه القراءات الثلاث فقال: "لأن كل واحدة منها تؤدي عن معنى"². وكل قراءة صحيحة، من حيث التواتر ومن حيث المعنى.

فمعنى القراءة الأولى (يُضِلُّ) أنهم كانوا ضالين به؛ أي: بالنسيء؛ لأنهم كانوا يحسبونه فيضلون به. ومعنى القراءة الثانية (يُضِلُّ) أن المعنى فيهم المحسوب لهم. ومعنى القراءة الثالثة (يُضِلُّ): يُضِلُّ به الذين كفروا مَنْ يَقْبَلُ منهم، فحُذِفَ المفعول به (من يقبل)³.

وكما أن الفعل الماضي يجوز أن يدل على الاستقبال، فإن الفعل المضارع، كذلك، يجوز أن يدل على الماضي؛ وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ قَتَلْتُمُ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة:91]. خاطب الله تعالى اليهود، الذي كفروا برسالة محمد ﷺ، وطالبهم بأن يؤمنوا بما أنزل عليه، فأبوا وقالوا نؤمن بما أنزل علينا، فقال الله تعالى لهم: فَلِمَ قَتَلْتُمُ أَنْبِيَاءَكُمْ مِنْ قَبْلُ إذن؟ ففي هذا الخطاب "تكذيب" منه لهم وتوبيخ، المعنى: فكيف قتلتم وقد نُهيتم عن ذلك؟ فالخطاب لمن حضر النبي ﷺ، والمراد أسلافهم. وإنما توجه الخطاب لأبنائهم، لأنهم كانوا يتولون أولئك الذين قتلوا⁴، فهم بذلك مثلهم، لهذا جاء الخطاب في الفعل (تقتلون) لهم وإن لم يكونوا الفاعلين في الحقيقة، إبلاغاً في إلصاق التهمة بهم، وإلحاق شناعة الذنب بهم.

والفعل المضارع (تقتلون) في اللفظ للاستقبال، وهو بمعنى المضارع، لما ارتفع الإشكال بقوله: (مَنْ قَبْلُ). وإذا لم يُشكَل، فجائز أن يأتي الماضي بمعنى المستقبل، والمستقبل بمعنى

¹ - ينظر: الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ج4، ص194. وينظر: مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ابن خالويه، مكتبة المتنبى، القاهرة، مصر، ص57.

² - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج10، ص205.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ج10، ص205. وينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج2، ص214.

⁴ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص253.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

الماضي"¹. فهو دالٌّ على الاستقبال بلفظه، ودالٌّ على الماضي بقرينة سياقية معنوية؛ وقرينة لفظية، فأما القرينة المعنوية، فهي أنّ الخطاب موجّهٌ لهم، والفاعل أجدادهم وأسلافهم، فالفعل قد وقع في الزمن الماضي، وأما القرينة اللفظية فهي قوله: (من قبل) الدالة على الزمن المنقضي.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة:142]. قال القرطبي: "أَعْلَمَ اللهُ تعالى أنهم سيقولون في تحويل المؤمنين من الشام إلى الكعبة: ما ولاهم؟ و(سيقول) بمعنى: (قال)؛ جعل المستقبل موضع الماضي، دلالةً على استدامة ذلك، وأنهم يستمرون على ذلك القول"². فالفعل يدلّ على الماضي من جهة أنهم قد قالوا ذلك فعلا. ودلّ على الاستقبال، من جهة أنهم سيقولون ذلك باستمرار؛ فالماضي للإخبار، والاستقبال للديمومة.

وكما أفاد المضارع الماضي، قد يفيد دلالةً أخرى، غير دلالاته الأصلية. الفعل المضارع في إعرابه يدلّ على الديمومة والاستمرار، لكن قد يدلّ على معنى الطلب والأمر، وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿وَأُولَادَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة:233]. قال القرطبي: "يُرضعن: خبرٌ معناه الأمر على الوجوب لبعض الوالدات"³. وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة:228]. فيتربصن: خبرٌ معناه الأمر⁴، فكلا الفعلين دالٌّ على الطلب بوجه الأمر فالوالدات واجبٌ عليهن إرضاع أولادهن، والمطلقات مأموراتٌ بالتربص والانتظار ثلاثة أشهر. وأقول: كان الأصل أن يأمر بفعل الأمر؛ لأنّ فعل الأمر وُضِعَ لذلك، لكنّه -سبحانه وتعالى- أراد الأمر بالفعل المضارع الذي يدلّ على التجدد والاستمرارية؛ لأننا نظنّ أنّه اختار ذلك لما ذكر بعد الفعلين مدّة زمنيّة: (حولين كاملين/ ثلاثة قروء) ليعطيّ للأمر صفة التجدد، فلا يكتفين بالإرضاع مرّة واحدة، أو بالتربص قرءاً واحداً، ويكونا قد امتثلا للأمر؛ بل إنّهُ أمرٌ متجدّد طيلة الحولين أو القروء الثلاثة. والله أعلم.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص253.

² - المصدر نفسه، ج2، ص425.

³ - المصدر نفسه، ج4، ص107.

⁴ - المصدر نفسه، ج4، ص36.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

وغيرها من أمثلة إعراب الفعل المضارع ومشاركته في توجيه المعنى، حتى أنّ القرطبي في مسألة الميراث، دخل قضية الكلالة، على ما فيها من تعقيد واختلافات للآراء، ثم قال: "وهذه الأقوال تتبين وجوهها بالإعراب"¹، وراح يذكر الآراء، ويوجهها، ويرجّح بينها؛ بناءً على أحكام الإعراب وما يترجّح منه من دلالة.

4. فعل الأمر:

سمّى النحاة الفعل الماضي ماضياً بالنظر إلى الزمن المقترن به، وسموا المضارع مضارعاً لمضارعه الاسم ومشابهته إياه؛ على أساس بنيته الإعرابية. وسمّوا فعل الأمر أمراً بناءً على دلالة الحدث فيه؛ فهو يدلّ على طلب القيام بالحدث. وهو منزوع من الفعل المضارع؛ أي أنّ بنيته تشبه بنية الفعل المضارع إذا انتزعت عنه حروف المضارعة. قال عنه الزمخشري: "وهو الذي على طريقة المضارع"².

ويدلّ فعل الأمر على زمن الاستقبال، وهو ما لم يكن، وهو زمن افتراضي، افترضه النحاة لأنه سيقع بعد الانتهاء من الطلب الذي يحدثه فعل الأمر. وحاول بعض الدارسين³ إخراج فعل الأمر من تقسيمات الفعل الثلاث؛ لأنّه بزعمهم لا يتضمن حدثاً ولا يتضمن زمناً؛ لأنّ حدثه وزمانه لم يقعا بعد. ونسوا أنّ المعاني النحوية لا تقاس دائماً بالمعاني اللغوية، وإنّما هي تقسيمات تنظيمية نحوية.

ونذكر من معاني الفعل المضارع قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾

[البقرة:48]. اتّقوا: فعل أمر؛ معناه الوعيد⁴؛ يتوعّد الله تعالى بني إسرائيل، بعد أن أمرهم بأنّ يذكروا نعمة الله عليهم، أمرهم باتّقاء يوم القيامة، يوم الرجعة إليه سبحانه وتعالى، وهو يوم كلّ

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج6، ص129.

² - المفصل في علم العربية، الزمخشري، ص256.

³ - ينظر: دراسات في الفعل، عبد الهادي الفضيلي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، 1402هـ/ 1982م، ص51 وما بعدها.

⁴ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص74.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

نفسٍ فيه مسؤولة عن نفسها؛ من هذا جاء تذكيرهم بيوم القيامة وأمرهم بالعمل لها من باب الوعيد بما سيلقونه في ذلك اليوم العصيب.

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة:61]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء:50]. اهبطوا وكونوا: فعلا أمر؛ قال القرطبي: "وهذا أمرٌ غرضه التعجيز"¹. فهو أمرٌ يحمل معنى الطلب، لكن ليس من أجل التنفيذ، وإنما لأجل التعجيز؛ كما هي الحال في غرض الاستفهام: فالسؤال في الأصل للاستفهام، لكن قد يعلم السائل الجواب، فيكون سؤاله للاقرار.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا﴾ [النساء:16]. فعل الأمر (أذوهما) يحمل معانٍ باعتبار السياق، قيل معناه: التوبيخ والتعيير، وقيل: معناه السبُّ والجفاء دون تعيير، وقال ابن عباس: النيل باللسان والضرب بالنعال². فالأمر بالإيذاء مطلوبٌ إيقاعه على وجه الإلزام؛ قال النحاس: "واجبٌ أن يُؤذَيَا"³، وتختلف صفة الأذى؛ ضرباً أو توبيخاً أو تعييراً.

وقوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق:24]. فعل الأمر: (أَلْقِ) جاء على صيغة المثنى؛ وهذا مشهور على طريقة كلام العرب الفصيح، يخاطبون الواحد بلفظ الاثنين، وهذه عادتهم⁴. وقال الزجاج: "والأمر عندي -والله أعلم- أن يكونَ أمرَ المَلَكَيْنِ"⁵، ويقصد السائق والشهيد في قوله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَاقٍ وَشَهِيدٌ﴾ [ق:21]. وقيل المقصود هما المتلقيان⁶ وهما في قوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق:17]. ولكلٌّ منهما معنى.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص152.

² - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج2، ص22. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج6، ص142.

³ - إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص442.

⁴ - ينظر: تفسير البغوي، ج7، ص360.

⁵ - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج5، ص46.

⁶ - ينظر: تفسير البغوي، ج7، ص360.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

ونقل القرطبي عن غيره¹ أن معنى الفعل: ألقى ألقى، فهي تنثية تفيد التوكيد، فناب الفعل (ألقيا) عن التكرار. ومما يعضد هذا الرأي، من أن فعل الأمر جاء لمعنى التوكيد، هو تكرار الفعل في آية لاحقة؛ وهو قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ [ق:26]. قال القرطبي: "تأكيد للأمر الأول"². فوقع التوكيد بالفعل الأول لدلالته على تكرار الفعل بصيغة التنثية، ثم وقع التوكيد للمرة الثانية بإعادة تكرار الفعل نفسه، دون الخروج من السياق نفسه.

5. الفاعل ونائب الفاعل:

الإسناد في العربية قسمان: إسناد اسمي؛ وهو المبتدأ والخبر، وإسناد فعلي؛ وهو إسناد الفعل إلى فاعله. فالفاعل في التركيب الفعلي هو المسند إليه الذي يقابل المبتدأ في التركيب الاسمي. قال ابن السراج: "الاسم الذي يرتفع بأنه فاعل، هو الذي بنيته على الفعل الذي بُني للفاعل، ويجعل الفعل حديثاً عنه مقدماً قبله، كان فاعلاً في الحقيقة، أو لم يكن؛ كقولك: جاء زيد ومات عمرو، وما أشبه ذلك"³. فالفاعل إذن هو اسم بُني الفعل له، وأسند إليه.

ويُجمع النحاة على أن الفاعل: اسم حركته الرفع. ولدراسة دلالة هذا التعريف نتساءل: لماذا أعطي الرفع للفاعل؟ ولماذا سُمي الرفع حركة؟ وهل لذلك دلالة وأثر في المعنى؟ يجيبنا على ذلك التهانوي بقوله: "فالرفع علم الفاعلية، والنصب علم المفعولية، والجر علم الإضافة"⁴. ومعنى ذلك أن الرفع، وهو أثقل العلامات الثلاث، جعل علامة للفاعل؛ لأنه عمدة، وهو أقل من غيره؛ فالفاعل واحد والمفاعيل خمسة. والنصب الذي هو أخف من الرفع، جعل علامة للمفاعيل؛ لأنها فضلة "ليُعادل ثقل الرفع قلة الفاعلية، وخفة النصب كثرة المفعولية"⁵. وأما الجر، وهو المتوسط بينهما:

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج19، ص448. وينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج4، ص228. وينظر: مشكل إعراب القرآن، القيسي، ج2، ص321. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج5، ص163.

² - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج19، ص449.

³ - الأصول في النحو، ابن السراج، ج1، ص72، 73.

⁴ - موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 1996م، ج1، ص232.

⁵ - المصدر نفسه، ج1، ص232.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

أخف من الرفع، وأثقل من النصب، فقد جعل علامة للإضافة، وهي بين الفاعلية والمفعولية متوسطة بين القلة والكثرة.

وما انجر على حركات الإعراب، ينجر على حروف الإعراب. فالحركات ثلاث: الضمة والفتحة، والكسرة؛ ويقابلها: الواو والألف والياء. ويرى ابن جني أن "الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والواو ضمة مشبعة"¹. ويرى أن الحركات أبعاض هذه الحروف؛ أي أن الفتحة بعض الألف، والضمة بعض الواو، والكسرة بعض الياء. وكان النحاة الأوائل يسمون الفتحة: الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة².

وليس في الواقع، فرق بين هذه الحركات وهذه الحروف، إلا في الكم الصوتي. وأما من حيث الكيف، فسواء. فالحركات أصوات مد قصيرة، والحروف أصوات مد طويلة، وليست الواو إلا ضمة مطولة، ما الياء إلا كسرة مطولة، ولا الألف إلا فتحة مطولة³.

من أجل ذلك؛ سُميت هذه العلامات الإعرابية الثلاث؛ من رفع ونصب وجر: حركات لأنها تحرك الحرف، وتجذبه إلى الحرف الذي هي بعضه: "إذا كان الحرف ساكناً وحركته بالفتح اجتذبت الفتحة نحو الألف، وإذا حركته بالكسر، اجتذبت الكسرة نحو الياء، وإذا حركته بالضم اجتذبت الضمة نحو الواو"⁴. من هنا؛ سُميت الحركة حركة؛ لأنها تحرك الحرف وهو ساكن، إلى غير حالته الأولى. هذه أهم دلالات العلامات الإعرابية من حركات وحروف.

وتتمة كلام ابن السراج في تعريفه للنحو قوله: "هو الذي بنيته على الفعل الذي بُني للفاعل ويُجعل الفعل حديثاً عنه مقدماً قبله"⁵. هنا حديث عن الفاعل وعن نائب الفاعل. فالفاعل هو ما أسند إليه فعل بُني للفاعل، ولا يجوز أن يتقدم على فعله، وهذا هو الفرق بينه وبين نظيره المبتدأ الذي أصله التقديم، لكن يجوز أن يتأخر عن معموله. ومن الفروق أيضاً أن المبتدأ قد يُحذف

¹ - سر صناعة الإعراب، ابن جني، تح: حسن هنداي، ص23.

² - ينظر: المصدر نفسه، ص17.

³ - ينظر: في النحو العربي - نقد وتوجيه -، مهدي المخزومي، دار الراشد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ / 1986م ص68.

⁴ - الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980م، ص325.

⁵ - الأصول في النحو، ابن السراج، ج1، ص72، 73.

الباب التطبيقيّ ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

عكس الفاعل الذي لا يجوز حذفه، فهو وإن لم يُذكر فيكون مستترًا. بالإضافة إلى فروق أخرى كثيرة ذكرها جمهور النحاة.

وأما نائب الفاعل فهو ما أسند إليه فعل بُني للمفعول. فالتركيب العربي يقوم على الإسناد ولا يخلو من مسندٍ ومسندٍ إليه؛ يقول عبد القاهر الجرجاني: "لا يكون كلامٌ من جزءٍ واحدٍ، وأنَّه لا بدّ من مُسندٍ ومسندٍ إليه"¹. من أجل ذلك، فإذا حُذِفَ أحدهما، أو غاب، وجبَ إنابةٌ غيره عنه. ويظهر الأمر في الجملة الاسمية مع مبتدأ الوصف، الذي يستغني عن الخبر، ويكتفي بفاعل يسدّ مسد الخبر، أي يقوم مقام الخبر. وفي الجملة الفعلية، يحتاج الفعل، وهو مسند، إلى فاعل، وهو المسند إليه، فإن غاب الفاعل، وجب إنابة المفعول به مكانه، لدواعٍ نحويةً وبلاغيةً.

ويسمى المفعول النائب عن الفاعل مبنياً للفاعل، ويسمى الفعل فعلاً لم يُسمَّ فاعله، ومنهم من يسميه الفعل المبني للمجهول، مع ما على هذه التسمية من تحقُّظ؛ ذلك أنَّ الفاعل في مرآتٍ لا يكون مجهولاً، وإنما يكون معلوماً، فُصِدَ إلى عدم ذكره، لأسباب بلاغية معيّنة. منها الاختصار إذا عُلِمَ بالضرورة الفاعل، كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء:37]، فإننا نظنُّ أنَّه لم يذكر الفاعل، لأنَّه معلوم ضرورةً، ثم للاهتمام بالموضوع، وهو عجلة الإنسان، ثم تنزيها لاسم الله تعالى؛ إذْ دَرَجَتْ الآيات في القرآن العظيم على نسبة ما فيه خيرٌ لله تعالى، وما فيه شرٌّ لا يُنسَبُ إليه بصريح العبارة. والله تعالى أعلم.

ونائب الفاعل يأخذ دور الفاعل وحكمه نحويًا، وهذا دليل على أنَّ الفاعل في النحو ليس هو من قام بالفعل، كما قد يُظنُّ من خلال الدلالة اللغوية للمصطلح. بدليل أنَّه لو كان معنى الفاعل أنَّه من قام بالفعل، لما جاز لنا حذفه، ولما جاز لنا إنابة المفعول به مكانه؛ إذ ذاك غير مقبول عقلاً. ثم لو كان الفاعل هو من قام بالفعل، لأُعْرِبَ فاعلاً إذا تقدَّم على الفعل، في مثل قولنا: (قام زيدٌ، وزيدٌ قام). بل ربَّما سمى النحاة الفاعلَ فاعلاً من باب التجوُّز والتوسُّع؛ بدليل قولنا: (مات الرجلُ، وسقطَ الجدارُ) وغيرها من الأسماء التي لا يُنسَبُ لها إرادة الفعل. إذن فكان الفاعل في النحو هو ما بُني الفعل له وأُسند إليه.

¹ - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص7.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

من أجل ذلك، جعلنا الفاعل ونائب الفاعل في باب واحد؛ لأن المَعُول عليه في النحو هو الإسناد، فنائب الفاعل، وإن كان مفعولا في المعنى الدلالي، إلا أنه أخذ حكم الفاعل حين أسند إليه الفعل. ومصدقا لذلك جمع بينهما سيبويه في كتابه؛ إذ يقول: "هذا باب الفاعل الذي لم يتعدّه فعله إلى مفعول، والمفعول الذي لم يتعدّ إليه فعل فاعل، ولم يتعدّه فعله إلى مفعول آخر. والفاعل والمفعول في هذا سواء، يرتفع المفعول كما يرتفع الفاعل؛ لأنّك لم تشغل الفعل بغيره، وفرغته له كما فعلت ذلك بالفاعل"¹. فقد ربط سيبويه بين الرفع والإسناد؛ أن الإسناد محلّه من العلامات الرفع، والرفع مطيئة الإسناد؛ "فكلّ ما هو مبتدأ أو محمول على المبتدأ أو المسند إلى المبتدأ، وكل ما هو فاعل أو محمول على الفاعلية أو نائب عن الفاعل؛ فهو مرفوع"².

ومن هنا فإنّ الفاعل أو نائب الفاعل هو كل ما أسندت له فعلا، أو هو كل ما نسبت له حدثا، فارتفع للإسناد إليه. وهذا له أثره في تحديد المعنى، وتوجيهه في الجملة العربية. فمتى تبين الذي أسند إليه الفعل أو الحدث اتّضحت دلالة المعنى، فليس شرطا أنّه الفاعل الحقيقي، بل قد يكون في المعنى مفعولا به؛ كما في نائب الفاعل، بل هو المفرّغ له العامل. ومن خلال ما سيأتي من أمثلة تطبيقية ذكرها القرطبي، وهو يحاول تفسير بعض الآيات، تتضح المعاني التي يؤديها الفاعل أو نائبه في التركيب العربي.

ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَبَتَّ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ﴾ [البقرة:124]. ذكر القرطبي أنّ (إبراهيم) بالنصب، و(ربّه) بالرفع قراءة العامّة. على أنّه قرئ بعكس ذلك³؛ على معنى: (دعا إبراهيم ربّه وسأل). ونفى القرطبي هذا التّقدير؛ لأجل الباء الموجودة في قوله (بكلمات)⁴. وإنّما المعنى، كما ذكر الزّمخشري، "اختبره بأوامر ونواه"⁵. فالفاعل حقيقي هو الله سبحانه وتعالى (ربّه) - وإن تأخّر - و(إبراهيم) منصوب مقدّم على المفعولية.

¹ - الكتاب، سيبويه، ج1، ص33.

² - الإعراب والمعنى في القرآن الكريم، محمّد أحمد خضير، ص36.

³ - وهي قراءة شاذة تنسب إلى أبي الشعثاء. ينظر: مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه، ص16. ونسبها الزّمخشري

لأبي حنيفة. ينظر: الكشّاف، الزّمخشري، ج1، ص317.

⁴ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص350.

⁵ - الكشّاف، الزّمخشري، ج1، ص317.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ﴾ [الأنعام: 137]. قال القرطبي: "(شركاؤهم): رُفِعَ بـ: (زَيْنَ)؛ لأنَّهم زَيْنُوا ولم يقتلوا. (قَتَلَ): نُصِبَ بـ: (زَيْنَ)، و(أولادهم): مضاف إلى المفعول"¹. وهذه قراءة أهل الحرمين، وأهل الكوفة والبصرة². قال مكِّي: "فهذه القراءة هي الاختيار؛ لصحة الإعراب فيها، ولأنَّ عليها الجماعة"³. فعلى توجيهه سيبويه: الشركاء مزيّنون لا قاتلون، وعلى رأي قطرب أنَّ الشركاء قاتلون؛ لأنَّه جعله فاعلا للمصدر (قَتَلَ)⁴.

وقال الزمخشري: "والمعنى أنَّ شركاءهم من الشياطين، أو من سدنة الأصنام، زَيْنُوا لهم قتل أولادهم بالوَاد، أو بنحرمهم للآلهة. وكان الرجل في الجاهلية يحلف: لئن ولد له كذا غلاما لينحرنَّ أحدهم. كما حلف عبد المطلِّب"⁵. والتقدير: وكذلك زَيْنَ شركاؤهم لكثير من المشركين أن يقتلوا أولادهم؛ أي دفعوهم إلى ذلك على وجه التزيين والتحسين.

وفي الآية قراءات أخرى تقلَّ وتضعف على قراءة الجمهور. فقد قرئت (زَيْنَ) لكثير من المشركين قَتَلَ أولادهم شركاؤهم) وهي قراءة الحسن وعبد الرحمن⁶. فيكون الفعل (زَيْنَ) مبنيًا للمفعول، و(قَتَلَ) نائب الفاعل، و(أولادهم) مضاف إليه، و(شركاؤهم) مرفوع "بإضمار فعلٍ يدلُّ عليه (زَيْنَ)؛ أي زَيْنَهُ شركاؤهم"⁷. وهي قراءة من حيث المعنى والإعراب جائزة.

وقرأ ابن عامر وأهل الشام: (زَيْنَ) لكثير من المشركين قَتَلَ أولادهم شركائهم). فقتل: نائب فاعل، وأولادهم: بالنصب؛ أعملَ فيه القتل؛ أي منصوبة بالمصدر. وشركائهم: بالخفض؛ على إضافة القتل إليهم؛ لأنَّهم الفاعلون. فأضاف الفعل إلى فاعله، لكنَّه فرق بين المضاف والمضاف

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج9، ص39، 40. وينظر: إعراب القرآن، النَّحَّاس، ج2، ص97، 98.

² - ينظر: إعراب القرآن، النَّحَّاس، ج2، ص97.

³ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكِّي بن أبي طالب القيسي، تح: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1404هـ/ 1984م، ج1، ص454.

⁴ - ينظر: الكتاب، سيبويه، ج1، ص290.

⁵ - الكشاف، الزمخشري، ج2، ص400، 401.

⁶ - إعراب القرآن، النَّحَّاس، ج2، ص97.

⁷ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج9، ص40.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

إليه بالمفعول، "وهذه القراءة فيها ضعفٌ، للتقريب بين المضاف والمضاف إليه"¹. ولم يجر هذه القراءة جمهور القراء².

وُقرئت أيضا عن أهل الشام: (وكذلك زُينَ لكثير من المشركين قَتْلُ أولادهم شركائهم) وهي جائزة. قال النحاس: "جائز على أن تُبدَلَ شركاؤهم من أولادهم؛ لأنهم شركاؤهم في النسب والميراث"³. أي أن (شركائهم) بدل من (أولادهم).

قوله تعالى: ﴿يُحَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه:66]. إشكال هذه الآية في الفاعل. إذ يرى القرطبي وقبله النحاس أن الفاعل في (أنها تسعى) والتقدير: سعيها⁴. أو أن مردّه إلى الكيد والسحر⁵. وُقرئت: "(تُخَيِّلُ) بالتاء، وردّوه إلى العصيّ والحبال؛ إذ هي مؤنثة"⁶، حيث "يروى أنهم لَطَّخُوهَا بالزئبق، فلمّا ضربت عليها الشَّمْسُ، اضطربت واهتزّت، فخيّلت ذلك"⁷.

وقال الفراء: "ومن قرأ (تُخَيِّلُ) أو (تَخَيِّلُ) فإنّها في موضع نصب؛ لأنّ المعنى: تتخيّل بالسّعي لهم وتُخيّل كذلك، فإذا أُلقيت الياء نُصِبَتْ. كما تقول: أردت بأن أقوم، ومعناه: أردتُ القيام"⁸. ويجوز أن تكون في موضع رفع على البدل، بدل الاشتمال⁹. وُقرئت (نخيّل) بالنون، على أنّ الله هو المخيّل، للمحنة والابتلاء¹⁰. فيتغيّر الفاعل بتغيّر الفعل، ويتغيّر المعنى والدلالة بتغيّر الفاعل.

¹ - الكشاف، الزمخشري، ج1، ص454.

² - حاول الطاهر بن عاشور الدّفاع عن هذه القراءة والاحتجاج لصحّتها، وذكر من الأدلّة ما أجمعت الأمة على فساده ليس هذا مقام ذكرها. ينظر له: التحرير والتنوير، ج8، ص102، 103.

³ - إعراب القرآن، النحاس، ج2، ص99.

⁴ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج14، ص100. وينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج3، ص48.

⁵ - ينظر: تفسير البغوي معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تح: محمد عبد الله النمر وآخران، دار طيبة، الرياض، السعودية، 1411هـ، ج5، ص283.

⁶ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج14، ص99.

⁷ - الكشاف، الزمخشري، ج4، ص94.

⁸ - معاني القرآن، الفراء، ج2، ص186.

⁹ - ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج3، ص48، وينظر: الكشاف، الزمخشري، ج4، ص94.

¹⁰ - ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج4، ص94.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ [طه:128]، والمعنى: "أفلم يتبين لهم خبر من أهلكنا قبلهم من القرون"¹. وهو يخاطب أهل مكة. وفيها قراءة أخرى: (نهد لهم) بالنون². وهي أبين وأنسب لتأويل الآية³. وهي على معنى: "أفلم نبين لهم بياناً يهتدون به"⁴. وأما قراءة الياء ففيها اختلاف في الفاعل؛ فقال الكوفيون: (كم) هي الفاعل⁵، ونحاة البصرة لا يجيزونه لأنّ (كم) لها صدر الكلام⁶. وقال النحاس: "وهذا خطأ؛ لأنّ (كم) استفهام، فلا يعمل فيها ما قبلها"⁷. وقال الزجاج: "وكم: في موضع نصب بأهلكنا، وكانت قريش تتجر، وترى مساكن عاد وثمود، وبها علامات الإهلاك"⁸.

وقيل: يهدي يدلّ على الهدى، فالفاعل هو الهدى⁹، تقديره: أفلم يهد الهدى لهم. ولم يرتض أبو حيّان هذا التقدير، ورأى أنّه "ليس بجيد؛ إذ فيه حذف الفاعل، وهو لا يجوز عند البصريين، وتحسينه أن يُقال: الفاعل مضمّر تقديره: يهد هو؛ أي الهدى"¹⁰. وتأول الزمخشري أنّه "يجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول"¹¹، فيكون أحدهما الفاعل. والتقدير: "أفلم يهد لهم ما جعل الله لهم من الآيات والعبر"¹². فيكون الله تعالى هو الفاعل¹³. أو "يكون الفاعل ما دلّ عليه أهلكنا؛ أي إهلاكنا، والجملة مفسّرة له"¹⁴. هذه أهمّ تقديرات الآية التي اختلف حول الفاعل فيها، فاختلف بالضرورة معنى الآية ودلالاتها.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج14، ص159.

² - هي قراءة ابن عباس والسلمي وغيرهما. ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، ج6، ص267.

³ - ينظر: المحرّر الوجيز، ابن عطية، ج4، ص69.

⁴ - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج3، ص379.

⁵ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج14، ص159. وينظر: المحرّر الوجيز، ابن عطية، ج4، ص69.

⁶ - ينظر: المحرّر الوجيز، ابن عطية، ج4، ص69.

⁷ - إعراب القرآن، النحاس، ج3، ص60.

⁸ - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج3، ص379.

⁹ - ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج3، ص60. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج14، ص159.

¹⁰ - تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، ج6، ص267.

¹¹ - الكشاف، الزمخشري، ج4، ص118.

¹² - المحرّر الوجيز، ابن عطية، ج4، ص69.

¹³ - تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، ج6، ص267.

¹⁴ - التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، ص907.

6. المفعول به:

نكتة الدلالة التركيبية التي تدلّ على وظائف المصطلحات النحوية في العربية؛ هي دلالة التخصيص. فإذا أمعنا النظر في الجملة العربية، فإننا نراها تنتقل من العموم إلى الخصوص، أو ما نسميه بتخصيص الدلالة. فإذا نظرنا إلى المفعول به في الجملة الفعلية، نراه خصّص الدلالة بعد أن كانت بالفعل عامّة؛ نحو: (ضَرَبَ زيدٌ عمرًا) فإنّ الضربَ، الذي كانَ عامًّا من قبل زيد تخصّص معناه، فكان وقوعه على عمرو لا على غيره.

وكذلك الأمر مع المفعول المطلق والمفعول فيه والمفعول له، والمفعول معه، والاستثناء والحال، والجار والمجرور، والإضافة والصفة، وعطف البيان، والبدل، والتّمييز. وهو ما سمّاه بعض الباحثين: "المخصّص اللغوي المتصل الملفوظ"¹. وأمّا "المخصّص اللغوي المتصل الملحوظ"²؛ فهو أنْ تُدخلَ تركيبًا مستقلًّا على تركيب مستقل، فيُخصّصُ أحدُ التراكيب التركيب الآخر.

وهذا ما يظهر في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: 185]. فإنّ الجملة: (ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) دخلت على الجملة الأولى التي تفيد العموم، فخصّصتها. ولو لم تدخل عليها؛ لوجب الصّوم على العموم دون استثناء. ونحن يهّمنا التّخصيص الملفوظ؛ لأنّ عليه مدار النّحو، ودلالة التراكيب النّحويّة التي نحن بصددّها.

كما رأينا من قبل، أنّ لكلّ حركة دلالة، فالضمة علامة الفاعلية، والفتحة علامة المفعولية. إلا أنّ إبراهيم مصطفى يرى: "أنّ الفتحة لا تدلّ على معنًى، كالضمة والكسرة، فليست بعلم إعراب. وإنّما هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب، التي يحبون أن يُشكّل بها آخر كلّ كلمة في الوصل ودرج الكلام، فهي في العربية نظير السكون في لغتنا العامية"³.

¹ - الدلالة التركيبية لدى الأصوليين في ضوء اللسانيات الحديثة، محمد على فالح، أطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2006م، ص54.

² - الدلالة التركيبية لدى الأصوليين في ضوء اللسانيات الحديثة، محمد على فالح، ص64.

³ - إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، القاهرة، ط2، 1413هـ/1992م، ص78.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

لكنّه بهذا خالف جمهور النحاة، الذين جعلوا النصب علامة المفعولية، والمفعول به أمّ المنصوبات. قال المبرّد: "اعلم أنّه لا ينتصب شيءٌ إلا على أنّه مفعول به، أو مشبّه بالمفعول به في لفظٍ أو معنى"¹. فجعل المفعول به علماً على غيره من المنصوبات، وأنشأ قرائن التشابه بينهم في اللفظ والمعنى. وهذا ما جعل عبد الملك مرتاض² يرى أن المفعول به هو أصل المفاعيل. وكان يجب أن يسمّى (المفعول المطلق)، ويُسمّى المفعول المطلق (المفعول التوكيدي) أو (مفعول التوكيد).

والمفعول به عند جمهور النحاة هو "الذي يقع عليه فعل الفاعل"³. "وتتصل به الباء مع الفعل في جواب السائل؛ تقول: ضربتُ زيداً، فيقال: بمن أوقعت الضرب؟ فتقول: بزيد. ويقع به الفرق بين اللازم من الأفعال والمتعدّي"⁴. وكما سبق معنا في باب الفاعل، من أنّه ليس الفاعل حقيقةً دائماً، فإنّ وقوع الفعل على المفعول يُقصدُ به "ما وقع عليه، أو ما جرى مجرى الواقع"⁵. وذلك نحو قولك: (ما ضربتُ زيداً)؛ فأنت لم توقع الضرب عليه حقيقةً. وللخروج من هذا الالتباس عرّفه الرّضيّ قائلاً: "والأقرب في رسم المفعول به أن يُقال: هو ما يصحُّ أن يُعبّر عنه باسم المفعول، غير مقيدٍ، مصوغٍ من عامله المثبت، أو المجهول مثبتاً"⁶. نستنتج ممّا سبق أنّ من معاني المفعولية التخصيص، ووقوع فعل الفاعل عليه، حقيقةً أو ما جرى مجراه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: 26]. هذا من مقول الله تعالى.

و(الفاسيقين) منصوب على أنّه مفعول به، وقع الفعل عليهم، وليس على الاستثناء؛ لأنّ الاستثناء

¹ - المقتضب، المبرّد، ج4، ص299.

² - ينظر: نظرية اللغة العربية، عبد الملك مرتاض، ص467.

³ - المفصل في علم العربية، الزمخشري، ص34.

⁴ - البديع في علم العربية، ابن الأثير، ج1، ص137.

⁵ - شرح الرّضيّ على الكافية، ج1، ص333.

⁶ - شرح الرّضيّ على الكافية، ج1، ص334.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

لا يكون إلا بعد تمام الكلام¹. والتقدير: وما يضلّ به أحدا إلا الفاسقين². فيضلّ لم يستوف مفعوله قبل إلا³. لذا أوقع الفعل رأسا على الفاسقين لا غيرهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة:135]. في هذه الآية: دعت كلّ فرقة من اليهود والنصارى إلى ما هي عليه من اعتقاد، فردّ الله تعالى عليهم: (بل ملة) بالنصب، والتقدير: قل يا محمد: بل نتبع ملة إبراهيم، فلهذا نصب الملة⁴. نصبها على المفعولية، ومعنى هذا الإعراب: أنّ فعل الاتباع واقع على ملة إبراهيم تخصيصًا وتحديدًا، فأفاد المفعول هنا التخصيص وتمييز الملة الإبراهيمية عن غيرها من الملل الأخرى.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْدَهُنَّ بِمَا عَمِلْنَ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [البقرة:177]. قال القرطبي: "والصابرين: نصب على المدح⁵ أو بإضمار فعل، والعرب تنصب على المدح وعلى الذمّ، كأنهم يريدون بذلك أفراد الممدوح والمذموم، ولا يتبعونه أول الكلام وينصبونه"⁶. وقال الكسائي بأن (الصابرين) معطوف على (ذوي القربى) على تقدير: وآتى المال على حبه ذوي القربى والصابرين. وهذا غير جائز عند النحويين لوجه عديدة⁷. ومعنى الآية: وأعني الصابرين، وهذا كثير في كلام العرب، فيُنصب (الصابرين) على أنّه مفعول به وقع عليه فعل التخصيص، الدال على استثناء وإخراج ما سواه من دلالة الفعل.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة:281]. في هذه الآية يظهر لنا جليًا خطر الإعراب وأهميته في تحقيق الدلالة المرادة من الآية؛ فإنّ (يومًا) منصوبة، وهي في

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص368.

² - ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص205.

³ - ينظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري، ص44.

⁴ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص414.

⁵ - هذا رأي الفراء. ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج1، ص105.

⁶ - المصدر نفسه، ج3، ص56.

⁷ - ينظر: تفسير الفخر الرازي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1401هـ/ 1981م، ج5، ص48. وينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص281.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

المعنى ظرف زمان، إلا أنَّ الإعراب هو أداة المعنى، قال القرطبي: "ويومًا: منصوب على المفعول لا على الظرف"¹. وبينهما من الفرق ما بينهما.

فإنَّ إعراب (يومًا) ظرف زمان، يؤدِّي بالدلالة إلى معنى محظور، وهو حصر التقوى في يوم واحد، وهو حصر تقوى الله في يوم واحد، وعدم اتِّقائه في ما سواه من الأيام، وهذا غير جائز. وإنَّما معنى الآية يتحقَّق في إعراب (يومًا) مفعولاً به، فيكون المعنى الإعرابي: اتَّقُوا واعملوا ليوم تُرجعون فيه إلى الله، فإنَّ أعمال ابن آدم في الدُّنيا ينبغي أن لا تخرج عن هذا القصد، فيكون بذلك (يومًا) اسمًا دالًّا على يوم القيامة، وليس ظرفًا من ظروف الزَّمان.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَّعَاسًا﴾ [آل عمران: 154]. في إعراب (أَمْنَةً نَّعَاسًا) وجهان؛ لكلِّ وجه منهما معنى ودلالة. فإمَّا أن تكون (أَمْنَةً) منصوبة على المفعولية و(نَّعَاسًا) على البدلية. وإمَّا (أَمْنَةً) مفعول لأجله مقدَّم، و(نَّعَاسًا) مفعول به مؤخَّر². فمعنى الإعراب الأوَّل: أنَّ فعل الإنزال وقع على الأمانة، فأُنزل الله عليهم الأمانة، وهي من الأمن. ثم كأنَّ الأمر التَّيسر وغمُض، ففسَّر اللفظة وأبدلها بأخرى أوضح وأبين، فقال: نَّعَاسًا؛ أي: أنزل عليهم الأمانة المتمثِّلة في النَّعاس. وعلى الإعراب الثَّاني، فنقدِّر المعنى: أنَّ فعل الإنزال وقع رأسًا على النَّعاس، فالله تعالى أنزل عليهم النَّعاس لغاية وسبب؛ هي الأمن. فكأنَّه قال: أنزل الله عليكم النَّعاس لتأمنوا.

قوله تعالى: ﴿لَوْ جَدُّوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 64]. ذكر القرطبي³، وقبله النَّحَّاس⁴ أنَّ (تَوَّابًا رَّحِيمًا) مفعولان، ولا يجوز إعرابهما غير ذلك. فقوله: وجدوه توابًا؛ ذكر الزَّمخشرى⁵ أنَّ معناه: علِّموه تَوَّابًا؛ أي: لَتَّابَ عليهم. "وتَوَّابًا: معناه راجعًا لعباده"⁶، يرجع بهم ممَّا يكرهون إلى ما

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج4، ص422.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج5، ص369.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج6، ص439.

⁴ - ينظر: إعراب القرآن، النَّحَّاس، ج1، ص467.

⁵ - ينظر: الكشاف، الزَّمخشرى، ج2، ص100.

⁶ - المحرَّر الوجيز، ابن عطية، ج2، ص74.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

يحبّون، ورحيمًا بهم في تركه عقوبتهم على ذنبهم الذي تابوا منه¹. ولا يتبادر إلى الذهن غير هذا الإعراب. فلو ظنّ ظانُّ أنّهما حالان؛ لوقع في معنى محذور.

فدلالة إعراب (توبا رحيمًا) حالين هي أنّه ينتقل من حال إلى أخرى؛ فالحال منتقلة غير دائمة، ومغفرة الله تعالى وتوبته لعباده ورحمته بهم، دائمة؛ لأنّها صفة من صفاته، فلذلك وجب اليقين في الفعل (وجدوا) بجعله على معنى (علموا)، وجعل المنصوبين بعده حالين؛ للدلالة على الديمومة والثبات.

قوله تعالى: ﴿فَكَاْمُنُوْا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: 170]. الأشهر في إعراب (خيرًا) ما نقله القرطبي² عن سيبويه³، وارتضاه، من أنّ (خيرًا) مفعول به لفعل محذوف، وتقدير الكلام: وأتوا خيرًا. فيكون في الآية إعلان، والمعنى: آمنوا وافعلوا الخير. وإمّا على قول الفراء⁴؛ الذي اعتبر (خيرًا) نعتًا لمصدر محذوف تقديره: (آمنوا إيمانًا خيرًا لكم). فيكون في الآية فعل واحد، ويتعلّق الخير بالإيمان، ولا ينفصل عنه، فكأنّ المقصود: آمنوا ففي إيمانكم خيرٌ لكم، عكس الإعراب الأول الذي كان تقدير المعنى فيه: آمنوا وافعلوا الخير، فأُطلقَ الخيرُ فيها على أعمال البرّ من معاملاتٍ وغيرها.

ورأى أبو عبيدة⁵ أنّ (خيرًا) خبر لكان المحذوفة، والتقدير: (آمنوا يكن خيرًا لكم) وهنا في الآية شرط وسببية؛ فكأنّ الخير لا يقع بهم، ولا يحصل لهم، إلا بالإيمان، وهذا يشبه في معناه الإعراب الثاني، وإنّ كان يزيد عنه بمعنى الشرطية، التي تفيد هنا التوكيد على أنّ الإيمان سببٌ أساسٌ للخير.

¹ - ينظر: تفسير الطبري، ج7، ص199.

² - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج7، ص228. وينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص508.

³ - ينظر: الكتاب، سيبويه، ج1، ص282، 283، 284.

⁴ - ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج1، ص295.

⁵ - ينظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن مثنى، تع: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج1 ص143.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام:100]. المعنى: اعتقدوا أنّ لله شريكاً من الجن¹. والفعل: جعلوا؛ بمعنى: صيروا². وهو ممّا يتعدّى إلى مفعولين. قال النّحاس: "الجنّ مفعول أوّل، وشركاء: مفعول ثان. والتّقدير: وجعلوا لله الجنّ شركاء"³. ويرى أبو البركات الأنباري أنّ (شركاء) مفعول أوّل، و(الجنّ) مفعول ثان⁴. إلا أنّ سياق الآية يتطلّب جعل الجنّ هي المفعول الأوّل؛ "لأنّ الجنّ المقصود من السياق، لا مُطلق الشركاء؛ لأنّ جعل الشّركاء قد تقرّر من قبل"⁵. فقد تحدّث الله تعالى قبل هذه الآية عن اتخاذهم الأصنام شركاء لله تعالى.

وفي الآية بلاغة في تقديم المفعول الثاني على الأوّل. فتقديم (شركاء) يفيد "أنّه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك، لا من الجنّ ولا من غير الجنّ"⁶. وتأخيره لا يفيد سوى الإخبار عنهم. وقال النّحاس: "ويجوز أن يكون (الجنّ) بدلاً من شركاء، والمفعول الثاني (لله)"⁷. ولهذا معنى أيضاً: وهو أنّه "وقع الإنكار على كَوْنِ شركاء لله على الإطلاق، من غير اختصاص شيء دون شيء، وحصل من ذلك أنّ اتّخاذ الشّريك من غير الجنّ قد دخل في الإنكار دخول اتّخاذ من الجنّ"⁸.

أي أنّ جعل (لله) مفعولاً ثانياً، و(شركاء) مفعولاً أولاً، و(الجنّ) بدلاً من (شركاء) هو إنكار جعل الشّريك لله مطلقاً، دون تخصيص الجنّ عن غيره. وهذا يختلف عن المعنى الأوّل، وهو جعل (شركاء) و(الجنّ) مفعولين، إذ معناه إنكار جعلهم الجنّ شريكاً لله -تعالى وتنزّه عن كلّ شريك-. والإعراب الأخير فيه توسعة للمعنى، وإطلاق للدّلالة، وهو المرغوب من حيث المعنى الشرعي وهو إنكار اتّخاذ الشّريك مطلقاً، على أن الإعراب الأوّل صحيح أيضاً.

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج8، ص479.

² - ينظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري، ج1، ص526.

³ - إعراب القرآن، النّحاس، ج2، ص87.

⁴ - ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن، الأنباري، ج1، ص333.

⁵ - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج7، ص406.

⁶ - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص286.

⁷ - إعراب القرآن، النّحاس، ج2، ص87.

⁸ - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص287.

7. المفعول المطلق:

هو اسمٌ، مصدرٌ، فضلةٌ. كان القرطبي يشير إليه بقوله: "منصوب على المصدر"؛ فكان يسمّيه مصدرًا، وقد تنبّه الفراء¹ للنصب على المصدرية. والمفعول المطلق يوضح العلاقة التي تحدّث عنها النحاة، بين الأفعال والمنصوبات². فالمفعول المطلق هو مصدر من جنس فعله العامل فيه. قال سيبويه: "واعلم أنّ الفعل الذي لا يتعدّى الفاعل يتعدّى إلى اسم الحدّثان الذي أُخذَ منه؛ لأنّه إنّما يُذكرُ ليدلّ على الحدّث. ألا ترى أنّ قولك: قد ذهبَ بمنزلة قولك: قد كان منه ذهبٌ"³. واسم الحدّث عند سيبويه هو المصدر، ومعناه: أنّ الفعل يدلّ على الحدّث الذي يتضمّنهُ المصدر، والنّاظر إلى بنية الكلمتين يرى أنّ المصدر اسمٌ للحدّث، والفعل يتضمّن الفعل مع الزّمن.

وتعدّي الفعل إلى المصدر له دلّالته في معنى الجملة، وهو التوكيد للفعل، أو لبيان نوعه أو عدده، وبما أنّ التوكيد لا يكون إلا بالترّكاز، فإنّ في الجملة (ضربتُ زيدًا ضربًا) تكرارٌ للحدّث. وهذا التّكرار إمّا يكون تكرارًا للفظ والمعنى؛ نحو: (ضربتُ زيدًا ضربًا)، وإمّا تكرار للمعنى دون اللفظ؛ نحو: (ضربتُ زيدًا صفعًا) إذن؛ فإنّ المعنى الأساس والجوهر للمفعول المطلق هو تأكيد الفعل والحدّث، والمؤكدات في العربية كثيرة، من بينها: المفعول المطلق.

إذن؛ فأغراض المفعول المطلق: توكيدٌ للفعل، أو بيانٌ لنوعه، أو بيانٌ لعدده؛ فمثال التوكيد قولك: تحصّدُ الحروبُ الأرواحَ حصّدًا، ومثال بيان النوع قولك: يئنُّ المصابُ أنينًا موجعًا، ومثال العدد: صرخَ المريضُ صرختين. وقيل: سُمّيَ مُطلقًا؛ لأنّه لا يُقيّدُ بأداة معيّنة، فالمفعولية فيه منطبقةٌ مُطلقًا، وليس كالمفعول به المقيد بحرف الجرّ (الباء)، والمفعول لأجله المقيد باللام وغيرهما. قال ابن هشام: "وسُمّيَ مطلقًا لأنّه يقع عليه اسم المفعول بلا قيد، تقول: ضربتُ ضربًا

¹ - ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج1، ص257، و ص367.

² - ذكر هذه العلاقة سيبويه في الكتاب: ج1، ص34 وما بعدها. والمبرد في المقتضب: ج3، ص187.

³ - الكتاب، سيبويه، ج1، ص34.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

فالضرب مفعول؛ لأنَّه نفس الشيء الذي فعلته¹. ويعدّ المفعول المطلق المفعول الوحيد، من بين المفاعيل، الذي أوجده الفاعل، أمّا بقية المفاعيل فإنّ الفعل هو من تعلّق بها.

ومن هنا؛ فإنّ التوكيد في المفعول المطلق يُفيد نفي المجاز عن الفعل، وتأكيد الحقيقة. وأفضل مثال على ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:164]. قال القرطبي: "تكليماً: مصدرٌ معناه التأكيد، يدلّ على بطلان من يقول: خلق لنفسه كلاماً في شجرة، فسمعه موسى، بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون به المتكلّم متكلماً"². وقال النحاس: "تكليماً: مصدرٌ مؤكّد، وأجمع النحويون على أنّك إذا أكّدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً"³. وأكّد ذلك غير واحد من المفسرين⁴ من أنّ الكلام كان حقيقياً لا مجازاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَتَّعُوهُمْ عَلَىٰ أَلْسِنَةٍ قَدَرُهُ وَعَلَىٰ أَلْمُقَتَّرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:236] قال القرطبي: "متاعاً: نُصِبَ على المصدر؛ أي: متّعهنّ متاعاً بالمعروف؛ أي: بما عُرف في الشرع من الاقتصاد"⁵. فمتاعاً: منصوبٌ على أنّه مفعول مطلق، وقوله: بالمعروف؛ أي: لا تكلف فيه ولا ثقل على أحد الطرفين. فالأمر الذي في فعل الأمر (متّعهنّ) تمّ توكيده بالمفعول المطلق (متاعاً)، والغرض من التوكيد هنا: بيان نوع الفعل، أو نوع الإمتاع؛ لذا قال: متاعاً بالمعروف. فنفي الإطلاق، وخصّص المتعة بالمعروف، فيكون المعنى المحصل: متّعهنّ على قدر سعتكم واستطاعتكم معروفاً.

ومثله أيضاً، في دلالة التوكيد على بيان نوع الفعل، قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبَ مُوَجَّلًا﴾ [آل عمران:145]. فكتاباً منصوب على أنّه مفعول مطلق

¹ - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصاري، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع القاهرة، مصر، ص252.

² - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج7، ص225.

³ - إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص507.

⁴ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج2، ص133. وينظر: تفسير البغوي، ج2، ص311.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج4، ص166.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

تقديره: "كتب الله كتابًا مؤجلًا"¹؛ أي: أن الله تعالى كتب أعمار الأنفس كتابًا ذا أجلٍ مُحدّدٍ لا يَحِيدون عنه.

ومما يلتبس معناه، ويوضحه الإعراب؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران: 177]. وضّح القرطبي معنى (شيئًا) بأنه انتصب على المصدر مفعولًا مطلقًا؛ "كأنه قال: لن يضرُّوا الله ضررًا قليلًا ولا كثيرًا"². وقال الزمخشري: "المعنى: شيئًا من الضرر، وبعض الضرر"³. وفي هذا تأكيد النفي المطلق، حقيقة لا مجازًا، بأنهم لن يصلوا إلى الله بضررهم، بشيءٍ على الإطلاق، صغيرًا كان أو كبيرًا. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

ومثال الغرض الثاني من أغراض التوكيد في المفعول المطلق قوله تعالى: ﴿فَأَجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: 4]. فقوله: (ثمانين) منصوبٌ على المصدر⁴ مفعولٌ مطلق، و(جلدة) تمييز. فالمفعول المطلق الذي يفيد التوكيد، دلّ عليه (ثمانين)، الذي يفيد بيان عدد الفعل؛ فالجُلْدُ مؤكّدٌ في حدود الثمانين، عددًا لا يُتجاوز ولا يقلّ. وهلمّ جرًّا مع المواضع الأخرى التي تدلّ على هذه المعاني التي ذكرناها، ولكلّ آية سياقها الخاص.

8. المفعول لأجله/ له:

اللام المرتبطة بلفظة (مفعول) لها دلالتها القوية في المعنى، بل إنّ الزجاج يقدر اللام في كل مفعول له. ففي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 207]. يقول الزجاج: "ونصب (ابتغاء مرضاة الله) على معنى المفعول له؛ المعنى: يشريها لابتغاء مرضاة الله"⁵.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص384.

² - المصدر نفسه، ج5، ص432.

³ - الكشاف، الزمخشري، ج1، ص663.

⁴ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج15، ص133.

⁵ - معاني القرآن وإعرابه، الزجاجي، ج1، ص279.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

وتبعه في ذلك النحاس¹ والقرطبي². ولا يدخل هذا في باب نزع الخافض؛ لأنّ نزع الخافض يحوّل اللفظة إلى مفعول به، لكن اللام هنا هي دالة على التعليل والسببية. وكأنّ سائلاً يسأل فيقول: لماذا وقع الفعل؟ فيجيب، ولفظة الجواب هي المفعول له أو المفعول لأجله أو من أجله. كما نسأل عن الفاعل: مَنْ فعل؟ وعن المفعول به: ماذا فعل؟ وعن الحال: كيف وقع الفعل؟ وتبقى هذه الأسئلة تعليمية تقريبية نسبية، لا تدلّ على قاعدة ثابتة؛ فليس الفاعل دائماً هو من قام بالفعل، كما مرّ بنا آنفاً. وإنّما قدّروا اللام لتقريب المعنى، "وهو مما قد يستدلّ به المبتدئ للتعليم"³.

إنّ؛ فالمفعول له هو اسم منصوب، يعدّه النحاة من الفضلات لا العمد. يؤتى به لذكر سبب وقوع الفعل وعِلّته، فنقول: ضربتُ زيداً، فإنّ تساءل السامع: لِمَ ضربتَه؟ جيء بالمفعول له يزيل لبس السبب: ضربتُ زيداً تأديباً له؛ والتقدير: لتأديبه، وهلمّ جرّاً. وهذا مصداقاً لقول سيبويه: "هذا باب ما ينتصب من المصادر لأنه عُذْر لوقوع الأمر؛ فانتصب لأنه موقع له، ولأنّه تفسير لما قبله: لِمَ كان؟"⁴. من هنا: نعرف أنّ المعنى الإعرابي للمفعول له في التركيب العربي عامة والآية القرآنية الكريمة خاصّة، له دلالة واضحة مهمّة، تُذكر من خلاله علل الأحداث وأسبابها ودوافع وقوعها. لهذا سمّاه عبد الملك مرتاض⁵: (مفعول التعليل).

من أمثلة ذلك؛ قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْلِحَهُمْ فِيءَ إِذْ أَنَّهُمْ مِنَ الصَّوْعِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: 19]. فحذّر: انتصب على المفعول من أجله⁶. وقد قال الفراء موضحاً المعنى: "فنصب (حذّر) على غير وقوع من الفعل عليه، لم تُرد: يجعلونها حذراً، إنّما هو كقولك: أعطيتُك خوفاً وفرقاً. فأنت لا تعطيه الخوف، وإنّما تُعطيه من أجل الخوف؛ فنصبه على التفسير ليس بالفعل"⁷.

¹ - ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج4، ص221.

² - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3، ص389.

³ - معاني القرآن، الفراء، ج1، ص17.

⁴ - الكتاب، سيبويه، ج1، ص367.

⁵ - ينظر: نظرية اللغة العربية، عبد الملك مرتاض، ص467.

⁶ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص332. وينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص194.

⁷ - معاني القرآن، الفراء، ج1، ص17.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

وقولُ الفراء (التفسير) جعلتُ القرطبيَّ يظنُّ أنَّ الفراء قصد التَّمييز¹، وقد اعتقد هذا لأنَّ أهل الكوفة يسمُّون التَّمييز تفسيرًا، ولعلَّ الفراء قصد أنَّ (حذر) انتصبت لتفسيرِ عِلَّة وقوع الفعل. وهذا واضح من قوله الأنف ذِكْرًا. فالفعل (جعل) لا يتعدَّى إلى الحذر، ولا يُفهم أنَّ الفعل وقع على (حذر)، وإنَّما فعلوا ما فعلوه لسببٍ وعِلَّةٍ هي حذرهم من الموت.

قوله تعالى: ﴿بَشِّرَا أَشْتَرَا بِهِنَّ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [البقرة: 90]. انتصب (بغيا) لأنَّه مفعول من أجله²، وهو في الحقيقة مصدر³. وبغيا معناه: تعدِّيًا وحسدًا⁴، وهم اليهود، كفروا بالله من أجل حسدهم لمحمد ﷺ. فجاء المصدر (بغيا) منصوبًا بيِّنُ سبب كفرهم وعِلَّتُهُ.

وقد يُذكر المفعول لأجله من أجل معاني أُخر، غير التعليل والسببية؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: 213]. فبغيا: منصوب لأنَّه مفعول لأجله؛ أي: لم يختلفوا إلا للبغى والتعدِّي. وذكروا أنَّ في هذا تنبيهًا على السَّفه والشَّنعة في فعلهم، والقبح الذي واقَّعوه⁵. فكأنَّ في ذكر السبب والعِلَّة فضحًا لهم، واحتقارًا وتشنيعًا لفعلتهم. وأمثلة هذا الباب مُكرَّرة في معانيها، تفيد في مجملها معنى التعليل والسببية. نستغني بما ذكرناه عمَّا لم نذكره تفاديًا للوقوع في التكرار.

9. المفعول فيه (ظرف الزمان وظرف المكان):

نستنتج ممَّا سبق؛ أنَّ التركيب العربي أو الجملة العربية تتضمن حدثًا ما، وهو الفعل. ويستوجب هذا الحدثُ مُحدثًا، وهو الفاعل أو مَنْ أسندَ إليه الفعلُ الحدثُ. وقد يستدعي هذا الحدثُ من يقع عليه الفعل، فيؤتى بالمفعول به؛ وهو اسمٌ وقع عليه فعل الفاعل. ثمَّ قد يتَّسع معنى الجملة فيحتاجُ فيها إلى توكيد الفعل، ونفي المجاز عنه وإثبات الحقيقة؛ فيؤتى بمصدر

¹ - قال القرطبي: "وقال الفراء: هو منصوب على التَّمييز". الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص332.

² - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص251.

³ - إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص247.

⁴ - ينظر: تفسير الطبري، ج2، ص248.

⁵ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص407. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص286.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

منصوب مشتق من الفعل نفسه، على سبيل المفعول المطلق. وقد يُحتاج بعد ذلك إلى ذكر سبب الفعل وعلته؛ فيؤتى بالمصدر منصوباً دالاً على السبب، وهو المفعول لأجله.

بعد هذا كله، قد يتسع معنى الجملة إلى اعتبار آخر، فيُحتاج فيها إلى ذكر زمنٍ معيّن وقع فيه الفعل، أو مكانٍ مُحدّد حَدَثَ فيه الحدث. وللدلالة على هذا المعنى اصطلاح النّحاة على تسمية الاسم الدّالّ على هذين المعنيين مفعولاً فيه. فالمفعول فيه إذن ظرفُ زمنٍ أو مكانٍ يدلّ على الزّمان الذي وقع فيه الفعل، أو المكان الذي وقع فيه.

فالمفعول فيه هو الظرف، ويسمّيه ابن يعيش وعاءً؛ لأنّ الفعل يقع فيه. يقول: "اعلم أنّ الظرف ما كان وعاءً لشيءٍ ما، وتسمّى الأواني أوعية؛ لما يُجعلُ فيها. وقيل للأزمنة والأمكنة ظروفٌ؛ لأنّ الأفعال توجدُ فيها، فصارتُ كالأوعية لها"¹. من أجل ذلك، سمّى الظرف مفعولاً فيه لأنّ "الظرف هو ما يكون فيه الشيء"² كما قال الأخفش.

إذن فمن شروط الظرف أن يتضمّن معنى (في) دون ظهورها في الكلام، وهذا ظاهر كلام سيبويه³. وجمهور النّحاة⁴. فإن لم يتضمّن معنى (في) كان اسماً وليس ظرفاً، وإن ظهرت (في) كان اسماً مجروراً بها⁵. فتقول: قمتُ اليومَ وجلسْتُ مكانَكَ المعنى: قمتُ في اليوم، وجلسْتُ في مكانك.

ومن معاني (في) في المفعول فيه هو التحديد؛ أي: تحديد زمنٍ معيّن، أو مكانٍ معيّن. فالمفعول فيه من وظائفه تحديد زمن الفعل ومكانه، ولا يكون المفعول فيه دالاً على مطلق الزمان أو مطلق المكان؛ لأن ذلك لا يفيد، فلا يخلو فعل من مكانٍ ما وزمانٍ ما. وهذا عين ما قصده سيبويه بقوله: "وتقول: متى سِيرَ عليه؟ فيقول: أمسٍ أو أوّل من أمسٍ، فيكون ظرفاً، على أنّه كان

¹ - شرح المفصل، ابن يعيش، ج2، ص41.

² - معاني القرآن، الأخفش، ج1، ص54.

³ - ينظر: الكتاب، سيبويه، ج1، ص216.

⁴ - ينظر: الأصول في النحو، ابن السراج، ج1، ص190. وينظر: اللمع في العربية، ابن جني، ص48.

⁵ - ينظر: الإعراب والمعنى في القرآن الكريم، محمد أحمد خضير، ص49.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

السَّيْرُ في ساعةٍ دون سائر ساعات اليوم، أو حينٍ دون سائر أحيان اليوم¹. فإن كان الزَّمن مبهماً غير محدّد ارتفع الاسم ولم يكن ظرفاً.

ومثال ذلك أنك تقول: الجمعة تُستجابُ دعوتُكَ، لمن قال لك: أدعوك لبيتي. فتجيبه وأنت تحدّد له زمناً معيناً لتُجيبَ دعوتَه، فتنتصب (الجمعة) على أنها مفعول فيه؛ لأنّ الزمن محدّد. ونقول: الجمعة تُستجابُ دعوتُكَ، إذا كان الكلام موجهاً لمن تريد نصحه، فنقول بأن يوم الجمعة على الإطلاق فيه ساعة استجابة لدعائك فالتزمها، فيلتزم المنصوح كل جمعة، على جهة الإطلاق لا التحديد، فلمّا كان الزمن مبهماً غير محدّد ارتفعت (الجمعة) على غير الظرفية. وهكذا مع المكان.

من هنا نستنتج أن المفعول فيه هو ما دلّ على ظرف زمن أو مكان محدّد غير مبهم متضمّن معنى (في) يفيد تحديد زمن وقوع الفعل أو مكانه. مع أنّ بعض المتأخرين يرون أن الظرف إن كان مبهماً ويتضمّن معنى (في) جاز نصبه على الظرفية، فنقول: إنّ تضمّنه معنى (في) يزيلُ عنه الإبهام ويجعله محدداً.

قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: 95]. يتحدّث الله تعالى عن اليهود، فتحدّاهم أن يتمنّوا الموت إن كانوا حقاً ضمنوا الدّار الآخرة من دون النّاس. فأجاب الله تعالى عنهم: لن يتمنّوا الموت بسبب ما عملوه واقترفوه. فأبدأ: "ظرف زمانٍ، يقع على القليل والكثير؛ كالحين والوقت"². و(أبدًا) من ظروف الزّمان المطلقة؛ فكيف جاز نصبها على الظرفيّة وهي مبهمة؟ أجب على ذلك القرطبيّ بقوله: "وهو هنا من أوّل العمر إلى الموت"³.

فسياق الآية هو من حدّد الأبد، وجعله مقتصرًا على ما يعيشونه في الدّار الدّنيا قبل الموت لأنّه لا يُعقلُ بعد الموت أن يتمنّوه، بل ولا أن يقولوا مثلما كانوا يقولون قبل أن يذوقوا الموت ويعرفوا حقيقة ما كانوا ينكرونه. فكلّ كافرٍ وجاحدٍ سيؤمّن لا محالة بعد موته، ويطلب الرّجوع.

¹ - الكتاب، سيبويه، ج1، ص216.

² - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص258.

³ - المصدر نفسه، ج1، ص258.

الباب التطبيقيّ ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابيّة في الجملة الفعلية

فأبدا: ظرف زمان مفعولٌ فيه، ويكون تقدير معنى الإعراب: أنهم لن يتمّوا الموت أبداً حياتهم وطول أعمارهم قبل الموت.

ومما يدلّ على تخصيص زمن الفعل، وهي من فوائد المفعول فيه زمنياً؛ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: 185]. قال القرطبي: "وليس الشهر بمفعول [به]، وإنّما هو ظرف زمان"¹. وإنّما تخصيص الأمر بالصيام في شهر واحدٍ فقط دون سواه. وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: 233]. فقوله: (حولين كاملين) ظرف زمان² مفعولٌ فيه، يحدّد زمان الفعل، فلا إرضاع أكثر من حولين. ولا أقلّ منهما؛ لقول النحاس: "ولا يجوز أن يكون الفعل في أحدهما"³، وهذا مذهب سيبويه⁴. ومن هنا فإنّ معنى إعراب (حولين) مفعولاً فيه ظرف زمان؛ هو أنّ الإرضاع يكون في حولين كاملين تامّين لا في أحدهما أو بعضهما.

وظروف الزّمان على هذا المنوال كثيرة، وأما المفعول فيه ظرف مكان فنذكر قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: 43]⁵. الصعيد هو وجه الأرض، أو هو الأرض، وصعيد الأرض قد يكون ما ارتفع منها؛ لأنه يُصعدُ إليه، وهذا ما جاء عن أئمة اللّغة⁶. فتكون (صعيداً) هنا علماً على مكان، تُعرّب ظرف مكان⁷، ولا تُعرّب مفعولاً به؛ لدالاتها على المكان الذي وقع أمر التّيمّم عليه. "ومن جعل الصّعيد: التّراب؛ نصّبهُ على أنّه مفعولٌ به، حُذِفَ منه حرف الجرّ؛ أي: بصعيد"⁸.

على أنّ نصبها بالظرفيّة المكانية أولى؛ لأنّ التّيمّم يكون بالتّراب وغيره، من الصخر والحجر، ولأنّ الصّعيد في اللّغة هو ما ارتفع على وجه الأرض، أو هو وجه الأرض، وهذا ما ورد

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3، ص163.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص106.

³ - إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص316.

⁴ - ينظر: الكتاب، سيبويه، ج1، ص217.

⁵ - وردت أيضاً في: [المائدة: 6]

⁶ - ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج3، ص254.

⁷ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج6، ص392.

⁸ - مشكل إعراب القرآن، القيسي، ج1، ص222.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

عن أئمة اللغة. كما أنّ ظرف المكان يدلّ على التّخصيص والتّحديد، وهو ما دلّ عليه الظرف في الآية، فالنّيم لا يكون إلا على مكان مخصّص محدّد.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال:12]. هذا أمرٌ للملائكة وقيل للمؤمنين¹. يرى الأخفش² والضّاحك وعطية³ أنّ (فوق) زائدة، والتّقدير: اضربوا الأعناق. وقال عكرمة⁴: بل ما فوق الأعناق، وهي الرؤوس، وضربها أبلغ. وردّ كلّ من النّحاس⁵ وعطية⁶ أنّ تكون (فوق) زائدة؛ "لأنّ الظّروف وجميع الأسماء لا يجوز في كلام العرب أن تُراد لغير معنى"⁷. قال ابن عطية: "وليست (فوق) زائدة، بل هي محكمة المعنى؛ لأنّ ضربة العنق إنّما يجب أن تكون فوق العظام دون الدّماغ"⁸.

ونقل الطّبري عن بعضهم قولهم: "معنى ذلك: فاضربوا على الأعناق. وقالوا: (على) و(فوق) معناهما متقاربان، فجاز أن يوضع أحدهما مكان الآخر"⁹. فيحتمل المعنى أن يدلّ على الرؤوس، ويحتمل أيضا أن يدلّ على الأعناق. إلا أنّ الأصل والأولى أن لا يُغلب المقدّر على المذكور، ولا التأويل على التفسير. من هنا، فإنّه بالنّظر إلى ما سبق، نستنتج أنّ ما يُذكر في القرآن العظيم لا يكون زائداً دون أن يفيد، وإنّما لم يذكر إلا ليفيد معنى معيّناً، و(فوق) هنا مفعول فيه ظرف مكان، دلّت على موضع ومكان الضّرب، محدّداً فيما فوق العنق.

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج9، ص468.

² - ينظر: معاني القرآن، الأخفش، ج1، ص346.

³ - ينظر: تفسير الطبري، ج11، ص70.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ج11، ص70، 71.

⁵ - ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص439.

⁶ - ينظر: ينظر: المحرّر الوجيز، ابن عطية، ج2، ص16.

⁷ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج6، ص106.

⁸ - المحرّر الوجيز، ابن عطية، ج2، ص16.

⁹ - تفسير الطّبري، ج11، ص71.

10. المفعول معه:

سبق أن ذكرنا أنّ الجملة العربية، وهي تتضمّن حدثًا ومُحدثًا، فإنّها تتعدّى إلى مجموعة من المفاعيل بحسب متطلبات السياق. من ذلك أنّها تتعدّى إلى معنى المعية، لتذكر الذي رافق الفاعل حين قيامه بالفعل، فيؤتى بواو، غير عاطفة، تدلّ على المعية والمرافقة والمصاحبة. وتكون بمعنى (مع). ويأتي الدالّ على المعية بعدها منصوبًا. وأكّد هذه المعية ابن جنّي، في تعريفه المفعول معه: "وهو كلّ ما فعلتّ معه فعلًا"¹.

فالمفعول معه إذن، هو اسمٌ منصوبٌ فضلةً، يأتي بعد واو المعية، مسبوق بفعل أو شبهه. نحو: (سِرْتُ والنَّيْلَ)، فليست الواو عاطفة؛ لأنّ النّيل لم يشارك في السير، وإنّما كان مع الفاعل حين قام بالفعل ورافقه. فالمعنى: سرتُ مع النّيل ومُحاذيًا له. فانّ تصاب المفعول معه هو لعلّة مصاحبته للفاعل، دون مشاركة؛ أي لا يكون فاعلاً ثانيًا، فلو كان فاعلاً، كانت الواو عاطفة. ولهذا سمّاه عبد الملك مرتاض²: (مفعول التساوي) أو (مفعول الاستواء).

لأنّ معنى المفعول معه المصاحبة، فيجب أن يسبق بفعل أو شبهه، وإلا فلا يُعقل أن يُصاحب دون حدثٍ أو فعل. قال ابن يعيش: "اعلم أنّ المفعول معه لا يكون إلا بعد الواو، ولا يكون إلا بعد فعلٍ لازمٍ أو منتهٍ في التّعدّي"³. فإنّ خَلَتِ الجملة السابقة له من فعلٍ أو شبهه، ارتفع الاسم بعد الواو؛ كقولك: أنتَ وشأنك، وكان المعنى: أنتَ وشأنك مقرونان⁴.

زاد سيبويه أنّ واو المعية لا تدلّ على (مع) فقط، ولكن قد تدلّ على المعية بالباء، واستدلّ بقوله: ما زِلْتُ وزيدًا حتّى فعل، واستوى الماء والخشبة، بمعنى: ما زِلْتُ يزيدٍ حتّى فعل، واستوى الماء بالخشبة⁵، وذلك أنّ من معاني الباء المصاحبة. وأضاف الفراء معنًى ثالثًا للواو، وهي أنّها

¹ - اللمع في العربية، ابن جنّي، ص51.

² - نظرية اللغة العربية، عبد الملك مرتاض، ص468.

³ - شرح المفصل، ابن يعيش، ج2، ص48.

⁴ - ينظر: الكتاب، سيبويه، ج1، ص300.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص298.

الباب التطبيقيّ ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

بمعنى (إلى)؛ يقول: "إذا قلت: قد تُرُكْتَ ورأيتُ، وخُلِّيت ورأيتُ، نصبتُ الرأي؛ لأنَّ المعنى: لو تُرُكْتَ إلى رأيك"¹. لكن كلها تدلّ على المعية والمصاحبة.

ونماذج المفعول معه في القرآن العظيم قليلة، ولذا لم يرد في تفسير القرطبي إلا في موضعين؛ هما قوله تعالى: ﴿يَجِبَالٌ أَوِيٍّ مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ [سبأ:10]. فالمعنى: يا جبال أوبي معه؛ سبّحي معه² وقيل: سيرى معه حيث شاء، وقيل: "رجعي الحنين، فكانت الجبال تجيبه إذا تلا الزبور"³، وقيل: "تصرفي معه على ما يتصرف عليه داود بالنهار، فكان إذا قرأ الزبور صوّتت الجبال معه، وأصغت إليه الطير، فكأنّها فعلت ما فعل"⁴. من أجل ذلك نُصِبَتْ (الطير) على أنّه مفعول معه، والمعنى: أوبي معه ومع الطير⁵.

على أنّ (والطير) قرئت رفعا ونصبًا، ولكلّ قراءة إعرابٌ ومعنى. فقراءة الرفع هي قراءة ابن أبي إسحاق، ونصر عن عاصم، وابن هرمز، ومسلمة بن عبد الملك⁶، وقرأ الباقر بالنصب. فقراءة الرفع لها وجهان في الإعراب؛ إحداهما: أن يكون عطفًا على المضمر في الفعل (أوبي) والمعنى: يا جبال رجعي التّسبيح أنتِ والطيرُ. "وحسنه الفصل بـ(مع)"⁷. والإعراب الآخر أنّه يجوز الرفع على البدل، والمعنى: يا جبال ويا أيّها الطير أوبي معه⁸. فيكون الطير شارك في الفعل (التأويب/ التّرجيع)، فتكون الواو عاطفة وليست واو معية. وأضاف أبو حيّان: "وقيل رفعا بالابتداء، والخبر محذوف؛ أي: والطيرُ تَوَوَّبُ"⁹.

¹ - معاني القرآن، الفراء، ج3، ص177.

² - ينظر: تفسير الطبري، ج19، ص219.

³ - إعراب القرآن، النحاس، ج3، ص333.

⁴ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج17، ص261.

⁵ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج4، ص243. وينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج3، ص334. وينظر:

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج17، ص262.

⁶ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج17، ص262. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج4، ص407. وينظر:

تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج7، ص253.

⁷ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج17، ص262.

⁸ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج4، ص243.

⁹ - تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج7، ص253.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

وأما قراءة النَّصْب فلها ثلاثة أوجه في الإعراب؛ فإما أن ينتصب (الطَّيْرَ) عطفًا على قوله: (ولقد آتينا داود فضلًا والطَّيْرَ)؛ أي: وسخرنا له الطَّيْرَ؛ فهو منصوبٌ بفعلٍ مقدَّر مناسب. وإما أن يكون منصوبًا على النداء، والمعنى: يا جبالُ أوبي معه والطَّيْرَ؛ كأنه قال: دَعُونَا الجبال والطَّيْرَ. فالطَّيْرَ معطوفٌ على موضع الجبال في الأصل؛ لأنَّه مبنيٌّ على الضمِّ في موضع نصب¹. والوجه الثالث أنَّه منصوبٌ على أنَّه مفعول معه، والتقدير: أوبي معه ومع الطَّيْرَ². وقد منع أبو حيان أن يكون مفعولًا معه، قال: "وهذا لا يجوز؛ لأنَّ قبله (معه) ولا يقتضي الفعل اثنين من المفعول معه، إلا على البذل أو العطف"³. إلا أنَّ الزَّمَخْشَرِيَّ⁴ ذكر بأنَّ النِّحَاةَ أجازوا ذلك. فكلُّ إعرابٍ منها جائزٌ، بناءً على المعنى الذي يتمُّ تقديره.

والموضع الثاني، الذي ورد فيه المفعول معه في تفسير القرطبي، قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ [القلم:44]. ذرني؛ أي: دعني، و(مَنْ) اسم موصول، في تقدير المفعول معه⁵ والواو للمعية، والمعنى: دعني مع الذين كذبوا بالقرآن، سأستدرجهم من حيث لا يعلمون. أو هي منصوبة عطفًا على الضمير في الفعل (ذرني)⁶ وهو ضمير المتكلم (الياء). على أنَّ كِلَا الإعرابين جائز⁷.

إلا أنَّ السِّياقَ يَقْوِي الإعراب الأوَّل. وقد أجاد الطَّاهِرُ بن عاشور في تفصيل الإعراب وتعليله بقوله: "قوله: (ذرني ومن يكذب) ونحوه، يفيد تمثيلًا لحال مفعول (ذَر) في تعهده بأنَّ يكفي مؤونة شيءٍ دون استعانةٍ بصاحبِ المؤونة، بحال من يرى المخاطب قد شرع في الانتصار لنفسه، ورأى أنَّه لا يبلغُ بذلك مبلغ مفعول (ذَر) لأنَّه أقدرُّ من المعتدى عليه في الانتصاف من المعتدي، فيتفرَّغُ له، ولا يطلب من صاحب الحقِّ إعانةً له على أخذ حقِّه؛ وذلك بفعل يدلُّ على

¹ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج4، ص243.

² - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج4، ص243. وينظر: البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات بن الأنباري، ج2، ص275.

³ - تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج7، ص253.

⁴ - ينظر: الكشف، الزَّمَخْشَرِيَّ، ج5، ص110.

⁵ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج21، ص179.

⁶ - ينظر: المحرَّر الوجيز، ابن عطية، ج5، ص353.

⁷ - ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج5، ص17.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

طلب التَّرك، ويُؤتى بعده بمفعولٍ معه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ [المزمل: 11] ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: 11] ... والواو واو المعية، وما بعدها مفعولٌ معه، ولا يصحُّ أن تكون الواو عاطفة؛ لأنَّ المقصود: اتركني معهم¹. وقمة البلاغة في معنى المعية هو معنى التَّحدي وإثبات القدرة لله سبحانه وتعالى.

11. الحال:

يُؤتى في الجملة الفعلية باسمِ فضلةٍ منصوبٍ يبيِّن هيئةَ الفاعل أو المفعول حالة حدوث الفعل، فيسمَّى هذا الاسم حالاً. كقولك: أتاني مسروراً، وتركته مسروراً. فإنَّ الاسم (مسروراً) يبيِّن هيئةَ الفاعل في الجملة الأولى، وهيئة المفعول في الجملة الأخرى. وحالة المعني هي السرور أثناء الفعلين: الإتيان والتَّرك. والتَّقدير: أتاني في هذه الحال، وتركته في هذه الحالة. وهذا التَّقدير الذي قدَّره النحاة، اتَّبِعهم فيه معربو القرآن العظيم²، وقدَّروا في الحال التَّقدير نفسه.

وقد أفاض النحاة وأسهبوا في الحديث عن الحال وعامله وأحكامه وأقسامه، وما ينبجّر عن ذلك من مسائل، وهذا شأن كثيرٍ من الأبواب الأخرى. إلا أننا لم نعقد هذا الباب، وغيره، لذلك فإنَّه مَبْنُوثٌ؛ وإنَّما نلوي في هذه الأبواب على ذكر الأغراض والمعاني والدلالات التي تتحصَّل من هذه الأبواب، وما يُفيدُه الإعراب فيها من معانٍ ودلالات.

فمن هنا؛ فإنَّ وظيفة الحال الأساسية هي أنَّها وَصَفٌ يبيِّن هيئةَ وحالة الفاعل أو المفعول أثناء حدوث الفعل. يقول ابن السَّراج: "والحال إنَّما هي هيئةُ الفاعل أو المفعول أو صفتُه في وقت ذلك الفعل المُخْبَر عنه"³. لذا فيُشترطُ في الحال أن يكونَ ما تدلُّ عليه -وهو صاحب الحال- دالاً

¹ - التَّحرير والتَّنوير، الطَّاهر بن عاشور، ج2، ص100.

² - ينظر: معاني القرآن، الأخفش، ج2، ص500. وينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزَّجاج، ج2، ص149. وينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج2، ص27. وينظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه، دار ومكتبة الهلال بيروت، لبنان، 1985، ص146.

³ - الأصول في النحو، ابن السَّراج، ج1، ص213.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

على الفاعلية أو المفعولية؛ فلا يجوز رجل قائماً أخوك، لعدم دلالة على الفاعلية أو المفعولية.¹ وهذا معنى آخر يُضاف إلى معاني الحال.

فقولهم: (اسم) هو أن يكون صريحاً، وهو الاسم الظاهر، أو مؤولاً كالجملة الواقعة حالاً. نحو: أتاني يضحك. وأمّا قولهم: (فضلة) فالمراد منه "ما ليس جزءاً من الكلام، لا ما يستغني الكلام عنه".² فلا يجوز إعراب الدال على الهيئة حالاً، إذا لم تستوفِ الجملة عناصرها الإسنادية الأساسية، "فخرج بالفضلة الخبر من نحو قولك: زيدٌ ضاحكٌ، فإنّ ضاحكاً وإن كان اسماً مبيّناً للهيئة فهو عمدة لا فضلة".³ ولهذا ارتفع على الخبرة ولم ينتصب على الحالية.

واشترط في الحال أن تكون صفته غير ملازمة لصاحب الحال؛ أي منتقلة غير دائمة. وفي هذا يقول ابن السراج عن صفة الحال: "ولا يجوز أن تكون تلك الصفة إلا صفةً مُتَّصَةً غير ملازمة ولا يجوز أن تكون خِلْقَةً".⁴ وهذا الفرق بين الحال وبين النعت؛ الذي يكون وصفاً دائماً. فقولك: رأيت رجلاً مسروراً، ورأيت رجلاً طويلاً: فالسرور صفة منتقلة غير دائمة في الرجل. فنُصِبَ لذلك على الحال، والطول خِلْقَةً صفةً دائمة غير منتقلة، فنُصِبَ على النعت. وهذا فرقٌ دلاليٌّ في معنى الوصفين.

إذن فالمعاني المحصّلة نهائياً هي أن الحال ما كان وصفاً لفاعل أو مفعول، أثناء حدث الفعل، ويكون منصوباً بعد تمام عناصر الجملة الأساسية، وكانت صفته منتقلة غير دائمة. وأمثلة هذا الباب في تفسير القرطبي كثيرة ومتشابهة في معظمهما، كغيرها من الأبواب. ننتخب ممّا جاء ما نمثّل به على المعاني الإعرابية للحال في تشكيل معنى الآية وتركيب دلالتها العامة.

يشترط النّحاة في الحال إذا كان جملة فعلية ماضوية، أن تُذكَر (قد) مع الفعل الماضي أو تُضمَر. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:24] في حديثه عن جهنّم، وهو كقوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء:90]. المعنى: كيف جاءوكم؟ قال

¹ - ينظر: شرح الرّضي على الكافية، ج2، ص8.

² - حاشية أبي النّجّا على شرح خالد الأزهرى على متن الآجرومية في علم العربية، دار إحياء الكتب العربية، مصر ص84.

³ - المصدر نفسه، ص84.

⁴ - الأصول في النحو، ابن السراج، ج1، ص213.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

القرطبي: "(أُعِدَّتْ): يجوز أن يكون حالاً للنار، على معنى (مُعَدَّة) وَأُضْمِرَتْ معه (قد)، كما قال: (أو جاءوكم حصرت صدورهم) فمعناه: قد حَصِرَتْ صدورهم، فمع (حصرت) (قد) مضمرة؛ لأن الماضي لا يكون حالاً إلا مع (قد)¹. فالمعنى: قد جاءوكم وقد ضاقت صدورهم، أو جاءوكم ضيقةً أو ضائقةً صدورهم.

و(قد) هي التي تحقق معنى الحالية مع الفعل الماضي. يقول الفراء: "والحال لا تكون إلا بإضمار (قد) أو بإظهارها، ومثله في كتاب الله: (أو جاءوكم حصرت صدورهم) يريد -والله أعلم-: جاءوكم قد حصرت صدورهم"². ويُستثنى من ذلك الفعل المنفي؛ لأن النفي لا يُؤكِّد³. وكذلك جاء عن الزجاج⁴. ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: 28]. فكيف للسؤال عن الحال، وقوله: (وكنتم أمواتاً): الواو للحال، و(قد) مضمرة، والتقدير: وقد كنتم أمواتاً⁵.

ومن هنا نلاحظ أن النحاة ومعربي القرآن، يُعربون الاسم الدال على الهيئة حالاً باعتبار المعنى، وتقدير المعنى يظهر في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: 29] فقد نقل القرطبي⁶ أنها حالٌ عند سيبويه، لكن بالنظر إلى المعنى والسياق قد يُعترض على هذا الإعراب.

فسيبويه حين قال: "هذا باب ما ينتصب أنه حال يقع في الأمر، وهو اسم؛ وذلك قولك: مررتُ بهم جميعاً"⁷. كان يقصد أحد معنيين من معاني (جميعاً)، فقد تقول: مررتُ بهم، وأنت

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص357.

² - معاني القرآن، الفراء، ج1، ص24.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص282.

⁴ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج2، ص89.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص107. وينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص206. وينظر: الجامع لأحكام

القرآن، القرطبي، ج1، ص373.

⁶ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص389.

⁷ - الكتاب، سيبويه، ج1، ص376.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

تقصد: مجتمعين، أو تقصد (كلهم) وقد يكونون مفرقين. فعلى معنى التقدير الأول هي حال، وعلى الآخر هي مفعول مطلق، وهذا ما فهمه السيرافي¹ عن سيبويه.

والتقدير الأقرب إلى سياق الآية أن الله خلق ما على الأرض جميعاً كلاً، ولو تفرّق. ففي كلّ عصر وما يستجدّ فيه هو خلق الله، وليست العبرة أن يخلق الله مخلوقاته مجتمعةً مع بعضها بعضاً في زمن واحد. ثم إنّ لفظة جميعاً تحمل معنى التوكيد، والتوكيد من معاني المفعول المطلق. فتكون بذلك (جميعاً) مفعولاً مطلقاً لا حالاً. والله أعلم.

على عكس قوله تعالى: ﴿قُلْنَا أَهْبُطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة:38]. قال القرطبي: "جميعاً: نُصب على الحال"². فإنّ هذا يجوز حالاً؛ لأنّ معناه: مجتمعين، فنزولهم يكون حال أمرهم بذلك ولا يتأخّر منهم أحد. فلمّا حملت لفظة (جميعاً) هذا المعنى، جاز أن تكون منصوبة على الحال. وكما سبق، قدّر النحاة ومعربو القرآن في الحال قولهم: (هذه الحال) اعتباراً للمعنى، نحو قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا أَهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة:36]. المعنى عند القرطبي: اهبطوا وحالكم لبعضٍ عدوّ، فالجملة "في موضع نصب على الحال، والتقدير: وهذه حالكم، وحُذِفَت الواو من (وبعضكم)؛ لأنّ في الكلام عائداً، كما يقال: رأيتك السماء تمطر عليك"³، والتقدير: رأيتك والسماء تمطر عليك.

وكذلك نقل القرطبي عن الزجاج هذا التقدير في قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مَلَكٌ بَرَّهَمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة:135]. قال القرطبي: "حنيفاً: مائلاً عن الأديان المكروهة، إلى الحقّ دين إبراهيم، وهو في موضع نصب على الحال، قاله الزجاج⁴؛ أي: بل نتبع ملّة إبراهيم في هذه الحالة"⁵. فالحال هنا يفيد نوعاً من الشرط في الاتباع، ويبين هيئة الدين المتبوع.

¹ - شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي، تح: أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1429هـ/2008م، ج2، ص263.

² - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص486.

³ - المصدر نفسه، ج1، ص475.

⁴ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج1، ص213.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص414.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَكَتَمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾ [البقرة:42]. فجملة

(وأنتم تعلمون) تكون حالاً؛ أي: أن محمداً -عليه السلام- حق، فكفرهم به كان كُفْرَ عِنادٍ، ولم يشهد -تعالى- لهم بعلمٍ، وإنما نهاهم عن كتمان ما علموا¹. فهو إنكارٌ لهم، ومحلُّ الإنكارِ أنهم كفروا عن علمٍ لا عن جهلٍ، ودليله الجملةُ الحالية، التي تفيد أنهم واقعوا فعل الكفر في حالة علمهم أنه النبيُّ الحقُّ. "ودلَّ هذا على تغليظ الذنب على من واقعته على علمٍ، وأنه أعصى من الجاهل"². وهذا المعنى لا يُحقِّقه إلا إعرابُ الجملة (وأنتم تعلمون) حالاً.

ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:112]. جملة (وهو محسن) "في موضع الحال"³. فالمعنى: استسلم وخضع وأخلص عمله، لله وحده لا لغيره، وهو محسنٌ؛ أي: في حالة إحسان، نال جواب الشرط؛ وهو: الأجر عند الله، والأمن حيث لا خوف ولا حزن. فلا إسلام دون إحسان، ولا أجر ولا أمن دونهما.

وآخر مثال نسوقه على الحال، ودوره في تحديد معالم تفسير الآية، اختلاف المفسرين في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة:273]. ذكر القرطبي⁴ اختلاف العلماء في حكم السؤال، فقال قوم منهم الطبري⁵ والزجاج⁶: إنَّ المعنى لا يسألون النَّاسَ البتَّةَ، وهذا على أنَّهم متعفِّون عن المسألة عفة تامَّة. وقال آخرون: إنَّ المراد نفي الإلحاف؛ أي: أنَّهم يسألون غير الإلحاف.

ونحن إذا احتكنا إلى الإعراب، نرى أنَّ (الإلحاف) مصدرٌ انتصب على الحال، والتقدير: ملحقين، فنفي الفعل لم يكن نفياً عاماً، وإنما نفياً خاصاً بحالة دون سواها، وكأنَّ التقدير: لا تسألوا النَّاسَ في حالة الإلحاف والإلحاح. من هنا فإنَّ الرأي الثاني أولى بالترجيح، ويتنزَّل الحكم على

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص22.

² - المصدر نفسه، ج2، ص22. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص136.

³ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص319.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص375.

⁵ - ينظر: تفسير الطبري، ج5، ص30.

⁶ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج1، ص357.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

الآية بأن الإكراه والنهي كان عن الإلحاف في المسألة والإلحاح، ولا ضير في المسألة بالمعروف. وهكذا الأمر في مواضع أخر من مواضع الحال.

12. التمييز:

تحدثنا في أول هذا الفصل عن علاقة المعنى بحيثيات وضع المصطلح النحوي، وأن المصطلح يحوي في معناه ما يدل عليه في مضمونه. فمصطلح التمييز يدل على إزالة غامض أو مبهم ما. فكان التمييز من وظائفه تفسير مبهم، أو بيان غامض، أو تمييز ما اختلط وتشعب. فيأتي التمييز ليبين المقصود المميز؛ وذلك أن تقول: ملأت الكأس. فيتساءل السامع: بأي سائل من السوائل ملأتها. فتزيل عنه الغموض، وتميز الماء عن غيره من السوائل فتقول: ملأت الكأس ماءً، فينتصب ماءً على التمييز.

فالجملة إذن الدالة على المبهم الذي يحتاج تمييزاً، "تامة من ناحية التركيب النحوي ولكنها غامضة من ناحية المعنى"¹. يقول الفراء: "كما أنك إذا قلت عندي عشرون، فقد أخبرت عن عدد مجهول، ثم خبره، وجُهل جنسه، وبقي تفسيره، فصار هذا مفسراً عنه؛ فلذلك نُصب"² أي أن التمييز فضلة، تتم الجملة دونه نحويًا، وتبقى ناقصة من حيث المعنى.

فالتمييز يزيل ما انبهم؛ يقول سيبويه: "إذا قلت: لي مثله، فقد أبهمت، كما أنك إذا قلت: لي عشرون، فقد أبهمت الأنواع، فإذا قلت: درهمًا، فقد اختصت نوعاً"³. وتحدث ابن جني عن معنى التمييز بقوله: "ومعنى التمييز: تخليص الأجناس بعضها من بعض"⁴. وقال ابن يعيش شارحاً معنى التمييز: "وذلك نحو أن تُخبر بخبر، أو تذكر لفظاً يحتمل وجوهاً، فيتردد المخاطب فيها، فتنبهه على المراد بالنص، على أحد محتملاته، تبييناً للغرض؛ ولذلك سمي تمييزاً وتفسيراً"⁵.

¹ - الإعراب والمعنى في القرآن الكريم، محمد أحمد خضير، ص 57.

² - معاني القرآن، الفراء، ج 1، ص 226.

³ - الكتاب، سيبويه، ج 2، ص 172.

⁴ - اللّمع في العربية، ابن جني، ص 55.

⁵ - شرح المفصل، ابن يعيش، ج 2، ص 70.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

فالتَّمييز إذن اسم منصوبٌ نكرةٌ فضلةٌ مفسَّرٌ، مقدَّرٌ بالحرف (من)؛ "لأنَّها لبيان الجنس فأتيتُ بها لذلك، وحُذِفَت تخفيفاً، وهي مرادة"¹. يقول سيبويه في قولنا: لي مثله عبداً: لي مثله من العبيد، وحُذِفَت للتخفيف². وكذلك فسَّرَ معربو القرآن، وقدَّروا مع كلِّ تمييز (من). فنُصِبَ لحذف حرف الجر (من)³، أو نُصِبَ لأنَّه لا رافع له ولا خافض، فأعطِيَ النَّصْبُ لأنَّه أخفُّ الحركات⁴. وجاء نكرةٌ؛ لأنَّ بها يتمُّ التَّمييز، وفضلةٌ لأنَّها ليست من عُمَد الكلام.

ومن أمثلة التَّمييز عند القرطبي؛ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 85]. قال القرطبي: "دينًا: منصوب على التفسير"⁵. والمعنى: أن في الآية شرطاً، فقد ذكر للفعل جزاءً؛ فمن ابتغى وأراد غير الإسلام ديناً له فلا يُقبل منه ذلك. ففي قوله: (من يبتغ غير الإسلام) غموضاً، قد لا يفهمه ولا يستبينه المخاطب: كيف يُبتغى غير الإسلام؟ فيؤتى بالتَّمييز مفسِّراً لطريقة اتِّخاذ غير الإسلام، بأنَّه اتَّخَذَهُ ديناً من غير الإسلام، فلا يُقبل من الأديان إلا الإسلام، وهذا محصل معنى الآية.

ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ [آل عمران: 91]. فالملء مقدار ما يملأ الشيء، وانتصب (ذهبا) على التفسير⁶. قال الفراء: "نصبت الذهب لأنَّه مفسَّرٌ، لا يأتي مثله إلا نكرة ... وإنَّما يُنصب على خروجه من المقدار الذي قد تراه ذكر قبله مثل ملء الأرض ... وملء الأرض مقدار معروف، فانصب ما أتاكَ على هذا المثال ما أُضِيفَ إلى شيء له قَدْرٌ"⁷. فكلام الفراء في هذا الشَّأن واضح، فالتَّمييز هنا منصوب لبيانه وتفسيره لمقدار معيَّن سبقه.

¹ - شرح المفصل، ابن يعيش، ج2، ص70.

² - ينظر: الكتاب، سيبويه، ج2، ص172.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص198. وينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ج3، ص306.

⁴ - ينظر: تفسير الفخر الرازي، ج8، ص144.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص194. وينظر: مشكل إعراب القرآن، القيسي، ج1، ص150.

⁶ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص198.

⁷ - معاني القرآن، الفراء، ج1، ص225، 226.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

وهذا نفسه ما قصده القرطبي حين نقل عن المفضل قوله: "شرط التفسير أن يكون الكلام تاماً وهو مبهم؛ كقولك: عندي عشرون، فالعدد معلوم، والمعدود مبهم، فإذا قلت: درهماً، فسرت¹. فالكلام وإن كان تاماً من حيث اللغة والنحو، فإنه مبهم من حيث المعنى، حتى يجيء التمييز ليفسر مبهمه، ويبين غامضه. وهذا ما يستنتج من قوله: ملء الأرض، فالجملة تمت، وغمضت معرفة المملوء به الأرض، فقال: ذهباً؛ تفسيراً وبياناً.

ومما انتصب أيضاً على التمييز؛ لأنه مفسر لما كان مبهماً واحتاج تفسيراً؛ قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَأْوَهُم جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 97]. انتصب (مصييراً) على التمييز²، تفسيراً لطبيعة سوء جهنم، وإنما ساءت إذ كانت مصييراً ومأوى لهم. وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [النساء: 125]. انتصب (دينًا) على التمييز³، بياناً لصيغة التفضيل (أحسن). وانتصب (دينًا) في قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3] على التمييز ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً⁴، بحسب تقدير المعنى. وهلمَّ جرّاً مع ما أعقب هذا من أمثلة التمييز.

13. الاستثناء/ المستثنى:

من خصائص تركيب الجملة العربية أن المتكلم قد يوقع الفعل على مفعول معين، ثم يظهر له أن يستثني مخصوصاً من وقوع الفعل، فيأتي بأداة تدل على الاستثناء، ثم يذكر المستثنى بعدها اسماً منصوباً، ليدل به على معنى الاستثناء؛ أي خروج المستثنى من حكم المستثنى منه؛ وذلك قولك: حضر الطلبة إلا زيداً، فإنك حين ذكرت الفعل (حضر) وأسندته إلى الطلبة، ارتأى لك أن زيداً لم يشملته الفعل، ولم يقع منه الحضور، فتستثنيه وتخرجه من حكم الفعل، فتأتي بأداة الاستثناء (إلا) ثم تذكر المستثنى منه (زيداً) بعدها منصوباً على الاستثناء.

¹ - تفسير الفخر الرازي، ج8، ص144. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص198.

² - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج7، ص64.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ج7، ص155.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ج7، ص295.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

وهذا هو المعنى العام لباب المستثنى، على أن فيه أحكاماً نحوية كثيرة، بسط فيها القول النحاة قديماً وحديثاً، وهي مبثوثة في بطون أسفارهم، فلا نعيد القول فيه تكراراً. لنستعيض عن ذكر أحكامه إلى ذكر معانيه التي تُستجلى منه في سياق الآيات القرآنية، في المواضع التي أثبتتها القرطبي في تفسيره. فمن حيث المعنى: قد لا يكون كل ما أُدرج في باب الاستثناء يحمل معنى الاستثناء. وإنما ألحق به تجوّزاً. فالاستثناء عند النحاة "مفهومٌ يندرج تحته ما يُعدُّ في التحليل النحوي مستثنى أو غير مستثنى"¹. فالمستثنى لا يكون إلا اسماً منصوباً؛ "لأنّه مُخرَجٌ ممّا أدخلت فيه غيره"².

وبيّن سيبويه الفرق بين المستثنى وغير المستثنى بضربه للمثال: (أتاني القومُ إلا أباك). انتصب الأب لأنه ليس داخلاً فيما دخل فيه ما قبله، لذا فلا يجوز رفعه إذا كنت تقصد الاستثناء. فأما الرفع فيكون في قولك: ما أتاني إلا أبوك، فيرتفع على البديل، "فالمُبدلُ إنّما يجيءُ أبداً كأنّه لم يُذكرَ قبله شيء؛ لأنّك تُخلي له الفعل، وتجعله مكان الأول، فإذا قلت: ما أتاني القومُ إلا أبوك فيرتفع على البديل"³.

فهذا لا يندرج ضمن الاستثناء، و(إلا) هنا دخلت لمعنى مختلف غير الاستثناء، فهي دخلت على الاسم ولم تغير فيه شيئاً، فقولك: ما أتاني إلا زيدٌ، وما رأيتُ إلا زيداً، وما مررتُ إلا بزيدٍ، فالأسماء نفسها بقيت على حالها كما لو قلنا: أتاني زيدٌ، ورأيتُ زيداً، ومررتُ بزيدٍ، ولكنك أدخلت (إلا) لتوجب الأفعال لهذه الأسماء، ولتتفّي ما سواها، فصارت هذه الأسماء مستثناة بالمعنى اللغوي لا بالمعنى النحوي"⁴. فيكون حكم هذه الأسماء كحكمها قبل أن تدخلها (إلا).

لذا فما ذكره النحاة في باب الاستثناء، بعضه من الاستثناء الحقيقي، أو (الاستثناء بالمعنى النحوي) - كما يسميه محمد حماسة عبد اللطيف - وبعضه الآخر من باب التجوّز أو الاستثناء المجازي، أو ما يسمى (بالاستثناء بالمعنى اللغوي). ولا يكون المستثنى مستثنى إلا إذا انتصب الاسم بعد (إلا) أو ما في معناها من الأسماء والأفعال، وكان مُخرِجاً ممّا دخل فيه ما قبله. وما

¹ - بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، ص169.

² - الكتاب، سيبويه، ج2، ص330.

³ - المصدر نفسه، ج2، ص331.

⁴ - بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، ص171.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

حمل من الأسماء معنى الاستثناء تشبيهاً بإلا فغير، وسوى، ومن الأفعال فليس، وعدا وخلا، ولا يكون. ولا يأتي المستثنى إلا بعد كلام تام، أي بعد ذكر المستثنى منه، لهذا فالمستثنى فضلة.

والمستثنى في إعرابه على خمسة أضرب¹: الضرب الأول منصوبٌ أبداً على ثلاثة أوجه: ما استثنى من كلامٍ موجب (غير منفي)؛ نحو: جاءني القوم إلا زيداً. وبعداً وخلا بعد كلِّ كلامٍ مثل: جاءني القوم أو ما جاءني عدا زيداً وخلا زيداً وما عدا زيداً وما خلا زيداً وليس زيداً ولا يكون زيداً. وما قُدِّم من المستثنى كقولك: ما جاءني إلا أخاك أحدٌ. وما كان استثناءً منقطعاً. كقولك: ما جاءني أحدٌ إلا حماراً.

والضرب الثاني: جائزٌ فيه النَّصب والبدل؛ وهو المستثنى من كلامٍ تامٍّ غير موجب كقولك: ما جاءني أحدٌ إلا زيداً وإلا زيداً. والثالث: مجرورٌ أبداً؛ وهو ما استثنى بغير وحاشا وسوى وسواء. والرابع: جائزٌ فيه الرَّفع والجر؛ وهو ما استثنى بلا سيما. والآخر: ما جرى في إعرابه على حاله قبل دخول أداة الاستثناء عليه؛ أي يُعرب بحسب موقعه في الجملة؛ نحو: ما جاءني إلا زيدٌ، وما رأيتُ إلا زيداً، وما مررتُ إلا بزيدٍ. وحاصل القول بأنَّ المستثنى في إعرابه ثلاثة أوجه: إمّا بالنَّصب على الاستثناء، وإمّا على البدل من المستثنى منه، وإمّا بحسب موقعه الإعرابي من الجملة.

ففي قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ﴾ [هود:81]. قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي وابن عامر بالنَّصب (إلا امرأتك)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (إلا امرأتك) بالرفع². وكلَّ قراءة تحتكم إلى معنى. واختار القرطبي النَّصب فقال: "وهي القراءة الواضحة البيّنة المعنى؛ أي: فأسر بأهلك إلا امرأتك ... فهو استثناء من الأهل، وعلى هذا لم يخرج بها معه"³. واستدلَّ بقوله تعالى: ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الأعراف:83] أي: من الباقيين. فالتَّصب على الاستثناء معناه: استثناء المرأة من الخروج، فلو ط - عليه السَّلام - سرى

¹ - المفصل في علم العربية، أبو القاسم الزمخشري، ص67 وما بعدها.

² - الحجة للقرء السبعة، أبو علي الفارسي، ج4، ص370.

³ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج11، ص184.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

بأهله ليلا ما عدا امرأته، لم تخرج، وكانت من الباقيين. وأمّا قراءة الرفع: (إلا امرأتك) فعلى البدل من (أحد)؛ أي: لا يلتفت أحدٌ منكم إلا امرأتك.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:4]. بعد أن ذكر الله تعالى براءته من المشركين، استثنى الذين عاهدوا. وبالنظر إلى هذا المعنى يكون الاستثناء متصلاً. ويجوز أن يكون منقطعاً. فيكون متصلاً على معنى: "أن الله بريء من المشركين إلا المعاهدين في مدة عهدهم"¹. أي: أن الله بريء من المشركين ما عدا المعاهدين. قال الزجاج: "وقعت البراءة من المعاهدين الناقضين للعهد ... أي ليسوا داخلين في البراءة ما لم ينقضوا العهد"².

ويكون الاستثناء منقطعاً على معنى: "أن الله بريء منهم، ولكن الذين عاهدتم، فنبئوا على العهد، فأتّموا إليهم عهدهم"³. لأن (إلا) في الاستثناء المنقطع تكون بمعنى (لكن)⁴. وذلك لأجل المعنى وليس للوظيفة النحوية، فلكن لا تأتي مكان إلا؛ وهذا ما أشار إليه الفراء بقوله: "إن (إلا) بمنزلة (لكن)، وذلك منهم تفسير للمعنى، فأما أن تصلح (إلا) مكان (لكن) فلا"⁵. قال الزمخشري في هذه الآية: "والاستثناء بمعنى الاستدراك، وكأنه قيل: ... ولكن الذين لم ينعكثوا فأتّموا عليهم عهدهم"⁶. والزجاج في الوجهين أنه استثناء منقطع لا متصل، بالرجوع إلى معنى الآية، وبالرجوع إلى الإعراب، لو كان الاستثناء متصلاً؛ "لأدى إلى الفصل بين المستثنى والمستثنى منه بجمل كثيرة"⁷. لأنه مستثنى من (المشركين) في أول السورة.

وقد يحتكم الحكم الإعرابي إلى عدة قرائن كالمعنى والسياق والنصوص الشرعية، فيوجه الإعراب بحسبها، ويظهر هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج10، ص107.

² - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج2، ص430.

³ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج10، ص107.

⁴ - ينظر: الكتاب، سيبويه، ج2، ص325.

⁵ - معاني القرآن، الفراء، ج3، ص259.

⁶ - الكشاف، الزمخشري، ج3، ص12.

⁷ - الدر المصون، السمين الحلبي، ج6، ص10.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

[البقرة:34]. اختلفوا هل هو استثناء متصل أم منقطع¹؛ وممكن الخلاف راجع إلى تصنيف إبليس. فبعض العلماء يرى أن إبليس كان من الملائكة، فيكون الاستثناء متصلاً؛ لأنَّ المستثنى من جنس المستثنى منه. وبعض العلماء يرى أن إبليس من الجن، وليس من الملائكة؛ فيكون الاستثناء إذن منقطعاً؛ لأنَّه استثناء من غير جنسه. ومثل هذا الترجيح ورد في مواضع عدّة عند القرطبي² يحتكم فيها إلى المعنى وقرائن أخرى، ليرجح بين الاستثناء: أمتصل هو أم منقطع.

ومن أدلة احتكام القرطبي إلى المعنى، أنّه يشترط في المستثنى أن يأتي بعد تمام الكلام لأنَّه فضلة. وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة:26]. منع القرطبي أن ينتصب (الفاسيقين) على الاستثناء؛ "لأنَّ الاستثناء لا يكون إلا بعد تمام الكلام"³. وهذا ما ذهب إليه النحاس⁴. وهذا التوجيه باعتبار المعنى؛ فالاستثناء هو إخراج، تُخرج مُخرجاً مما ادخلت فيه غيره، فلا يُعقل أن تستثني من العدم.

ومعنى الإخراج في الاستثناء يقتضي أن يكون المستثنى جزءاً من المستثنى منه، وفرداً من أفرادهِ؛ وهو ما يسمّى بالاستثناء المتصل. وهذا ما انتبه إليه القرطبي وغيره، فأول ما جاء المستثنى منه على لفظ المفرد، على أنّه يفيد الجمع. منه قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا [العصر:1-3]. قال القرطبي: "إلا الذين آمنوا: استثناء من الإنسان؛ إذ هو بمعنى (الناس) على الصحيح"⁵. فلفظ (الإنسان) يستغرق الذين آمنوا والذين لم يؤمنوا، لكنّه استثنى منه الذين آمنوا، إذن فالمستثنى هنا جزء من المستثنى منه. ومثله ما قاله النحاس في قوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝٦٦ إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:26-27].

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص438، 439. وينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج1 ص113، 114.

² - ينظر مثلاً: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج9، ص285. وج13، ص517.

³ - المصدر نفسه، ج1، ص368.

⁴ - ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص205 و ص211.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج22، ص466.

الباب التطبيقيّ ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابيّة في الجملة الفعلية

قال النحاس: "إلا من ارتضى من رسول: في موضع نصب على الاستثناء من أحد؛ لأنّ أحدا بمعنى جماعة"¹، فأحد تستغرق جميع ما ينطبق عليه الوصف (أحد).

وقد يحتكم القرطبيّ إلى اللفظ والنحو ليوّجه المعنى أو يختاره، فيردّ المعنى إلى القاعدة. وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء:66]. قرئت (قليلًا) بالنصب أيضا². قال القرطبي: "قليلٌ: بدل من الواو [في فعلوه]، والتقدير: ما فعله أحدٌ إلا قليلٌ"³. ومن قرأ بالنصب فأعربه مستثنى على تقدير فعل مضمر؛ أي: إلا أن يكون قليلا منهم. والرفع عند القرطبيّ أجود؛ "لأنّ اللفظ أولى من المعنى، وهو أيضا يشتمل على المعنى"⁴. فالمذكور أولى من المضمر.

فلم يحتكم القرطبيّ هنا إلى المعنى، وإنّما حصّله من القياس النحوي؛ لأنّها مثل قولهم: ما أتاني أحدٌ إلا زيدٌ، قال أبو عليّ الفارسي: "وهو الأكثر الأشيع في الاستعمال والأقيس"⁵، وقال النحاس: "والرفع أجود عند جميع النحويين"⁶. نستشفّ من هذا أنّ القرطبي كان يردّ الإعراب إلى المعنى تارة، ويردّ المعنى إلى الإعراب تارة أخرى، بحسب السياق والقرائن الملازمة للشاهد.

14. النداء/ المنادى:

النداء هو الدّعاء، وهو اسم منصوب كأنّه مفعول به لفعل وجب إضماره. قال ابن السّراج: "الحروفُ التي يُنادى بها خمسة: يا، وأيّاً، وهياً، وأيّ، والألف⁷، وهذه يُنبّه بها المدعو"⁸. والمنادى عرّفه سيبويه بقوله: "اعلم أنّ النداء كلّ اسمٍ مضاف فيه فهو نصّبٌ على إضمار الفعل المتروك

¹ - إعراب القرآن، النحاس، ج5، ص54.

² - ينظر: الحجة للقراء السبعة، أبو عليّ الفارسي، ج3، ص168.

³ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج6، ص446.

⁴ - المصدر نفسه، ج6، ص446.

⁵ - الحجة للقراء السبعة، أبو عليّ الفارسي، ج3، ص168.

⁶ - إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص468.

⁷ - يقصد الهمزة.

⁸ - الأصول في النحو، ابن السراج، ج1، ص329.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

إظهاره¹. فالمنادى اسم منصوب أو في محل نصب بفعل مضمر وجوباً تقديره (أدعو أو أنادي أو أريد أو أعني).

قال السيرافي في علّة الفعل المضمر: "ولكن ذلك على جهة التمثيل والتّقريب؛ لأنّهم أجمعوا أنّ النداء ليس بخبر"². وأضمرُوا الفعل لأسبابٍ؛ منها³: الاستغناء بظهور معناه في الجملة عن ذكره. وقصدُ الإنشاء؛ لأنّ ذكر الفعل ينقل الجملة من الإنشاء إلى الإخبار. وكثرة الاستعمال فقد شاع في كلام العرب النداء دون الفعل. ثمّ لتعويضه بالياء؛ فالياء دالةٌ عليه، ونائبة عنه.

ولأنّ الفعل المضمر يظهر تأثيره في جملة النداء، جعل ذلك البصريين يعدّون المنادى من المفعولات⁴. فالمنادى يشبه المفعول به الذي حُذِف فعله. إلا أنّهم وضعوا فرقاً دقيقاً -فلسفياً إن صحّ التعبير- بين المنادى وغيره. فقال السيرافي: "باب النداء مخالفٌ لغيره من الألفاظ، وذلك لأنّ الألفاظ في الأغلب إنّما هي عبارات عن أشياء غيرها من الأعمال، أو أشياء غيرها من الألفاظ... ولفظ النداء لا يُعبّر به عن شيءٍ آخر، وإنّما هو لفظٌ مجراه مجرى عملٍ يعملُه عامل"⁵.

ونشرح هذا القول بعبارة ابن يعيش: "والنداء ليس بإخبار، وإنّما هو نفس التّصويت بالمنادى ثمّ يقع الإخبار عنه فيما بعد"⁶. فالألفاظ غير المنادى تحمل معاني الأفعال والأحداث؛ أي: أنّها تفيد خبراً من الأخبار. وأمّا المنادى فهو النداء نفسه، لا يحمل خبراً في ذاته، فأنت لا تخبر عمّا تريده إلى بعد صيغة النداء.

والأسماء المناداة عند النّحاة على ثلاثة أضرب⁷: مفردٌ، ومضافٌ، ومشبّهٌ للمضاف. فالمفرد معرفةٌ ونكرة؛ نحو: يا زيدُ ويا رجلاً. والمضاف نحو: يا عبدَ الله. والمشبّه بالمضاف، وهو ما كان عاملاً فيما بعده نصباً أو رفعاً، نحو: يا ضارباً زيداً، ويا حسناً وجهه. واختلف النّحاة في نصبها وفي بنائها للضمّ، وغير ذلك ممّا هو معروف في باب النداء من أحكام نحويّة.

¹ - الكتاب، سيبويه، ج2، ص182.

² - نقلاً عن: المصدر نفسه، ج2، ص182.

³ - ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، ج2، ص25.

⁴ - ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، ج1، ص127.

⁵ - نقلاً عن: الكتاب، سيبويه، ج2، ص182.

⁶ - شرح المفصل، ابن يعيش، ج1، ص127.

⁷ - ينظر: اللّمع في العربيّة، ابن جنّي، ص79، 80.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

وإذا أمعنا النظر في صيغة النداء، من جانب تحليل معناه لا من جانب القاعدة النحوية فنستشف أنه يحمل معنى الطلب، والتنبيه، والتخصيص. فمعنى الطلب يظهر في تقدير النّحة الفعل (أدعو أو أريد) مكان حروف النداء. فقولك: يا زيد، معناه: أدعو زيداً. والفعل (أدعو) يحمل معنى الطلب؛ فأنت تدعوه لأنك تطلبه، وإذا طلبته دعوته.

ويحمل النداء معنى التنبيه؛ لأنّ المنادى كان قبل النداء غافلاً عن طلبك، وجاهلاً لغرضك أو بعيداً عنك، فتدعوه منادياً إياه فينتبه. ومن تدعوه وتتاديه فإنك تخصّه، وتختصّه من بين غيره بندائك؛ لأنهم قدّروا الفعل (أعني) وهو دال على التخصيص؛ وهذا هو المعنى الثالث من معاني النداء. على أنّ المعاني الإعرابية الأخرى تُستشف من خلال سياقات النداء المختلفة؛ كالاستغاثة والندبة والتّحسر والندم والتّمني والدّعاء والشّكوى وغيرها. وتستشف أيضاً من خلال فهم العلاقة بين المنادي والمنادى.

ومن خصائص الجملة الندائية في القرآن العظيم، أنها تتمتع بحرية الموقع في الخطاب القرآني، فتأتي في صدر الآية، وفي وسطها، وتأتي في آخرها، "وهذه الحرية الموقعية داخل النصّ القرآني هي التي أضفت عليها القدرة لتتحمل عدّة وظائف نحوية داخل التركيب الذي كانت عنصراً من عناصره"¹، فيشارك النداء عناصر الجملة في تشكيل بنية المعنى الذي جاء يؤدّيه التركيب المحتوي عليه النداء.

من هذا الذي سبق، نستنتج أنّ للنداء أغراضاً أساسية أو نسميها ثابتة وهي المتعلقة بصيغة النداء نفسها؛ وهي التنبيه والطلب والتخصيص. ومعانٍ متغيرة تعرض لجملة النداء حين دخولها على جملة أو دخول جملة عليها. فتكون أغراضه ودلالاته بحسب تدلّ عليه الجملة المحتوية على صيغة النداء. فقولك: (يا غافلاً عن أخراك، دنياك فانية) فصيغة النداء (يا غافلاً) دعاء ونداء له لكي ينتبه إلى ما تريده منه، خاصاً إياه دون غيره. وغرض النداء داخل الجملة هو النصّح والإرشاد والوعظ. وهلمّ جرّاً.

¹ - النداء في القرآن الكريم، مبارك تريكي، أطروحة دكتوراه، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2007/2006، ص250.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21]. فيا: حرف نداء، أي: منادى مفرد مبني على الضم؛ لأنه منادى في اللفظ وها: للتنبيه، والناس: صفة¹. والغرض من هذا النداء هو ما جاء بعده من أمر بعبادة من استحق المعبودية لأنه الخالق، ولعلمهم بعبادتهم له يكونون من المتقين.

وقوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 40]. يا بني إسرائيل: نداء مضاف²، معناه الإعرابي وغرضه: التذكير وإقامة الحجة عليهم، والذكر ضد النسيان، وضد الجود والكران، وذكر النعمة شكرها، فكأنه قال: أناذكركم وأخصكم بطلبي أن تذكروا ما أنعمت عليكم، وأن تشكروا ولا تغفلوا، وليكن إنعامي عليكم باعثاً لكم على عدم الإشراك وعصيان أوامري.

وقوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 132]. يا بني: نداء مضاف³، وهو نداء يحمل معاني الخوف عليهم والنصح لهم، فهو تنبيه لهم من غفلتهم، وشدة الطلب والتوكيد ظاهرة في (إِنَّ) المشددة. فأعطاهم الخبر: (اصطفى لكم الدين)؛ أي: اختاره لكم. ثم ذكر المطلوب منهم: (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)؛ أي: احرصوا أن لا يأتاكم الموت إلا وأنتم بهذا الدين متمسكون مسلمون. وقد قرّبهم إليه فناداهم بيا المتكلم أو ياء النفس كما سماها النحاس⁴.

ومن معاني النداء قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ [الأعراف: 23]. ربنا: منادى مضاف، والتقدير: يا ربنا. قال القرطبي: "وقيل: إن في حذف (يا) معنى التعظيم، فاعترفا بالخطيئة وتاباً"⁵. وقال مكّي: "وذلك أن النداء فيه ضرب من معنى الأمر؛ لأنك إذا قلت: يا زيد فمعناه: تعال يا زيد، أدعوك يا زيد، فحذفت (يا) من نداء الرب ليزول معنى الأمر وينقص؛ لأن

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص340.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص5.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص410.

⁴ - ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص264.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج9، ص181. وينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج2، ص119.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

(يا) توكّده وتُظهر معناه¹. فحدّثا الياء في ندائهما لربهما - عزّ وجل - إجلالا وتعظيمًا وتنزيهاً له. فهو نداء لا على سبيل التنبيه والأمر، إنّما هو دعاءٌ وتذلُّلٌ بين يديه - سبحانه وتعالى -.

وهذه الأمثلة سبق فيها النداء، وكان في صدر الكلام أو الجملة؛ للتنبيه إلى ما سيأتي بعده ليرعوه انتباههم، ويفتحوا له قلوبهم وأسماعهم. وقد يتوسّط النداء الجملة؛ كقوله تعالى: ﴿هَآأَنَتُمْ هَآؤَلَاءَ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ [آل عمران: 66] فهو خطابٌ يقوم على التنبيه في معناه، فأشار إليهم بضمير الخطاب المسبوق بهاء التنبيه (ها أنتم) ثم كرّر التنبيه بهاء ثانية مرتبطة بالماندى (هؤلاء)، "وهؤلاء ها هنا في موضع النداء، يعني: يا هؤلاء"². والنداء في أصله يفيد التنبيه أيضا. ولكلّ هذا معانٍ وأغراض بلاغية: تضعهم أمام ما اقترفوه من مجادلته بما يجهلونه.

وقد يتكرّر النداء لغرض التوكيد، ولا يجوز عند سيبويه³ أن يكون الثاني وصفا للمنادى لأنّ النداء صوت، والصوت لا يوصف. بل كلاهما نداء، ويقدر في الثاني الياء. وورد ذلك في مثله قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ [آل عمران: 26] و﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر: 46]⁴ و﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 110]⁵ و﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا﴾ [المائدة: 114]⁶. فنقدّر الياء في الندائين، فقوله: (اللهم مالك) نداءان، وكذلك: (اللهم فاطر)، و(يا عيسى بن مريم)، و(اللهم ربنا). تكرر النداء لتوكيد ما دخل عليه من معنى، وليزيد في مستوى التنبيه وشدّته.

¹ - مشكل إعراب القرآن، مكي القيسي، ج1، ص308.

² - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص165.

³ - ينظر: الكتاب، سيبويه، ج2، ص196.

⁴ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص84. وينظر: ج18، ص290.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه، ج8، ص281.

⁶ - ينظر: المصدر نفسه، ج8، ص288.

الباب التطبيقي ----- الفصل الثاني ----- المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

وقد تخرج صيغة النداء عن غرض النداء، إلى معنى آخر، فتكون صيغة النداء لفظاً، لكن في المعنى تدلّ على معنى غير معنى النداء. مثل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتَنَّا﴾ [الأنعام: 31]. قال القرطبي: "وقع النداء على الحسرة، وليس بمنادى في الحقيقة، ولكنه يدلّ على كثرة الحسرة"¹. فغرض النداء هنا التّكثير، وهو عند سيبويه² كأنّه قال: "يا حسرتنا تعالى فهذا وقتك"، وكذلك ما لا يصحّ نداؤه يجري هذا المجرى"³ فهذا أبلغ من قولك: تحسّرت.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج8، ص357، 358.

² - ينظر: الكتاب، سيبويه، ج2، ص217.

³ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج8، ص358.

الفصل الثالث

المعاني الإعرابية للحروف

وما جرى مجراها

1- المعنى النحوي للحرف.

2- العطف وحروفه.

3- الجر وحروفه.

4- نزع الخافض.

5- الضمير العائد.

6- الشرط.

7- الاستفهام.

8- الاستئناف.

9- لن.

10- حيث.

11- ألا.

12- أل التعريف.

1. المعنى النحوي للحرف:

أجمع جمهور النحاة الأوائل أنّ الكلم: اسمٌ وفعل وحرف. واشتُهر أنّ الحرف هو ما له معنى في غيره لا في نفسه. لكننا نرى أنّه يملك من هذا المعنى أحقيّة توجيهه؛ فإنّه بتغيّر الحروف يتغيّر المعنى. لهذا فإنّ لهذه الحروف دورا كبيرا في تشكيل المعاني وتوجيهها. ولا ينبغي بحال من الأحوال تجريدُ هذه الحروف من المعنى؛ لذا قال سيبويه: "فالكلم اسمٌ وفعلٌ، وحرفٌ جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل"¹. ثمّ مثّل لها ب (ثمّ، وسوف، وواو القسم، ولام الإضافة وغيرها).

وقال المبرد: "فالكلام كلّ اسمٌ وفعل وحرفٌ جاء لمعنى"². ومن هنا جاءت تقسيمات اللغويين للحروف بأنّها قسمان: حروف مبانٍ، وحروف معاني. فحروف المباني هي حروف البناء والهجاء، وهي المرتبة ألفبائيا (أ، ب، ت، ث... أو أبجديا (أ، ب، ج، د...). وحروف المعاني هي الحروف العاملة -غالبا- والمؤثّرة في باب النحو والإعراب؛ كحروف العطف والجر وغيرها. وإنّما هذه الحروف لا يتحقّق معناها ولا يتحصّل إلا بعلاقتها على ما تدخل عليه، أو يدخل عليها من أسماء وأفعال. فالواو إمّا للعطف أو للمعيّة أو للقسم، أو غيرها، ولا تظهر حقيقة معناها إلى من خلال التركيب. وقيل "سمّيت بذلك؛ لأنّها توصل معاني الأفعال إلى الأسماء"³. فكأنّ الحروف روابط للمعاني.

فالواو منفردة خارج السياق لا معنى لها، لكنها تكتسي دلالتها في السياق؛ فهي للعطف في قولك: محمد وعليّ، وللمعيّة في قولك: سرّْتُ والنيل، وللقسم في قولك: والله ما فعلتُ، وللحال في قولك: جاء الإسلام والناس في ضلال مبين، وللاستئناف في قولك: أنهيتُ قراءة الكتاب وأنا الآن أفكر في قراءة كتاب آخر. ولهذا قال بعض الباحثين: "الحرف ما دلّ على معنى بمصاحبة غيره في تركيبٍ، ولا يدلّ عليه في نفسه"⁴. فالحرف ليس إلا صوتا منطوقاً أو رمزا مكتوبا في حالة الأفراد خارج التركيب.

¹ - الكتاب، سيبويه، ج1، ص12.

² - المقتضب، المبرد، ج1، ص141.

³ - حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، محمود سعد، 1988م، ص12.

⁴ - التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، ص110.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

ونقطة مهمة أشار إليها سيبويه في حديثه عن المعنى الذي يدلّ عليه الحرف؛ إذ قال: "وحرفٌ جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل"¹. فإنّه ذكر الفارق المميّز بين المعنى الذي يدلّ عليه الاسم أو الفعل، وبين المعنى الذي دلّ عليه الحرف. قال ابن فارس، شارحا تعريف سيبويه: "وأقرب ما فيه [أي ما جاء في تعريف الحرف] ما قاله سيبويه، أنّه الذي يفيد معنى ليس في اسم ولا فعل. نحو قولنا: زيدٌ منطلقٌ، ثم نقول: هل زيدٌ منطلقٌ؟ فأفدنا بـ(هل) ما لم يكن في (زيد) ولا (منطلق)"².

فلما كان دور الحروف في تأدية المعنى بهذا الخطر والأهمية، عقدنا له هذا الفصل، نروم من خلاله إظهار دلالات الحروف ومعانيها، كما فعلنا قبل مع الجملة الاسمية والجملة الفعلية وإن كانت حروف المعاني كثيرة، أوصلها بعضهم إلى نيّف وتسعين، إلا أنّنا سنركّز على ما ركّز عليه القرطبي في تفسيره، ما وسعنا الجهد، ونذكر لكلّ حرف شاهدا واحداً، ينزاح إلى ما شابهه في مواضع آخر.

2. العطف وحروفه:

العطف في النحو أن تربط بين كلمتين أو جملتين، ويكون بأحرف مخصوصة، ويسمّى الكوفيون العطف بالحرف: النّسق. فالمعطوفان متناسقان مترابطان. ويفضّل بعض الباحثين المصطلح الكوفي (النّسق) على المصطلح البصري (العطف بالحرف)؛ "لاختصاره، وغنائه عن التخصيص والتقييد"³. والسابق لحرف العطف يسمى معطوفاً عليه، وما بعد حرف العطف يسمى معطوفاً. وكان من المفروض تناول باب الاسم المعطوف في الفصل الأول من هذا الباب التطبيقي، ضمن التوابع الأربعة: الصفة، والتوكيد، والبدل، والمعطوف. ولكن لأننا كنا سنعتقد لحروف العطف باباً خاصاً، لم نشأ تكرار الكلام عن العطف، فأخّرناه ههنا.

¹ - الكتاب، سيبويه، ج1، ص12.

² - الصحابي، ابن فارس، ص53.

³ - مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مهدي المخزومي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده القاهرة، مصر، ط2، 1377هـ/ 1958م، ص315.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

والأصل أن يُعطف الاسم على الاسم، والفعل على الفعل، والجملة على الجملة؛ إنشاء التناسق والتناظر، ولكن من باب المعنى، قد يجوز عطف الاسم على الفعل والعكس؛ أي عطف المختلفين، وهذا إذا اتفقا على المعنى أو دلّا على معنى متشابه، فالعبرة بالمعنى. وأجاز السيوطي¹ عطف المختلفين إذا كان أحدهما في تأويل الآخر؛ أي إذا كان الاسم يشبه الفعل، أو أنّ الجملة في تقدير المفرد، فذلك جائز. "ومعنى ذلك أنّ مبرّر المخالفة بين المعطوفين هو المعنى، فهما مختلفان في اللفظ، ومتفقان في المعنى"². والعطف عطفان: عطف بيان وعطف نسق؛ فعطف البيان ما كان بغير حرف، وبشبهه البذل؛ كقولك: يا عبدَ الله زيدًا، فعبدُ الله هو زيدٌ، عطفتَ بزيد على عبد الله لتبينَ مَنْ مِنْ عبيد الله تقصده. وعطف النسق ما كان بحرف؛ نحو: مررتُ بزيد وعمرٍو.

ولنا أن نسأل: ما فائدة العطف؟ إذا نظرنا إلى قولنا: رأيتُ زيدًا وخالدًا، سنستفيد عدّة معانٍ من بينها: الاختصار، وهو اختصار في ذكر العامل، فالعطف يُغني عن إعادة ذكر العامل، فهي بمعنى قولنا: رأيتُ زيدًا رأيتُ خالدًا. كما يفيد العطف أيضا وجود علاقة بين المتعاطفين: زيد وخالد، فكلاهما مشتركان في المفعولية: رؤيتهما، فهما يلتقيان في معنى واحد وهو أنك رأيتهما كلاهما، فقد وقع نظرك عليهما كليهما. قال شمس الدين الزّاعي في تعريف العطف: تشريك الثّاني مع الأوّل في عامله بحرفٍ من حروف العطف. ومعناه: أنّ الحكم الذي للأوّل أُعطيَ للثّاني بوساطة الحرف، وصار حرف العطف يتنزّل منزلة العامل³. بالإضافة إلى معانٍ جزئية أخرى خاصة بكلّ حرف تختلف باختلاف الحرف العاطف؛ فقولك: رأيتَ زيدًا أو خالدًا، فإنّك أضفتَ معنى التخيير، وهلمّ جرّا...

ولمّا كان العطف لغةً: هو الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه⁴، فإنّ المعنى اللّغوي هذا له علاقته وصلته بالوظيفة الدلالية للعطف؛ فقد "سُمّي عطف البيان عطفًا؛ لأنّ المتكلّم رجع

¹ - ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، ج5، ص371/372.

² - الإعراب والمعنى في القرآن الكريم، محمّد أحمد خضير، ص91.

³ - المستقل بالمفهومية في حلّ ألفاظ الجرّومية، شمس الدين الزّاعي، تح: أحمد محمد جاد الله، دار النوادر، سورية ط1، 1433هـ/2012م، ص253.

⁴ - ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج9، ص249.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

إلى الأوّل فأوضحه به. وسُمّي عطف النّسق عطفًا؛ لأنّ المتكلّم رجع إلى الأوّل فأشرك معه آخر في حكمه بواسطة حرف من حروف العطف¹. فقولك: هذا هو الفاروقُ عُمَرُ، فإنّك عطفتَ بعمر لأنّك عدتَ إلى الفاروق وأوضحته وبيّنته. فعطف البيان موضعًا للمعرفة، ومخصّصًا بالنكرة؛ أيّ أنّ المتبوع إذا كان معرفةً قد يكون مبهماً أو مجهولاً، فيُعطف عليه ما يبيّنه ويوضّحه، وأمّا إذا كان المتبوعُ نكرةً، فإنّ النكرة دالة على الشيوخ، فيُعطفُ عليها بما يُخصّصُها ويُعيّنها. وحين تقول: ضربتُ زيدًا وعمرًا، فإنّك عدتَ بعمرٍ إلى زيدٍ، وأشركته معه في الضرب.

وحروف العطف هي: الواو، وثمّ، والفاء، وحتىّ، وأمّ، وأو، وبل، ولا، ولكنّ. وقسم النّحاة هذه الحروف إلى ثلاثة أقسام²: منها ما يدلّان على المشاركة في الإعراب والمعنى دائماً؛ وهي: الواو، وثمّ، والفاء، وحتىّ. ومنها ما يدلّ على المشاركة بينهما غالباً؛ وهي: أمّ وأو. وشرطهما أن لا يدلّا على الإضراب. ومنها ما يدلّ على التبعيّة من حيث الإعراب فقط؛ وهي: بل، ولا، ولكنّ. "فأمّا (بل، ولكنّ) فإنّهما يثبتان لما بعدهما ما انتفى عمّا قبلهما ... وأمّا (لا) فإنّها تنفي عمّا بعدها ما ثبت لما قبلها"³. وأمثلة ما سبق: فيكَ صدقٌ ووفاء وجاء زيدٌ ثمّ خالدٌ، وجاء زيدٌ فخالدٌ، وقَدِمَ الحُجّاجُ حتّى المشاةُ وأزیدٌ عندكَ أم خالدٌ، وجاء زيدٌ أو خالدٌ، وما قام زيدٌ بل خالدٌ، وجاء زيدٌ لا خالدٌ، ولم يبدُ امرؤٌ لكنّ طلاً.

فأمّا (الواو) فهي أمّ باب حروف العطف⁴، وتدخل على الاسم والفعل معاً؛ ولهذا السبب فهي غير عاملة⁵. ومن معانيها أنّها جامعة عاطفة، لا يُشترط فيه التّرتيب؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [القمر:16]. فالنّذير إنّما يكون قبل العذاب، يدلّك على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:15]. كما أنّه قد يجوز أن تدلّ الواو على التّرتيب

¹ - التّوابع في الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، مكتبة الزهراء، القاهرة، مصر، 1991م، ص96.

² - شرح ألفية ابن مالك، أبو فارس الدحداح، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1425هـ/ 2004م، ص365.

³ - التّوابع في الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، ص109.

⁴ - الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/ 1992م، ص158.

⁵ - ينظر: معاني الحروف، أبو الحسن علي الرمانى، تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، جدة، السعودية ط1، 1401هـ/ 1981م، ص59.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

نحو قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران:18].
 فالشاهدون في هذه الآية إنما كانت شهادتهم على هذا الترتيب لا سواه. ومنه أيضا قوله تعالى:
 ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ [الفتح:24]. قال الرماني: "وأنه لو كف أيديهم قبل
 أيدي عدوهم، لكان في ذلك محنة لهم ومشقة عليهم"¹.

فمن أمثلة العطف وأثره في المعنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ
 قَبْلِكَ﴾ [البقرة:4]. فالذين اسم مبهم، يحمل تقديرين: أحد التقديرين متصل بما قبله، والآخر منقطع
 عنه. فإما أن المعنى مستأنف لا علاقة له بما قبله، فتكون الواو استئنافية، ويكون المراد من
 (الذين) مؤمنو أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام، وفيه نزلت. وإما أن تكون الواو عاطفة، تعطف
 (الذين) على ما ذكر قبلها، فيكون المراد منها مؤمنو العرب². وهو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
 وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:3-4]. فتكون (الذين) في محل خفضٍ على العطف.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:53]
 فالمعنى القريب الذي قد يتبادر إلى فهم المبتدئ أن الفرقان، وهو اسم من أسماء القرآن العظيم
 أنزله الله على نبيه موسى -عليه السلام- وهذا لا يصح، فكيف يكون المعنى إذن مع هذا
 العطف؟ المعنى: الكتاب هو التوراة عند جميع المتأولين³، لكن اختلف في الفرقان. زعم الفراء أن
 المعنى: آتينا موسى التوراة، ومحمدا الفرقان⁴. ففيها حذف يتم تقديره. وكذلك نُقِلَ عن قطرب⁵.
 وقد علّق النحاس على هذا التأويل: "هذا خطأ في الإعراب والمعنى؛ أما الإعراب فإن
 المعطوف على الشيء مثله، وعلى هذا القول يكون المعطوف على الشيء خلافه. وأما المعنى فقد

¹ - معاني الحروف، الرماني، ص60.

² - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص275. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص86.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص107. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص144.

⁴ - ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج1، ص37.

⁵ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص106. وينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج1، ص134.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

قال فيه عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء:48]¹. وقال الزجاج: "يجوز أن يكون الفرقان الكتاب بعينه، إلا أنه أعيد ذكره، وعنى به أنه يفرق بين الحق والباطل"². وأعيد ذكره للتوكيد. وروي أن الفرقان انفراق البحر له حتى صار فرقاً³. وأحسن ما قيل في هذا، ما روي عن ابن عباس ومجاهد من أنه الكتاب الذي فرق به بين الحق والباطل، وهو نعتٌ للتوراة وصفة لها⁴.

ومن أمثلة المعطوف بالجملة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:5]. فالعطف "عطف جملة على جملة"⁵. وهذا يفيد أن المعنى المعطوف واقع على الجملة بعد الواو وليس المفرد، فكأن الاستعانة بالله مشروكة الحكم، ومعطوفة على عبادته له. وكذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة:3]. عطف جملة (يقيمون الصلاة) على جملة (يؤمنون بالغيب)⁶. فالذين دالة على المؤمنين بالغيب والمقيمين الصلاة معا.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران:45-46]. وشاهد العطف في الآية قوله: (وكهلا). ذكر القرطبي⁷ أقوال العلماء فيها: فقد قال الزجاج: "(وكهلا) أي: ويكلم الناس في المهد، أعلمها الله أن عيسى يبقى إلى حالة الكهولة"⁸. وقال الفراء والأخفش بأنه معطوف على (وجيهاً)⁹. وقال القرطبي: "وقيل المعنى: ويكلم الناس صغيرا وكهلا"¹⁰.

¹ - إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص225.

² - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج1، ص134.

³ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص144.

⁴ - ينظر: تفسير الطبري، ج1، ص678.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص226.

⁶ - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص253.

⁷ - ينظر: المصدر نفسه، ج5، ص139. وينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص377.

⁸ - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج1، ص412.

⁹ - ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج1، ص213. وينظر: معاني القرآن، الأخفش، ج1، ص219.

¹⁰ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص139.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

فقوله: (وكهلا) يختلف معناها المراد باختلاف ما تُعطفُ عليه؛ فإنَّ معطوفة على الحال (وجيها) -كما قال الفراء والأخفش- كان المعنى -كما قال الزمخشري-: "ويكلم الناس طفلا وكهلا، ومعناه: يكلم الناس في هتين الحالتين كلامَ الأنبياء، من غير تفاوتٍ بين حال الطفولة وحال الكهولة"¹. وذلك بناءً على توالي المعطوفات، وكلَّها عائدة على المعطوف عليه الأول (وجيها).

أمَّا المعنى الثاني -على رأي الزجاج- فهو أنَّ (وكهلا) هو من عطف جملة على جملة. وكأنَّ في الآية تقديرا: (ويكلم الناس في المهد، ويكلم الناس كهلا) وفي هذا إنباءً بأنَّ سيصيرُ كهلا؛ تسليّةً لأمّه، ومواساةً لها، بالنظر إلى حالها وقتذاك. فإنَّ يضمن لها مستقبله أريح لها وأشدَّ لها أزرًا. وهو هنا منصوب على الحال أيضًا.

على أنَّنا نرى أنَّ المعنى الأول أولى؛ ذلك أنَّ المعنى الثاني قد يُضمَّن في الأول، من غير تمحلٍّ في التأويل حدًّا. هذا من حيث المعنى، ومن حيث الإعراب فالمعطوف أنسخُ للحالية. فكهلاً سبقت إليه الواو فأعطفته، وإنَّ كان حالا في المعنى، فهو في النحو معطوفٌ، والحال إنَّ عطف، نسخُ العطف حاليته لفظًا. ومن جهة نحوية أخرى فعطفُ المفرد أقرب وأولى وأقوى من عطف الجملة على الجملة، وغيرُ المقدَّرِ أسبق من المقدَّر، وجمع المعنيين أبين للمقصد؛ من أنَّه كَلَّمَ النَّاسَ آيَةً مُسْتَمَهِّدًا وَمُسْتَكْهَلًا، وفي ضِمْنِ ذلك سُلُوَانٌ لِنَفْسِ مَرْيَمَ، وتطبيبٌ لخاطرها -عليها السلام-.

وقد لا تكون الواو جامعة، وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنً وَثُلَّةً وَرُبْعَ﴾ [النساء:3]. فإنَّ بعض الفرق الضالَّة؛ كالروافض، وبعض الظاهرية، اعتقدوا أنَّ الواو جامعة، فأباحوا تسعةً من النساء، وهذا لجهلهم بلسان العرب. وقد احتجَّوا زعمًا بأنَّ النبي ﷺ تزوج تسعا وجمع بينهنَّ. وأهل السنَّة والجماعة اجمعوا قاطبةً على ضلالة هذا الرأي وجهالته.

فإنَّ هناك فرقًا بينا بين (مثنى) و(اثنين)، وكذلك ثلاث ورباع. فإنَّ العرب إذا قالت: جاءت الخيل مثنى مثنى، فمعناه: جاءت مزدوجة. ودليله في قوله تعالى -في وصف الملائكة-: ﴿جَاعِلِ

¹ - الكشاف، الزمخشري، ج1، ص559.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

الْمَلَكَةِ رَسُولًا أُوْلَىٰ أَجْحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلْثَ وَرُبْعٍ ﴿١﴾ [فاطر:1]. ويُعَلَّمُ على القطع والبتات: أنه لم يُردَّ أنهم على تسعة أجنحة¹. وإنَّما المعنى هنا كالمعنى في آية النكاح؛ أي: أن تجمع بين جناحين للملك الواحد، والثلاثة وحدهم، والأربعة وحدهم. وكذلك في النكاح: أن تجمع بين الثنتين فقط، أو الثلاثة أو الأربعة. فيجب بناءً على ذلك أن تعتقد في الواو أنها للتخيير المطلق لا الجمع المطلق.

وإن سأل سائل وقال: لم جيء بالواو ولم يؤتى بأو. قيل له: إن الآية أباحت له أن يختار من أنواع الجمع ما يشاء، فهو في حلٍّ من الاثنين إلى الأربعة. ولو جيء بأو لكان المعنى أنه لا يسوغ له إلا أن يختار جمعا واحدا من هذه الجموع الثلاثة، فالواو في آية النكاح "دلَّت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع إن شاءوا مختلفين في تلك الأعداد، وإن شاءوا متفقين فيها، محظورا عليهم ما وراء ذلك"². فالواو للإباحة، لا للجمع المطلق ولا للتخيير المقيد. والعطف بالواو كثير في كلام العرب عامة، وأمثله في تفسير القرطبي خاصة كثيرة أيضا. فنكتفي بما أوردناه؛ تجنبًا للتكرار والإطالة.

وأما (الفاء) فتدلُّ على العطف على التعقيب³، "وهي مرتبة، تدلُّ على أن الثاني بعد الأول بلا مهلة"⁴ فهو ترتيب لازم قصير زمنه. "فتشارك (ثم) في إفادة الترتيب، وتفاوقها في أنها تفيد الاتصال، و(ثم) تفيد الانفصال"⁵. أي اتصال الزمنين وانفصالهما.

ولم يتطرق لها القرطبي إلا في أربعة مواضع، أحدها كانت استئنافية⁶، وثانيها كانت مقحمة⁷. وأخرى جوابٌ شرط⁸. ثم تطرَّق إلى الفاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا

¹ - ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تح: نحي الدين ديب مستو وآخرون، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1417هـ/ 1996م، ج7، ص326، 327. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج6، ص33.

² - الكشف، الزمخشري، ج2، ص16.

³ - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص61.

⁴ - معاني الحروف، الرمانى، ص43.

⁵ - الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص61.

⁶ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج6، ص480، 481.

⁷ - ينظر: المصدر نفسه، ج7، ص209.

⁸ - ينظر: المصدر نفسه، ج14، ص136.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

قُمْتُ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴿[المائدة:6]﴾ إذ ذكر القرطبي¹ اختلاف الفقهاء في حكم الترتيب والمخالفة في غسل الأعضاء أثناء الوضوء. ثم تعرّض إلى اعتقاد بعضهم أنّ "الفاء توجب التعقيب في قوله: (فاغسلوا) فإنّها لما كانت جواباً للشرط؛ ربطت المشروط به، فاقتضت الترتيب في الجميع"². وقالوا بأنّ "ما كان معطوفاً على الفاء فحكمه حكم الفاء، بواو كان معطوفاً أو بغير واو؛ لأنّ أصله العطف على الفاء"³.

وردّ القرطبيّ بأنّ الفاء لم تقتضي الترتيب في الجميع، إنّما اقتضت البداءة في الوجه؛ إذ هو الواقع جواباً للشرط وجزاءً له، قال القرطبي: "وإنّما كانت تقتضي الترتيب في الجميع لو كان جواب الشرط معنىً واحداً، فإذا كانت جملاً كلّها جواباً؛ لم تبال بأيّها بدأت، إذ المطلوب تحصيلها"⁴. فهو اشتراط حصول مهمما كانت الرتبة في أحدٍ منها؛ لأنّ ما بعد الفاء ليس واحداً، بل مختلف.

وأما (ثمّ) فقال عنها الرماني: "وهي من الهوامل، ومعناها العطف، وهي تدلّ على التراخي والمهلة"⁵. فقولك: دخل زيدٌ ثمّ خالدٌ، كان المعنى أنّ دخول خالد كان بعد دخول زيدٍ، وبينهما مدّة من الزمن معتبرة. فهي من حيث الزمن تفيد عكس ما تفيد الفاء، فكلاهما تفيد الترتيب الزمني، إلا أنّ الفاء تفيد ترتيباً على صفة التعقيب، و (ثمّ) تفيد الترتيب على صفة التراخي؛ فما بعد الفاء أسبق مما بعد (ثمّ).

ومن أمثلة (ثمّ) قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة:29]. وفي هذه الآية معنى جليل، انتبه إليه

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج7، ص355، 356.

² - المصدر نفسه، ج7، ص356.

³ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد البر الأندلسي، تح: مصطفى بن أحمد العلوي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1387هـ / 1967م، ج2 ص85.

⁴ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج7، ص356.

⁵ - معاني الحروف، الرماني، ص105.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

القرطبي بقوله: "ثم: لترتيب الإخبار، لا لترتيب الأمر في نفسه"¹. والمعنى: أن (ثم) لا ترتب الأفعال الواردة في الآية بحسب وقوعها، فعلا بعد فعل، بمهلة من الزمن معتبرة؛ لأن ذلك من الغيبات، وتعالى الله عن التأويلات التي قد تدلّ عليها (ثم) إذا دلت أن الأفعال وقعت على صفة التراخي والمهلة. وإنما جاءت (ثم) لتدلّ على ترتيب الإخبار فقط: إخبار بخلق الأرض، ثم الإخبار بخلق السماء وتسويتها، وهذا إخبار بطريقة تناسب فهم البشر، لا لأنها هكذا وقعت.

وقد لا تفيد (ثم) الترتيب؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ۝١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: 198-199]. قال القرطبي: "و(ثم) ليست في هذه الآية للترتيب، إنما هي لعطف جملة كلام هي منها منقطعة"². المعنى: أن الحدين في الجملتين أو الآيتين منقطعان، غير متصلين؛ فتمّ لعطف جملة كلامية على جملة كلامية أخرى أي: عطف قول على قول، فهو عطف لفظي، لا لمعنى العطف الأساسي الذي تنطأ به ثم. فتمّ هنا جاءت لإنشاء تسلسل الكلام، وسيورته لا غير.

ومن أمثلة (ثم) التي لا تدلّ على الترتيب، قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 79]. المعنى: ما ينبغي لأحد، والمقصود هنا: عيسى النبي -عليه السلام-، ينكر الله قولهم: إن عيسى ادّعى أنه إله. وقال القرطبي: "إن الله لا يصطفي لنبوته الكذبة، ولو فعل ذلك بشرّ لسلبه الله آيات النبوة وعلاماتها"³.

والشاهد في الآية قوله: (ثم يقول). فقد دلّ هذا العطف وهذا النصب في الفعل المضارع على معنى الإشراك: أي لا يجتمع في امرئ واحد هذان الفعلان؛ فلا نبيّ كاذب مدّع الألوهية، ولا كاذب نبيّ. وفي هذا يقول القرطبي: "ونصب (ثم يقول) على الإشراك بين (أن يؤتيه) وبين (يقول) كاذب نبيّ".

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص380.

² - المصدر نفسه، ج3، ص350.

³ - المصدر نفسه، ج5، ص184.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

أي: لا يجتمع لنبيّ إتيانُ النبوة وقوله: كونوا عبادًا لي من دون الله¹. فمعنى النفي والتكذيب لادّعائهم أدنّه (ثم) الإشراكية.

وأما (حتى) فمن معانيها أن تكون عاطفة غير عاملة، وتكون بمعنى الواو، وتدلّ على التعظيم أو التحقير؛ تقول في التعظيم: (مات الناس حتى الأنبياء والملوك). وتقول في التحقير: (وصل الحجاج حتى المشاة والصبيان والنساء)². وهي غير عاطفة عند الكوفيين، "ويعربون ما بعدها على إضمار عامل"³.

وهي عند النحاة تفيد الغاية والتدرج، فالغاية هي الانتهاء إلى ذلك المعطوف بها، وهو انتهاء على سبيل التدرج؛ فقولك: مات الناس حتى الأنبياء؛ أي: أنّ الموت وقع بالناس حتى انتهى إلى الأنبياء، وقد تدرّج وقوعه من الناس جميعاً حتى وصل إلى الأنبياء. ولهذا يجب أن يكون المعطوف جزءاً من المعطوف عليه؛ لأنّها عاطفة بمعنى الواو، فتفيد الجمع في الحكم الإعرابي والمعنى، من غير ترتيب.

والغاية هي المعنى الأساس لحتى، لا تغيب عنه إلا مجازاً؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ [آل عمران: 152] إلى آخر الآية؛ فقيل: إنّ فيها معنى الغاية. قال القرطبي: "وقيل: (حتى) بمعنى (إلى) وحينئذ لا جواب له أي: صدقكم الله وعده إلى أن فشلتُم؛ أي: كان ذلك الوعد بشرط الثبات"⁴. وكذا قوله تعالى: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾ [الذاريات: 43]. قال القرطبي: "أي: إلى وقت الهلاك"⁵ وإلى تدلّ على انتهاء الغاية.

ودلالة الغاية في (حتى) معناه أنّ الأمر واقع، فقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: 1] أي: أنتهم البينة⁶. وكذا في قوله تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص184.

² - ينظر: معاني الحروف، الرمانى، ص119.

³ - الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص546.

⁴ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص362.

⁵ - المصدر نفسه، ج19، ص501.

⁶ - ينظر: المصدر نفسه، ج22، ص406.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿[المعارج:42]. فالمعنى: أن اليوم هذا واقع بهم لا محالة¹، فكأنه لشدة تحقيق وقوعه قد وقع. وكذلك في قوله تعالى: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ﴾ [القدر:5]. فالمعنى: "إلى مطلع الفجر"².

وأما (أم) فتكون عديلةً لألف الاستفهام، وهي معها بمنزلة (أي)؛ نحو قولك: أريدُ عندك أم عمرو؟ والمعنى: أيهما عندك؟ وتكون عديلةً لألف التسوية؛ نحو قولك: ما أبالي أقمت أم قعدت؟ فأم تفيد في أصلها التسوية. وحتى ألف الاستفهام أصل معناها التسوية؛ لأنك إنَّما تستفهم لتستوي أنت ومن تستفهمه في العلم. وبعضهم عدّها للاستفهام وليست عاطفة، وجعلوا ما بعد (أم) مبتدأ خبره محذوف؛ فقولك: أقادم أبوك أم أخوك؟ هي في التقدير: أقادم أبوك أم قادم أخوك. إلا أنك في النصب أو الجر تضطرّ إلى تقدير عامل آخر، وذهب إلى هذا الرأي أبو عبيدة، على أن إجماع النحاة على أنها عاطفة.

فالمعنى الإعرابي لـ(أم) أنها تربط بين شيئين لا يستقيم المعنى دونهما. وهي عند النحاة متصلة أو منفصلة. فالمتصلة هي ما سبقتها همزة التسوية أو همزة الاستفهام؛ والتسوية تعني أن ما تعطفهما سواء؛ نحو قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون:6]. أو تسبقها همزة يُطلب بها التعيين؛ نحو: (أريدُ في الدار أو عمرو). وقال ابن هشام: "وإنما سُميت في النوعين متصلةً لأنّ ما قبلها وما بعدها لا يُستغنى بأحدهما عن الآخر، وتسمّى أيضاً مُعادلةً"³. فهي تصل بين معطوفيها وهي عديلة الهمزة؛ أي تعادلها وتشابهها في الوظيفة.

وقد فرق ابن هشام⁴، من حيث المعنى بين (أم) للتسوية، و(أم) للاستفهام والتعيين؛ فالأولى معناه الإخبار الذي يحتمل التصديق والتكذيب، فلا تحتاج جواباً. والأخرى تحتاج جواباً على سبيل التعيين؛ أي تعيين أحد المتعاطفين في الجواب.

وأما (أم) المنفصلة أو المنقطعة؛ وهي التي تكون بمعنى (بل)؛ أي أنّ الكلام الذي بعدها منقطع ومنفصل عما قبلها، وهو قائم بنفسه. وهي على ثلاثة أنواع: الأول مسبوقه بالخبر

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج21، ص245.

² - المصدر نفسه، ج22، ص397.

³ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ج1، ص267.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص268، 269.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

المحض¹ كقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴿[السجدة: 2-3]﴾. قال عنها القرطبي: "هذه (أَمْ) المنقطعة التي تُقَدَّرُ بِبَلْ، وألف الاستفهام؛ أي: بل يقولون²، وهي تدلّ على خروج من حديثٍ إلى حديثٍ، فإنه الله، عزّ وجلّ، أثبت أنه تنزيلٌ من ربّ العالمين، ثمّ أضربَ عن ذلك إلى قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي: افتعله واختلقه"³.

والنوع الثاني من أنواع (أَمْ) المنقطعة هي المسبوقة بهمزة لغير الاستفهام⁴؛ نحو قوله تعالى: ﴿الْهَمَّ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطُشُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: 195]. فالهمزة للإنكار⁵، وهي بمنزلة النفي؛ لأنه خطاب للأصنام والجمادات التي يعبدونها؛ فكأنه قال لهم: ليس لهم أرجل فيمشون، ولا أيدي فيبطشون. والنوع الثالث الأخير هو المسبوق باستفهام بغير الهمزة⁶؛ نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: 16]. إذن؛ فأَمْ من حيث المعنى قسمان: متّصلة ومنفصلة. والمتّصلة نوعان: للتسوية أو للتعيين، والمنفصلة ثلاثة أنواع: ما سُبِقَتْ بخبرٍ محضٍ، أو سُبِقَتْ بهمزة لغير الاستفهام، أو سُبِقَتْ باستفهام بغير الهمزة.

وأما (أَمْ) المتّصلة المفيدة للتعيين فنحو قوله تعالى: ﴿أَتُخَذَتُهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ رَأَيْتَ عَنْهُمْ الْإِبْصَارَ﴾ [ص: 63]. وهو تساؤل أهل النار، يطلب تعيين أحد المتعاطفين، ونقل القرطبي عن الفراء⁷ أنّ الاستفهام هنا بمعنى التوبيخ والتعجب، و(أَمْ) فيها الوجهان، إذا قُرئت بالاستفهام كانت للتسوية. وإذا قُرئت بغير الاستفهام كانت بمعنى (بل).

وأما (أَمْ) المنقطعة المسبوقة بخبر محض فنحو قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾

¹ - ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ج1، ص287.

² - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاجي، ج4، ص203.

³ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج17، ص6، 7.

⁴ - ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ج1، ص277.

⁵ - ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج4، ص441.

⁶ - ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ج1، ص277.

⁷ - ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج2، ص411. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج18، ص234.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ ﴿البقرة: 213-214﴾. فقد أخبر الله تعالى عن الأمم السابقة وأحوالها، ثم جاء بأم؛ قال القرطبي: "و (أم) هنا منقطعة بمعنى (بل)"¹؛ أي: بل حسبتم أن تدخلوا الجنة، فالكلام بعدها مستأنف منقطع عما قبلها.

وأما (أم) المنقطعة المسبوقة بهمزة لغير الاستفهام فنحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^٢ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ﴿البقرة: 107-108﴾. قال القرطبي: "هذه (أم) المنقطعة التي بمعنى (بل) أي: بل تريدون. ومعنى الكلام: التوبيخ"²، فالهمزة ليست للاستفهام، وإنما التوبيخ واللوم.

ومن معاني (أم) التي وردت أيضا في القرآن العظيم قوله تعالى: ﴿أَمْ أُتَّخَذُوا إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ يُشْرُونَ﴾^٣ [الأنبياء: 21]. فأم هنا تحمل معنى الاستفهام، قال القرطبي: "قال المفضل: مقصود هذا الاستفهام: الجحد؛ أي: هل اتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الأرض يحيون الموتى؟ ولا تكون (أم) هنا بمعنى (بل)؛ لأن ذلك يوجب لهم إحياء الموتى"³، وذلك لا يستقيم. وقال الزمخشري: "هذه (أم) المنقطعة الكائنة بمعنى (بل) والهمزة، قد آذنت بالإضراب عما قبلها، والإنكار لما بعدها"⁴ أي: إنكار اتخاذهم آلهة. ويصح هذا إذا قدرت (أم) بمنزلة ألف الاستفهام⁵. والملاحظ على (أم) الواردة في تفسير القرطبي عامة، أكثرها بمعنى (بل) منقطعة غير عاطفة.

وأما (أو) فهي حرف مهمل، غير عامل، عاطف، يفيد التخيير؛ نحو قولك: تزوج هذا أو أختها: خيرته بينهما؛ أي: لا تجمع بينهما. فأنت تُشرك ما بعدها في الإعراب لا المعنى. وفي هذا

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3، ص410.

² - المصدر نفسه، ج2، ص312.

³ - المصدر نفسه، ج14، ص188.

⁴ - الكشاف، الزمخشري، ج4، ص134، 135.

⁵ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج4، ص78.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

قال سيبويه: "ومن ذلك قولك: مررتُ برجل أو امرأة؛ فأوْ أُشْرَكَتْ بينهما في الجرّ، وأثبتت المرور لأحدهما دون الآخر"¹. وهذا هو المعنى الأصل لأوْ.

وقد تدلّ على الإباحة؛ نحو قولك: جالسُ الحسن أو ابنُ سيرين، وتعلّم منهما الفقه والأدب. أي: ذلك مباحٌ لك ما شئتَ على الانفراد والاجتماع². وأضاف المرادي³ معاني أخرى؛ منها الشكّ نحو: قام زيدٌ أو عمرو. والإبهام؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ [سبأ:24]. والفرق بينهما: أنّ الشكّ يكون من قبل المتكلّم، والإبهام يقع على السامع. وتفيد التقسيم؛ نحو: الكلمة: اسم أو فعل أو حرف. وتفيد الإضراب؛ نحو: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات:147]⁴. وهذه معانٍ فرعية تُستقَى من السياق، وقد أوصلها بعضهم إلى اثني عشر معنًى⁵.

فمن أمثلة التخيير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم:13]. نقل القرطبي رأي الطبري⁶، من أنّ (أو) بمعنى حتّى؛ أي: حتّى تعودوا أو إلا أنّ تعودوا. وهذا تمحلٌّ في التأويل؛ قال ابن العربي: "وهو غير مفنّقر إلى هذا التقدير، فإنّ (أو) على بابها من التخيير؛ خيرَ الكفّار الرّسلَ بين أن يعودوا في ملّتهم، أو أن يُخرجوهم من أرضهم، وهذه سيرةُ الله في رسله وعباده"⁷. وهذا أقرب لمعنى الآية.

¹ - الكتاب، سيبويه، ج1، ص438.

² - ينظر: معاني الحروف، الرمانى، ص77.

³ - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص228، 229.

⁴ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج18، ص106.

⁵ - ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ج1، ص398.

⁶ - ينظر: تفسير الطبري، ج13، ص612. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج12، ص116.

⁷ - أحكام القرآن أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، راجعه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3، 1423هـ/ 2003م، ج3، ص89.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

ومن أمثلة الإباحة قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان:24]. فلما دخلت لا الناهية امتنع فعل الجميع¹؛ نقل القرطبي² عن الزجاج³ قوله بأن (أو) هنا أكد من الواو؛ لأنّ النّهي مع الواو قد يبيح أحدهما؛ فلو قلت: لا تجالس زيدا وعمرًا فجالس أحدهما، لم يكن عاصيا لنهيك؛ لأنك نهيتك عن مجالسة الاثنين معا. ولكن لما قال الله تعالى: لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا: دلّ أنّ كلّ واحدٍ منهما أهلٌ لأن يُعصى. على نحو قولك: لا تنهر أباك أو أمك معناه: امتنع عن نهركما مجتمعين أو فرادى. وهذا من إعجاز القرآن العظيم في بيانه.

ومن أمثلة (أو) الدالة على الإبهام قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة:74]. يُبهم على السامع شدة قساوة هذه القلوب، وقد ذكر القرطبي⁴ هذا المعنى، وأجاز فيها أن تدلّ على معانٍ أخر؛ كأن تكون بمعنى الواو؛ أي: كالحجارة وأشدّ قسوةً، ويجوز أن تكون بمعنى (بل)؛ أي: بل أشدّ قساوة من الحجارة، ويجوز أن تكون بمعنى التخيير؛ أي: فإذا شبهتموها بالحجارة أصبتم، وإذا شبهتموها بأشدّ من الحجارة أصبتم كذلك. وقيل أيضا هي على بابها من الشك؛ أي: لو شاهدتم قسوتها لشككتكم: أهى كالحجارة أم أشدّ منها. وحين اخترنا الإبهام في (أو)، وهو أن لا يفهم السامع مقصود المتكلم، قد يسأل سائل فيقول: وهل يجوز ادّعاء ذلك في القرآن العظيم؟ أجاب عن ذلك الزركشي، فقال: "إنما خوطبوا على قدر ما يجري في كلامهم، ولعلّ الإبهام على السامع لعجزه عن بلوغ حقائق الأشياء. ومن ثمّ قيل: القصد من الإبهام في الخبر تهويل الأمر على المخاطب"⁵.

¹ - ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ج1، ص402.

² - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج21، ص487، 488.

³ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج5، ص263.

⁴ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص205، 206.

⁵ - البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، تح: عبد القادر عبد الله العاني، راجعه: عمر سليمان الأشقر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط2، 1413هـ، 1992م، ج2، ص279.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

وقد تكون (أو) للجمع المطلق، أي بمعنى الواو. وهذا رأي الكوفيين وبعض البصريين¹. قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة:19]. قيل (أو) بمعنى الواو². وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة:236]. قيل: هي بمعنى الواو؛ أي: مالم تمسوهن وتفرضوا لهن فريضة³. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَحَرَأَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات:39]. قال القرطبي: "(أو) بمعنى (الواو)؛ لأنهم قالوها جميعاً"⁴. حكاية عن فرعون. وأمثلتها في القرآن كثيرة.

وقد تكون (أو) بمعنى (بل) فتفيد الإضراب؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل:77]. قيل: معناها: "بل هو أقرب؛ أي: أسرع"⁵. وقال القرطبي: "ليس (أو) للشك، بل للتمثيل بأيّهما أراد الممثل"⁶، وهذا المعنى جائز أيضاً، وقيل هي على بابها في الشك، وقيل هي للتخيير⁷.

وأما (بل) فهي "من الحروف الهوامل، ومعناها الإضراب عن الأول، والإيجاب للثاني"⁸. وذلك نحو قولك: ما جاء زيدٌ بل عمرو، ورأيتُ أخاك بل أباك. تقع بعد النفي والإيجاب كليهما. والمعنى: أنك تضرب وتعديل عن الأول (زيد/أخاك) وتبين أنك توجب الحكم (المجيء/الرؤية) للثاني (عمرو/أباك). وقال الرماني: "وإذا جاءت في القرآن كانت تركاً لشيء، وأخذاً في غيره

¹ - ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ج1، ص405، 406.

² - ينظر: تفسير القرطبي، ج1، ص354، 355. وينظر "الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص325.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج4، ص161.

⁴ - المصدر نفسه، ج19، ص499. وينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، ج2، ص227.

⁵ - تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي، تح: علي محمد معوض وآخران، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/1993م، ج2، ص244.

⁶ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج12، ص389.

⁷ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج3، ص411.

⁸ - حروف المعاني، الرماني، ص94.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

وأكثر ما تأتي بعد الإنكار¹. ويقابلُ النفيَّ النهيُّ، وله حكم النفي، ويقابلُ الإيجابَ الأمرُ، وله حكم الإيجاب؛ وذلك نحو قولك: لا تضرب زيداً بل عمرًا، واضرب زيداً بل عمرًا².

ومما أورده القرطبي في (بل) قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام:28]. فبل هنا تكذيب لهم بعد أن تمنوا أن يرجعوا ليعملوا صالحا، حينما رأوا النار يقينا. قال القرطبي: "بل: إضرابٌ عن تمنّيهم وادّعائهم الإيمان لو رُدُّوا"³. ومثله قوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:217] بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ [الأنعام:40-41]. قال القرطبي: "بل: إضرابٌ عن الأول وإيجابٌ للثاني"⁴. أي: لا تدعون إلا الله وحده. فمعاني دخول بل هو نفي لما يسبقها، وإثبات لما يلحقها. ومثاله قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ [الأنعام:9]. قال القرطبي: "بل: لنفي شيءٍ تقدّم، وتحقيقٍ غيره"⁵. فهل إثباتٌ لإنكارهم ليوم القيامة.

أما (لا) فتكون عاطفةً إذا كانت مهملة غير عاملة⁶؛ نحو قولك: قام زيدٌ لا عمرو. فهي تعطف بعد الإيجاب، وبعد الأمر أيضا؛ نحو: اضرب زيداً لا عمرًا، وبعد النداء؛ نحو: يا زيدٌ لا عمرو. ولا يُعطف بها بعد نهي ولا نفي⁷. ولم أجد في القرآن ولا في تفسير القرطبي (لا) عاطفةً. وربما وردت في بعض المواضع (لا) التي تصلح للعطف⁸، ولكن جاءت مقترنة بالواو، والواو أقوى وأم في بابها، والعمل للأقوى.

وأما (لكن) المخففة لغير عاملة، تعطف ما بعدها على ما قبلها، وتفيد الاستدراك والتوكيد نحو قولك: ما قام زيدٌ لكن خالدٌ، ولا بدّ أن يسبقها نفيٌّ؛ لأنّ ما بعدها مخالفٌ لما قبلها⁹. ولهذا قال القرطبي عند قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:12]، بأنّ لكن

¹ - حروف المعاني، الرماني، ص94.

² - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص236، 237.

³ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج8، ص354.

⁴ - المصدر نفسه، ج8، ص376.

⁵ - المصدر نفسه، ج22، ص125.

⁶ - ينظر: حروف المعاني، الرماني، ص84.

⁷ - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص294.

⁸ - ينظر مثلا: [الفتحة:7]، [البقرة:68]، [الواقعة:43-44].

⁹ - ينظر: حروف المعاني، الرماني، ص133.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

"حرف تأكيد واستدراك، ولا بدّ فيه من نفي وإثبات: إنّ كان قبله نفيّ كان بعده إيجاباً، وإنّ كان قبله إيجاباً كان بعده نفي. ولا يجوز الاختصار بعده على اسم واحد إذا تقدّم الإيجاب، ولكنك تذكر جملةً مضادةً لما قبلها؛ كما في هذه الآية¹. فلكنّ تستدرك على المعنى السابق بضده، وفائدة هذا الاستدراك التوكيد.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ ^(١٩٦) مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ^(١٩٧) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴿آل عمران: 196-197﴾. قال القرطبي: "استدراكٌ بعد كلامٍ تقدّم فيه معنى النفي؛ لأنّ معنى ما تقدّم: ليس لهم في تقلّبهم في البلاد كبير الانتفاع، لكن المتّقون لهم الانتفاع الكبير والخلد الدائم"². فهو استدراك على من ظنّ أنّ الكافرين منتفعون مستمتعون، وتوكيد أنّ ذلك حصرٌ على المتقين وقصرٌ.

3. الجرّ وحروفه:

الجرّ أو الخفض أحدُ أربعة أقسام الإعراب؛ فالإعراب رفعٌ أو نصبٌ أو جرٌّ أو جزمٌ. وهو "حالةٌ إعرابيةٌ تقضي تحريك آخر الكلمة بالكسرة، أو ما ينوب عنها من علامات الإعراب، وذلك تحت تأثير عوامل لفظية كحرف الجرّ"³. وسُمّيت حروفُ الجرّ هكذا؛ لأنّها تجرّ فعلاً إلى اسم نحو: مررتُ بزيدٍ، أو اسماً إلى اسم: المال لزيد⁴. وسُمّيت أيضاً حروفَ الإضافة؛ لأنّها "تقضي بمعاني الأفعال إلى الأسماء"⁵؛ فهي تضيف الأفعال إلى الأسماء؛ كقولك: جاء زيدٌ على عَجَلٍ فالفعل جاء وهو لازم، لم يكن ليصل إلى الاسم (عَجَلٍ) إلى بعلَى.

وإنّ قال قائل: إذا كانت تضيف معاني الأفعال إلى الأسماء، فأين الفعل من قولكم: المال لزيدٍ، وزيدٌ في الدار. قلنا كما أجاب ابن يعيش: ليس في الكلام حرفُ جرٍّ إلا وهو متعلّق بفعلٍ أو

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص310.

² - المصدر نفسه، ج5، ص482.

³ - معجم لغة النحو العربي، أنطوان الدحداح، مراجعة: جورج متري عبد المسيح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان ط1، 1993م، ص111.

⁴ - حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، محمود سعد، ص199.

⁵ - ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، ج8، ص7.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

ما هو بمعنى الفعل في اللفظ أو التقدير¹. فقولنا: المال زيدٌ، قدره النّحاة: المال حاصلٌ لزيد وقولنا: زيدٌ في الدّار، تقديره: زيدٌ مستقر في الدار، أو يستقرُّ في الدّار.

وسُمّيت أيضا: "حروف الصّفات؛ لأنّها تُحدِثُ صفةً في الاسم؛ فقولك: جلستُ في الدّار دلّت (في) على أنّ (الدّار) وعاءٌ للجلوس"²؛ أيّ أنّ الجلوس قد تمّت صفتُهُ في الدّار. وهذه معاني إعرابية خفيةٌ تحملها حروف الجرّ عامّة، إضافةً إلى ما يحمله كلّ حرفٍ على حدة. وقد عملت الجرّ لأنّها اختصّت بالدّخول على الأسماء دون الأفعال، وهكذا في النحو عامّة: إذا تخصّص الحرفُ عمِلَ، وإذا لم يتخصّص أُهْمِلَ.

وحروف الجرّ من الحروف التي لا تحمل معانيًا معجمية في ذاتها، وإنّما "لها معانيٌ وظيفيّةٌ تظهر في السياق، وتتفكّك عنها إذا خرجت من السياق"³. معنى هذا: أنّه لا يمكن اعتقاد أنّ يكون لهذه الحروف معنى خارج التركيب، وأمّا أنّ يُظنَّ بأنّ (إلى) مثلا قد تدلّ على الاتجاه وهي خارج السياق، فهذا ظنٌّ فاسد؛ ذلك أنّ هذه معاني هذه الحروف "لا يمكن أن تخطر على الدّهن إلا مستصحبةً سياقاتٍ مألوفة؛ أي أنّ هذه الحروف التصقت بدلالاتها الوظيفيّة بعد استخدامها متلازمةً معها تلازما يُستصحَبُ في الدّهن بعد فكّ التّلازم"⁴. فما كنّا نعرف لحرف الجرّ (إلى) معنى الاتجاه إلا بعد استخدامها، وحين نتخيل المعنى خارج التركيب، فهو تخيّلٌ مبنيٌّ على استعمال مُسبقٍ افتراضي.

وقال ابن الحاجب: "حروف الجرّ ما وُضِعَ للإفضاء بفعلٍ أو شبهه أو معناه إلى ما يليه. وهي: من، وإلى، وحتّى، وفي، والباء، واللام، ورُبّ وواوها، وواه القسم وتاؤه، وعن، وعلى، والكاف ومذ ومنذ، وحاشا وعدا وخلا"⁵. ففي تعريفه لها تحدّث عن معنى حروف الجرّ الأعم: وهو إيصال معنى الفعل وإضافته إلى الأسماء. ثمّ عدّد حروف الجرّ، وذكر ثمانية عشر حرفا.

¹ - شرح المفصل، ابن يعيش، ج8، ص9.

² - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، ج2، ص331.

³ - حروف الجرّ دلالاتها وعلاقاتها، أبو أوس إبراهيم الشّمسان، جامعة الملك سعود، السعودية، ص8، 9.

⁴ - المرجع نفسه، ص9.

⁵ - شرح الرّضّي على الكافية، ج4، ص260.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

فأما (مِنْ) فتدلّ على خمسة عشر معنًى، أجملها ابن هشام الأنصاري في المغني¹. فأما المعنى الأول الغالب عليها فهو ابتداء الغاية؛ كقوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء:1]. إذ دلّت (مِنْ) على ابتداء الإسراء من المسجد الحرام. ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِّنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة:273]. جاء عن القرطبي² عن ابن عطية الأندلسي³ أَنَّ (مِنْ) لا ابتداء الغاية في قوله (من التعفف)؛ أي: من تعففهم ابتدأت محسبته. ورفضاً أن يُعتقد أنها لبيان الجنس؛ لأنّ الجاهل بهم لا يحسبهم أغنياء غناء تعفف، إنّما يحسبهم أغنياء غناء مال، ومحسبته من التعفف ناشئة.

على أنّنا نظرنا إلى التعليل الذي جاء به ابن عطية، فتبيّن لنا أنها -أي: من- ليست لبيان الجنس ولا لا ابتداء الغاية؛ فلما بان أنّهم حسبوهم أغنياء بسبب تعففهم، ظهر لنا أنها سببية أو تعليلية، لا تحتل التأويل على أنّها لا ابتداء الغاية؛ وذلك لما يظهر من التكلف في تخريجها على معنى ابتداء الغاية. وهذا ما جاء عن بعض المتأخرين من قولهم: إنها سببية⁴ أو تعليلية⁵. وهذا أوفق لمعنى الآية العام.

ومنها أيضا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَكُمُوسَ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص:30]. فمن الأولى والثانية -كما يرى القرطبي⁶- لا ابتداء الغاية؛ أي: أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة.

¹ - ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ج4، ص136-194.

² - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج4، ص373.

³ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص369.

⁴ - ينظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيان، محمود صافي، دار الرشيد ومؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، ط3 1415هـ/ 1995م، ج2، ص67. وينظر: تفسير الجلالين الميسر، جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ج3، ص46.

⁵ - ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لجنة من العلماء، إشراف: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، مطبعة المصنف الشريف، ط3، 1413هـ/ 1992م، ج1، ص468.

⁶ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج16، ص274.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

والثاني من معاني (من): التبعية؛ نحو قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: 253].
فمن الأولى للتبعية، فليس كل الرسل قد كلم الله، وإنما بعضهم. وقال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ﴾ [البقرة: 128] إِنَّ (من) للتبعية؛ لأنّ هذا دعاء إبراهيم عليه السلام بعدما أخبره الله تعالى أنّ من ذريته ظالمين¹، فكأنّه قد قال: اجعل يا رب بعضهم مسلمين لك.
ومما تدلّ فيه من التبعية على معنى خطير، مما يكشف لنا أهمية المعنى الإعرابي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [العنكبوت: 42]. فقد تبدو للقارئ المبتدئ لأول وهلة أنّ (من) زائدة؛ لكنها غير ذلك، نظرا للمعنى الذي تؤديه الآية. قال القرطبي: "ما: بمعنى: الذي، ومن: للتبعية؛ ولو كانت زائدة للتوكيد لانقلب المعنى، والمعنى: إنّ الله يعلم ضيعف ما يعبدون من دونه"².

والمعنى الثالث لمن بيان الجنس، وغالبا ما تقع بعد (ما) و(مهما) نحو قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: 2]. فجنس ما يفتح الله به ونوعه: رحمة من سبحانه وتعالى. وهذا ما حققته من. وقوله: ﴿مَهْمَا تَأْتَا بَهُ مِنْ آيَةٍ﴾ [الأعراف: 132]. فجنس ما يأتيهم به: آية وبرهان ومعجزة. وأمّا قوله تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ [آل عمران: 69]، فيحتمل الوجهين: أن تكون (من) للتبعية؛ أي: بعض أهل الكتاب، وقد تشملهم جميعا؛ أي: جميع أهل الكتاب؛ فتكون (من) هنا لبيان الجنس؛ أي: بيان جنس الطائفة التي تودّ إضلالهم؛ ألا وهم أهل الكتاب. هذا معنى ما جاء عن القرطبي وابن عطية³.

وكذلك قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: 25]. في هذه الآية معنى دقيق خطير لا يُنبئ إلا من باب الإعراب؛ فهؤلاء المضلون إنما يحملون أوزار ضلالهم وأوزار من يضلّونهم؛ من أجل ذلك قال القرطبي: "و(من) للجنس لا

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص396.

² - المصدر نفسه، ج16، ص365. وينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج3، ص257.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص167. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج1 ص452.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

للتبعية، فدعاة الضلالة عليهم مثل أوزار من اتبعهم¹، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء فهم يحملون مثلها كلها لا بعضها.

ومثلها -مما التبت فيه (من) تبعيضاً أو بياناً جنس - قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: 140]. فقد قال القرطبي: "و(من) في قوله (منكم): للتبعيض؛ ومعناه أن الأمرين يجب أن يكونوا علماء، وليس كل الناس علماء. وقيل: لبيان الجنس؛ والمعنى: لتكونوا كلكم كذلك"². فكل إعراب تخريج.

وقد تكون للجنس عامة؛ أي لاستغراق جميع الجنس؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: 4]. قال القرطبي: "و(من) لاستغراق الجنس؛ تقول: ما في الدار من أحد"³، تنفي جنس الوجود لأي أحد. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحْشَاءَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 80]⁴. أي: لم يسبقكم جنس أحد على الإطلاق والاستغراق.

وقد تجتمع المعاني الثلاثة الأولى؛ وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82]. إذ قال القرطبي⁵: بأن (من) لابتداء الغاية، ويصح أن تكون لبيان الجنس. كأنه قال: ونزل ما فيه شفاء من القرآن. ويجوز أن تكون من للتبعيض؛ ولا يكون معناه أنه فيه ما ليس شفاء؛ وإنما المعنى -كما ذكر ابن عطية الأندلسي⁶-: كأنه قال: ونزل من القرآن شيئاً ما فيه كله شفاء؛ فهو بحسب إنزاله مبعوض.

واجتمعت الثلاثة أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَنَاجِيلٌ فِيهَا مَاءٌ بَرْدٌ﴾ [النور: 43]. اختلفت تأويلات (من) في هذه الآية؛ قال القرطبي: "وقيل: المعنى: وينزل من السماء قدر جبال

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج12، ص312.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج5، ص252، 253.

³ - المصدر نفسه، ج8، ص323. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج2، ص268.

⁴ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج9، ص277.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه، ج13، ص156.

⁶ - وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج3، ص480.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

أو مثل جبالٍ من بَرَدٍ إلى الأرض؛ فمن الأولى للغاية؛ لأنَّ ابتداء الإنزال من السماء، والثانية للتبويض؛ لأنَّ البرد بعضُ الجبال، والثالثة لتبيين الجنس؛ لأنَّ جنس تلك الجبال من البرد¹. وهناك من قدر من الثانية والثالثة زائدتين.

وتفيد (من) رابعا- التعليل، نحو قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُعْرِقُوا﴾ [نوح:25]. أي: بسبب خطيئة اكتسبوها تمَّ إغراقهم. ونحو قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة:19]. أي: إنما جعلوا أنامل أصابعهم في آذانهم بسبب الصواعق التي صعقتهم. وتُفهم من كلام القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ [القصص:32]. فبعد أن ولى موسى -عليه السلام- مدبرا، قال له: اضمم إليك جناحك من الرهب؛ فمن متعلقة بولى. أي: ولى مدبرا من الرهب². أي: من أجل الرهب. فدخلت (من) في هذه الآيات لتفيد علة ما سبقها من حدث.

والخامس من معاني (من) البذل؛ نحو قوله تعالى: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ [التوبة:38]. "أي: بدلا؛ التقدير: أرضيتم بنعيم الدنيا بدلا من نعيم الآخرة. فمن: تتضمن معنى البذل. ونحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ [الزخرف:60]؛ أي: بدلا منكم³. فهي بدلية تعويضية.

والسادس مرادفتها لـ(عن)، نحو قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَلَيْسَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر:22] أي: عن ذكر الله. وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ [النحل:9]. فقد ذكر القرطبي أن (من) هنا قد تكون بمعنى (عن)؛ المعنى: وعنهما جائر؛ أي: جائر عن السبيل⁴. والسابع مرادفتها للباء؛ نحو قوله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى:45]. نقل القرطبي عن يونس أنها بمعنى الباء؛ أي: بطرفٍ خفيٍّ؛ أي: ضعيف من الدلّ والخوف⁵. وخُرجت

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج15، ص310.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج16، ص277.

³ - المصدر نفسه، ج10، ص207.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ج12، ص291.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه، ج18، ص498. وينظر: معاني القرآن، الأخفش، ج2، ص512.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

(من) بمعنى الباء - كما ذكر القرطبي¹ - في قوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: 11]. أي: يحفظونه بأمر الله. وحروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض². وقيل: (من) بمعنى (عن) أي: ويحفظونه عن أمر الله³. ووردت عند المفسرين في لغاتها أقوال كثيرة. والثامن مرادفتها لـ (في)؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَتَوْهُمْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 222]. قال القرطبي: "و (من) بمعنى (في)؛ أي: في حيث أمركم الله تعالى؛ وهو القبل. ونظيره قوله تعالى: ﴿أَرُونِي مَاذَا حَقَّقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [فاطر: 40]؛ أي: في الأرض"⁴. فمن هنا ظرفية مكانية، تدلّ على موضع معيّن.

والتاسع موافقتها لـ (عند)؛ نحو قوله تعالى: ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: 10]. فلا تغني أموالهم ولا أولادهم عند الله من شيء أبدا. والعاشر مرادفتها لـ (ربما) إذا اتّصلت بما؛ نحو قول الشاعر:

وَإِنَّا لَمِمَّا نَضْرِبُ الْكَبْشَ ضَرْبَةً
عَلَى رَأْسِهِ تُلْقِي اللِّسَانَ مِنَ الْفَمِ⁵

أي: وإننا ربما نضرب الكبش. وهذا قليل لم نجده في تفسير القرطبي، وكذا المعنى التاسع قبله. والمعنى الحادي عشر مرادفتها لـ (على)؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأنبياء: 77]؛ أي: نصرناه على القوم المكذبين. والثاني عشر من معاني (من) الفصل وهي الدّاخله على ثاني المتضادين؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: 220]. أي: فمن فاصلة بين المعنيين المتضادين: الإفساد والإصلاح. والثالث عشر: الغاية؛ كقولك: (رأيت من ذلك الموضع)، فتجعله غاية لرؤيتك. وهذه المعاني الثلاثة - أيضا - قليلة، لم يذكرها القرطبي في جامعته.

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج12، ص28.

² - ينظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ج4، ص311.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج12، ص28.

⁴ - المصدر نفسه، ج3، ص490.

⁵ - البيت لأبي حية النّميري، ينظر: شعر أبي حية النّميري، جمعه وحققه: يحيى الجبوري، وزارة الثقافة، دمشق، سورية 1975م، ص174.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

وأما المعنى الرابع عشر لـ (من) فهو: التنصيص على العموم. وهي الزائدة في نحو قولك: (ما جاءني من رجل). وقد يكون منه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ [البقرة: 102]. فمن زائدة وزيادتها - بحسب رأي القرطبي¹ - للتوكيد. وكذلك قوله تعالى: ﴿أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِ﴾ [آل عمران: 195]. فمن للتوكيد؛ لأنَّ قبلها نفي². فمن تدل على العموم؛ فأنت تتفي كل رجل عن المجيء، وتتفي التعليم عن أي أحد عامة، وتتفي تضييع عمل أي عامل ذكرا كان أو أنثى.

والخامس عشر والأخير من معاني (من): نفي العموم، وهي زائدة أيضا في نحو قولك: (ما جاءني من أحد أو من ديار)؛ فأنت لا تريد العموم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: 23]. قال القرطبي³: (من) زائدة؛ واستدل بقوله تعالى: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس: 38]. فهو تحدُّ خاصٌّ بالإتيان بسورة من مثل سور القرآن العظيم، فنفي بمن العموم الذي قد يتلبس معنى الإتيان بالمثل. ومواضع زيادة (من) في القرآن العظيم كثيرة، أشار إليها أو إلى معظمها القرطبي في تفسيره الجامع⁴.

وذكر القرطبي أنَّ (من) تكون بمعنى (منذ) في قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدَ أُسَسِّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: 108]. قال القرطبي: "من أول يوم: (من) عند النحويين مقابلة (منذ)، فمنذ في الزمان بمنزلة (من) في المكان. فقل: إنَّ معناها هنا معنى منذ. والتقدير: منذ أول يوم ابتدئ بنيائه. وقيل المعنى: من تأسيس أول الأيام"⁵.

وكذلك تكون (من) بمعنى (على). في نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: 122]. قال القرطبي: "(من) بمعنى (مع)؛ أي: مع الصالحين؛ لأنه كان في الدنيا أيضا

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص288.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج5، ص479.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص350.

⁴ - ينظر مثلا: المصدر نفسه، ج15، ص45، ص81، ص203، ص379، ص456...

⁵ - المصدر نفسه، ج10، ص380.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

مع الصّالحين¹. ونقل أيضا القرطبي أنّ من تكون بمعنى اللام؛ وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿أَمَّ خُلُقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ [الطور:35]. أي: خلقوا لغير شيء².

وأما (إلى) فحرف جرّ، له ثمانية معان ذكرها صاحب المغني³. أولها انتهاء الغاية الزمانية أو المكانية؛ فالزمانية نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة:187]. فغاية الصيام زمنية الليل، أو غروب شمس النهار. والمكانية كقوله تعالى: ﴿مَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء:1]. فالإسراء انتهى مكانيا إلى المسجد الأقصى.

وفي قوله: (إلى الليل) لمسة لطيفة دقيقة في تأدية المعنى؛ قال القرطبي: "و(إلى غاية) فإن كان ما بعدها من جنس ما قبلها فهو داخل في حكمه"⁴. معناه أنّك إذا قلت: بعنك من هذه الشجرة إلى تلك الشجرة؛ فإن كان المباع شجرا أو بستانا من شجر؛ فالشجرتان الحادثتان ابتداءً وانتهاءً مباحتان داخلتان في البيع؛ لأنهما من جنس المبيع. وإن كنت تقصد ما بين الشجرتين شيئا من غير جنس الشجر، لم تدخل الشجرتان في المباع. لهذا شرط الله تعالى "تمام الصوم حتى يتبين الليل، كما جَوَزَ الأكل حتى يتبين النهار"⁵. وهذا من بلاغة المعنى الإعرابي واللغوي ودقته.

والمعنى الثاني: المعية؛ وذلك إذا ضمنت شيئا إلى آخر، وقال به الكوفيون⁶. نحو قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: 52] و[الصّف:14]؛ أي: من أنصاري مع الله؟ ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء:2]؛ أي: لا تأكلوا أموالهم مع أموالكم. ولم يستحسنه القرطبي⁷. ورأى أنّها على بابها؛ بمعنى: ولا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم، فتأكلوها.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج12، ص458. و: ج2، ص406.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج19، ص535. وينظر: تفسير الطبري، ج21، ص596. وينظر: معاني القرآن وإعرابه الزجاج، ج5، ص65.

³ - ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ج1، ص489-500.

⁴ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3، ص207. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الاندلسي، ج1، ص259.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3، ص208.

⁶ - ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ج1، ص491. وينظر: همع الهوامع، السيوطي ج2، ص332.

⁷ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج6، ص21.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

ومما ذكره القرطبي في باب (إلى) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَّوْا إِلَى شِيَاطِينِهِمْ﴾ [البقرة:14]. يرى القرطبي أنّ (إلى) هنا على بابها؛ وقوله: (خلوا) بمعنى: ذهبوا وانصرفوا؛ أي: ذهبوا إلى شياطينهم. ورفض من جعل (إلى) بمعنى (مع)؛ لأنّ فيه ضعفا. ورفض أيضا جعلها بمعنى الباء لأنّ مذهب الخليل وسيبويه يأبى ذلك¹.

والمعنى الثالث: التبيين؛ وهي المُبَيِّنَةُ لفاعلية مجرورها بعدما يفيدُ حبًّا أو بغضاً من فعل تعجّب أو اسم تفضيل². نحو قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف:33]. فبيّنت (إلى) أنّ السجن محبّب إلى يوسف عليه السلام. والمعنى الرابع: إذا جاءت مرادفة للام أو بمعناها؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ﴾ [النمل:33]؛ لأنّ الأمر ممّا يتعدّى باللام؛ أي: الأمر لك وإليك.

والمعنى الخامس: موافقتها (في)؛ نحو قوله تعالى: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [النساء:87]؛ أي: فيه. وكقول النابغة الذبياني معتذراً إلى النعمان بن المنذر:

فَلَا تَتْرُكْنِي بِالْوَعِيدِ كَأَنَّنِي إِلَى النَّاسِ مَطْلِي بِهِ الْقَارُ أَجْرَبُ³

أي: في الناس.

والمعنى السادس: الابتداء، وهي التي تكون بمعنى (من)؛ كقول الشاعر:

تَقُولُ وَقَدْ عَالَيْتُ بِالْكُورِ فَوْقَهَا أَيْسَقَى فَلَا يُرَوَى إِلَيَّ ابْنُ أَحْمَرَ⁴

أي: مني. والمعنى السابع: موافقة (عند)؛ كقول الشاعر:

أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى الشَّبَابِ وَذِكْرُهُ أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الرَّحِيقِ السَّلْسَلِ⁵

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص313.

² - ينظر: شرح التسهيل لابن مالك، تح: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، دار هجر، ط1، 1410هـ/1990م ج3، ص142.

³ - ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، ص73.

⁴ - البيت لابن الأحمر بن فَرَّاص الباهلي. ينظر: شعر عمرو بن أحمر الباهلي، جمعه وحققه: حسين عطوان مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سورية، ص84. وينظر: مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، ج1، ص497.

⁵ - البيت لأبي كبير الهذلي، ينظر: شعر الهذليين، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1995م، ج2، ص89.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

أي: أشهى عندي. والمعنى الثامن: التوكيد، وهي زائدة، وهذا اجتهاد الفراء¹ في تأويل قراءة قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: 37] بفتح الواو: تهوى. وَخُرِجَتْ على تضمين (تهوى) معنى (تميل)². وهذه المعاني الخمسة الأخيرة قليلة لم تأت عن القرطبي في تفسيره.

وأما (حتى)³ فمن معانيها في النحو: الغاية، وهو الغالب عليها، ثم قد تفيد التعليل. وتكون حتى جارة بمنزلة (إلى) في المعنى والعمل. قال تعالى: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: 5]. قال القرطبي: "أي إلى مطلع الفجر"⁴. وهذا كل ما ورد عن القرطبي في (حتى) الجارة.

وأما (في) فحرف جر، ذكر لها ابن هشام⁵ عشرة معان: أولها: الظرفية: زمانية أو مكانية. وقد اجتمعنا في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ [في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون] في بضع سنين⁶ [الروم: 2-4]. في أدنى: مكانية، في بضع سنين: زمانية.

والمعنى الثاني: المصاحبة بمعنى (مع)؛ نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [الأعراف: 38]. أي: ادخلوا معهم. وقوله تعالى: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [فصلت: 25]. ذكره القرطبي، والمعنى: هم داخلون مع الأمم الكافرة قبلهم فيما دخلوا فيه⁶.

والثالث: التعليل؛ نحو قوله تعالى: ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 14]. فما كان العذاب ليمسكم إلا لعله الإفاضة فيه، جاءت بهذا المعنى (في). والرابع: الاستعلاء بمعنى (على)؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا صَلْبَيْتُكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ﴾ [طه: 71]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: 84]. قال القرطبي في الآيتين بأن (في) بمعنى (على) والمعنى: على جذوع النخل، وهو القادر على السماء والأرض⁷.

¹ - ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج2، ص78.

² - ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، ج1، ص499.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص260-297.

⁴ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج22، ص397.

⁵ - ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، ج2، ص513-521.

⁶ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج18، ص412. وينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج4، ص58.

⁷ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج19، ص92.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

والخامس: مرادفتها للباء؛ كقول الشاعر:

وَيَرْكَبُ يَوْمَ الرُّوعِ مَنَا فَوَارِسَ بصيرونَ في طَعْنِ الأَبَاهِرِ وَالْكُلَى¹

أي: بطعن. وقوله تعالى: ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ [الشورى:11]. أي: بسببه. والسادس: مرادفتها لـ(إلى)؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ [إبراهيم:9]. أي: إلى أفواههم. والسابع: مرادفتها لـ(من)؛ كقول الشاعر:

أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَعْمَنَ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي²
أي: من العصر الخالي.

ومنها قوله تعالى: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ [النمل:12]. فهذا خطاب الله تعالى لنبيه موسى -عليه السلام- في حديثه عما أعطاه من آيات: (أَلْقِ عَصَاكَ) و(وَادْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) فهما آيتان من آيات الله؛ فقوله: (في تسع آيات) أي: من تسع آيات. قال القرطبي: "قد(في) بمعنى (من) لقربها منها؛ كما تقول: خذ لي عشرة من الإبل فيها فحلان؛ أي: منها"³. فهي دالة على التبعية.

والثامن: المقايضة؛ وهي الداخلة بين مفضلٍ سابق، وفاضلٍ لاحق؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَمَا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة:38]. فمتاع الدنيا مفضل، ومتاع الآخر فاضلٌ أفضل، و(في) بينهما جاءت للمقايضة.

والتاسع: التعويض؛ وهي الزائدة عوضاً من أخرى محذوفة؛ نحو قولك: (ضربتُ فيمن رغبتُ)، أصله: ضربتُ من رغبتُ فيه. والمعنى العاشر والأخير لـ(في): التوكيد؛ وهي الزائدة لغير تعويض؛ وأجازوها في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾ [هود:41]. أي: اركبوها.

وذكر لها القرطبي⁴ معنى آخر؛ فقد تكون بمعنى اللام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ [النحل:41]. والمعنى: هاجروا لله. كما قد تكون (في) بمعنى (عند) في نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت:26]. وتأويل

¹ - ينظر: ديوان زيد الخيل الطائي، نوري حمودي القيسي، مطبعة النعمان، النجف، 1968م، ص27.

² - ينظر: ديوان امرئ القيس، عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1425هـ/2004م، ص135.

³ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج16، ص111.

⁴ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج12، ص326.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

(عند) في الآية هو مخرج لمسألة كبيرة تحدّث عنها القرطبي، مما قد يُظن أنّ في القرآن لغوا، أو أنّ الشياطين قد ألبسوا على النبي ﷺ القرآن العظيم، فقال القرطبي: بأنّ معنى (في) هنا هو معنى (عند)، فاللغو وقع بجذاء قراءة النبي ﷺ للقرآن العظيم؛ "أي: ألقى الشيطان في قلوب الكفار عند تلاوة النبي ﷺ كقوله عز وجل: ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا﴾ [الشعراء:18]؛ أي: عندنا"¹. وفي هذا التأويل حجة وبراءة لنبيينا مما نسب إليه أنّه قاله ولم يقله. كما قد تكون (في) بمعنى الباء؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۖ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة:8-9]. فقد ذكر القرطبي أنّ (في) بمعنى الباء أي: موصدة بعمد ممدّدة².

وأما (الباء) فحرف جرّ بالكسر مطلقاً³؛ قال القرطبي في سبب اختصاصها بالكسر: "لينااسب لفظها عملها. وقيل: لما كانت لا تدخل إلا على الأسماء، خُصّت بالخفض الذي لا يكون إلا في الأسماء"⁴. وهي تدلّ على أربعة عشر معنى ذكرها ابن هشام في المغني⁵: فالأول هو الإلصاق وهو معنى لا يفارقتها⁶. وهو حقيقي ومجازي؛ فأما الإلصاق الحقيقي فنحو قولك: أمسكتُ بزيدٍ أي: أمسكتُ به حقيقةً أو بشيء منه. والإلصاق المجازي نحو قولك: مررت بزيد. أي: ألصقتُ مروري بمكانٍ يقرب من زيد.

والمعنى الثاني: التّعدية، أو النّقل، وهي المُعاقبة للهمزة في تصيير الفاعل مفعولاً؛ فنقول في: ذهب زيدٌ: ذهبَ بزيدٍ وأذهبتهُ. فتُعديّ بها الفعل اللازم كما تفعل الهمزة. ومنه قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة:17]. أي: أذهب الله نورهم. ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [النساء:170]. أي: جاءكم ومعه الحق، ذكره القرطبي وغيره⁷.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج14، ص428.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج22، ص474. وينظر: تفسير الطبري، ج24، ص624.

³ - ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، ج2، ص334.

⁴ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص154.

⁵ - ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، ج2، ص117-181.

⁶ - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، ص36.

⁷ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج7، ص228. وينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، تح: هاشم الرسولي المحلاتي وفضل الله اليزيدي الطباطبائي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ 1986م، ج3، ص220.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

وأما المعنى الثالث للباء فهو الاستعانة؛ وهي الباء الداخلة على آلة الفعل؛ كقولك: كتبتُ بالقلم؛ أي: استعنتُ بالقلم لأكتب. والمعنى الرابع السببية؛ وهي نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ﴾ [البقرة: 54]. أي: بسبب اتخاذكم العجل. وقوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾ [العنكبوت: 40]. فالأخذ كان بسبب ذنوبهم. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: 61]. فالباء للسبب؛ قال الأخفش: أي بعصيانهم¹.

والمعنى الخامس: المصاحبة؛ وهي التي تكون بمعنى (مع)². نحو قوله تعالى: ﴿أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾ [هود: 48]. أي: مع سلام منا. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ [المائدة: 61]. أي: دخلوا مع كفرهم، أو: وهم كافرون؛ أي: بمعنى كفرهم، أو: وهم يصطحبون كفرهم. وقوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الإسراء: 105]. قال القرطبي: "بمعنى (مع) أي: مع الحق. كقولك: ركب الأمير بسيفه؛ أي: مع سيفه"³.

والمعنى السادس: الظرفية. وهي التي تصلح (في) في موضعها؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ [آل عمران: 123]؛ أي: في بدر؛ الغزوة. وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ [القمر: 34]؛ أي: في سحر؛ والسحر جزء من الليل. وكذلك قوله تعالى: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد: 12]. فقد نقل القرطبي عن الفراء: أن الباء في (بأيمانهم) بمعنى (في)؛ أي: في أيمانهم. أو بمعنى (عن)؛ أي: عن أيمانهم⁴.

ونحوه قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: 18]. قال القرطبي: "ومعنى به أي: فيه أي: في ذلك اليوم لهوله. هذا أحسن ما قيل فيه... وقيل: به أي: له؛ أي: لذلك اليوم"⁵. يقال:

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج، ص 158. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج 1، ص 156. وينظر: معاني القرآن، الأخفش، ج 1، ص 108.

² - ينظر: شرح الرضي على الكافية، ج 4، ص 280.

³ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 13، ص 186.

⁴ - ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج 3، ص 132. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 20، ص 245.

⁵ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج 5، ص 390.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

فعلتُ ذلك بحرمتك وإحرمتك. والباء واللام و(في) متقاربة في مثل هذا الموضع. قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء:47]؛ أي: في يوم القيامة. وقيل: به أي: بالأمر. أي: السماء منفطرٌ بما يجعل الولدان شيبا. وقيل: منفطرٌ بالله؛ أي: بأمره.¹ فالمعنى الإعرابي يتغيّر بتغيّر تقدير الباء، والمعنى الدلالي يتغيّر بتغيّر المعنى الإعرابي.

والسابع دلالتها على البديل، فيحسُن الإتيان في موضعها بكلمة (بديل)؛ نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران:77]. قيل: الباء داخلة على المتروك². والمعنى الثامن للباء: المقابلة؛ وهي الداخلة على الأعواض، كقولك: اشتريتهُ بألفٍ وكافأتُ إحسانهُ بضِعْفٍ. ونحو قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:32]. أي: عوضكم عن عملكم بالجنة تدخلونها.

ومن حيث المعنى نفرّق بين العَوْض الذي نعنيه هنا، وبين السَّببية، إذ يبدو للبائى أنهما صنوان؛ قال ابن هشام: "لأنَّ الْمُعْطَى بِعَوْضٍ قد يُعْطَى مجاناً، وأمّا المسبّب فلا يوجد بدون السبب"³. وإنما ذكرنا الفرق هذا لنزيل ما قد يعترض من لبسٍ فهِمَّ البائى الظانّ تعارضاً وتناقضاً بين الآية آنفاً، وبين قوله ﷺ: "لا يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ"⁴. فنقول له: لا تعارض، إنّ الباء عوضٌ في الآية الكريمة وسببية في الحديث الشريف، ومعاني الإعراب أجَلَّتْ ذلك وأَعْرَبَتْهُ.

وأما المعنى التاسع للباء فالمجاوزه؛ مثل (عَن) وقيل تختصّ بالسؤال كقوله تعالى: ﴿فَسَأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان:59]. قال القرطبي: "قال الزجاجي: المعنى فاسأل عنه"⁵. وقيل: لا تختصّ بالسؤال؛ نحو قوله تعالى: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد:12]. أي: عن أيّمانهم.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج21، ص342.

² - ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، مصر، ج2، ص15.

³ - مغني اللبيب، ابن هشام، ج2، ص135.

⁴ - رواه الإمام أحمد في مسنده. ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 2008م، رقم الحديث: 7688، ج4، ص93.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج15، ص458. وينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاجي، ج4، ص73.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

ونحو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّامِرِ﴾ [الفرقان:25]. أي: تتشق عن الغمام. ورفض البصريون هذه الباء، وتأولوها سببية؛ فمعنى: فاسأل به خبيراً: فاسأل بسببه خبيراً¹.

وتعني الباء -عاشرا- الاستعلاء؛ وهي التي توافق (على). نحو قوله تعالى: ﴿مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ﴾ [آل عمران:75]؛ أي: تستأمنه على قنطار. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾ [المطففين:30]. أي: مروا عليهم. والمعنى الحادي عشر للباء: التبويض، وهي التي توافق (من) نحو قوله تعالى: ﴿عَيْنَا يَشْرِبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان:6]. قال الفراء: "يشرب بها، ويشربها: سواءً في المعنى"². ونقل القرطبي عن غيره: أنَّ الباء زائدة، والمعنى: يشربها. أو أنها بمعنى: (من)؛ تقديره: يشرب منها³.

والمعنى الثاني عشر للباء: الْقَسَمَ؛ وهو أصل أحرف القسم. فتقول: أقسم بالله لأفعلن، وبك لأفعلن. ومنه قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:1]. فالباء قَسَمَ. قال القرطبي: "بسم الله الرحمن الرحيم: قَسَمَ من ربنا، أنزله عند رأس كل سورة، يُقسم لعباده: إِنَّ هذا الذي وضعتُ لكم يا عبادي في هذه السورة حقٌّ، وإني أفي لكم بجميع ما ضمنْتُ في هذه السورة من وعدي ولطفي وبرِّي"⁴. فهي تفيد القسم. والمعنى الثالث عشر: الغاية، فتكون الباء بمعنى (إلى). نحو قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ [يوسف:100]. أي: وقد أحسن إليَّ.

والمعنى الرابع عشر والأخير للباء هو التوكيد، وهي التي تكون زائدة، وتُزاد في ستة مواضع: وهي الفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر والحال والتوكيد. فتكون زيادتها في الفاعل واجبة أو غالبية أو ضرورة؛ فالواجبة قولك: أحسنَ بزيدٍ؛ لأنها صيغة تفضيل. والغالبية في فاعل (كفى)

¹ - ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، ج2، ص338.

² - معاني القرآن، الفراء، ج3، ص215.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج21، ص456. وينظر: تفسير البغوي، ج8، ص293. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج5، ص410. وينظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص248.

⁴ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص142.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

كقوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 166]¹. وكذلك: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: 6].

والمعنى: كفى الله حاسباً لأعمالكم ومجازياً بها، والباء زائدة².

والضرورة كقوله:

أَلَمْ يَبْلُغْكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادٍ³

وأما المفعول فنحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195]. قال القرطبي: "التقدير:

تلقوا أيديكم، ونظيره: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: 14]⁴. والتقدير: ألم يعلم أن الله.

وتزاد في المبتدأ في قولك: بحسبك درهم؛ وقوله تعالى: ﴿بِأَيِّكُمْ أَلْمَقْتُونُ﴾ [القلم: 6]. قال

القرطبي: "الباء زائدة؛ أي: فستبصر ويبصرون أيكم المفتون؛ أي: الذي فتن بالجنون"⁵. وقال الفراء

بأن الباء بمعنى (في)؛ أي: في أيكم، والمعنى: في أي الفريقين المجنون⁶. وتُزاد في الخبر على

ضربين: غير موجب قينقاس؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 74]. وموجب

يتوقف على السماع؛ فنحو قوله تعالى: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ [يونس: 27]. أي: ما الله غافلاً وجزاء

سيئة مثلاً.

وتزاد في الحال المنفي عاملها، كقول الشاعر:

فَمَا رَجَعْتُ بِخَائِبَةٍ رِكَابٌ حَكِيمُ بْنُ الْمُسَيَّبِ مُنْتَهَا⁷

أي: رجعت خائبة. وتزاد الباء في التوكيد بالنفس والعين: وقيل منه قوله تعالى: ﴿وَأَلْمَطَلَقْتُ يَرْزَازَ

بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: 228]. أي: أنفسهن. ومما ذكره القرطبي من الباء الزائدة قوله تعالى:

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج7، ص227.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج6، ص78.

³ - البيت للشاعر قيس بن زهير العبسي. ينظر: شعر قيس بن زهير، عادل جاسم البياتي، مكتبة الآداب في النجف الأشرف، 1972م، ص29.

⁴ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3، ص259. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص264.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج21، ص144.

⁶ - ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج3، ص173.

⁷ - البيت للفحيف العقيلي. ينظر: شعر الفحيف العقيلي، حاتم صالح الضامن، المجمع العلمي العراقي، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الثالث، المجلد السابع والثلاثون، 1406هـ / 1986م، ص252.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ [البقرة:137]. قال القرطبي: "قالماتلة وقعت بين الإيمانيين، وقيل: إنّ الباء زائدة مؤكّدة"¹ والتقدير: آمنوا مثل². والزيادة لا تعني عدم المعنى؛ وإنما -كما ترى هنا- فهي زيادة للتوكيد.

وأما (اللام) فتكون للجرّ وتكون مكسورة مع الظاهر (لزيد)، ومفتوحة مع المضمّر (لنا). وذكر لها النّحاة³ اثنين وعشرين معنًى: فالمعنى الأول لها: الاستحقاق؛ وهي الواقعة بين معنى وذات نحو قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:1]. أي: الويل مستحقّ للمطففين. والثاني: الاختصاص؛ وهي الدّاخلّة بين ذاتين؛ نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [يوسف:78]. فالهاء والأب ذاتان، أُدخلت اللام عليهما للاختصاص.

والثالث: المِلْكُ؛ نحو قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة:255]. أي أنّه يملك ما فيهما. والرابع: التّملك؛ نحو: وهبْتُ لزيدٍ مالاً. فأنت إنّما ملّكتَه ما كنتَ تملكُه. والخامس: شبه التّملك؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل:72]. فهو تملك على المجاز.

والمعنى السّادس: التّعليل؛ نحو قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش:1]. كذا يُفهم من كلام القرطبي، في تخريجه مسألة: هل اللام هنا متصلة بالسورة التي قبلها، أم منقطعة ومتّصلة بما بعدها من آيات من السورة نفسها⁴. ونقل القرطبي عن الكسائي والأخفش⁵ أنها: لام التّعجب أي: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصّيف، وتركهم عبادة ربّ هذا البيت. وقيل: اللام بمعنى

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص417.

² - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج1، ص215.

³ - ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ج3، ص152-239.

⁴ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج22، ص496.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه، ج22، ص497. وينظر: تفسير البغوي، ج8، ص545، 546. وينظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ج9، ص239. وينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج5، ص293. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج5، ص526.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

(إلى). أي: ففعلنا بأصحاب الفيل هذا الفعل نعمةً منا على أهل البيت، إلى نعمتنا عليهم في رحلة الشتاء والصيف¹. أي: نعمة إلى نعمة، ونعمةً لنعمة؛ فاللام بمعنى إلى.

والسابع: تأكيد النفي؛ وهي التي يسميها النحاة: لام الجحود. نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: 179]. فهو نفيٌ مؤكّد. والثامن: موافقتها (إلى)؛ نحو قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: 2]. أي: إلى أجل مسمى. وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: 193]. فاللام بمعنى (إلى)؛ أي: إلى الإيمان. وقيل: هي لام أجل أي: لأجل الإيمان².

والتاسع: موافقتها (على)؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَيَخْرُجُونَ لِلْذِّقَانِ﴾ [الإسراء: 109]. قال القرطبي: "واللام بمعنى (على)؛ تقول: سَقَطَ لِفِيهِ؛ أي: على فيه"³. والعاشر: موافقتها (في)؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء: 47]. أي: في يوم القيامة. ونقل القرطبي⁴ عن الكسائي أنّ اللام بمعنى (في) في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: 25]. وقال البصريون: المعنى: لحساب يوم، واللام في موضعها⁵. وقال الطبري: لما يحدث في يوم⁶. وكذلك قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: 24]. ذكر القرطبي⁷ بأنّ المعنى: في حياتي؛ أي أنّ اللام بمعنى (في). وقد تكون اللام في بابها؛ أي: قدّمتُ عملاً صالحاً لحياتي؛ أي: لحياة لا موت فيها.

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج22، ص497. وينظر: معاني القرآن، الفراء، ج3، ص293. وينظر: تفسير الطبري، ج24، ص647.

² - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص476.

³ - المصدر نفسه، ج13، ص190. وينظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ج5، ص97.

⁴ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص79.

⁵ - ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص364.

⁶ - ينظر: تفسير الطبري، ج5، ص298، 299.

⁷ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج22، ص283.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

والحادي عشر: أن تأتي بمعنى (عند)؛ كقولك: (كتبتهُ لخمسي خلون). أي: عند خمسي.
والثاني عشر: موافقتها (بعد)؛ نحو قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء:78]. أي:
بعد ذلوك الشمس. والثالث عشر: موافقتها (مع)؛ كقول الشاعر:

فَلَمَّا نَفَرْنَا كَأَنِّي وَمَالِكًا لِطَوْلِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعًا¹

والرابع عشر: موافقتها (من)؛ نحو قولك: (سمعتُ له صُراخًا). أي: سمعتُ منه. والخامس عشر:
التبليغ؛ نحو: قلتُ له، وأذنتُ له. أي: أبلغتُ له قولي وإذني.

والسادس عشر: موافقتها (عن)؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا
مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف:11]. أي: عن الذين آمنوا؛ لأنها بعد القول؛ كذا قال ابن الحاجب².
ونقل القرطبي³ عن الفراء أن اللام بمعنى (عن) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾
[المجادلة:3]. قال الفراء: "يصلح فيها في العربية: ثم يعودون إلى ما قالوا، وفيما قالوا؛ يريد:
يرجعون عما قالوا"⁴.

والسابع عشر: الصيرورة، وتسمى لام العاقبة، ولام المال؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَأَلْتَقَطَهُ ءَالُ
فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص:8]. أي: ليؤول لهم عدوا. والثامن عشر: القسم
والتعجب معا؛ وتختص باسم الله تعالى؛ كقولك: (الله لا يبقى عليها أحدٌ إلا الله). فأنت تقسم
متعجبًا. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [البقرة:92]. فاللام في (لقد) للقسم⁵.
تفيد القسم المحقق بقْد؛ لأنَّ المقام يستدعي القسم تأكيدًا. وهذا هو الموضع الأصلي الذي يرد فيه
القسم: إمَّا شكٌّ أو تردُّدٌ أو تكذيبٌ أو غير ذلك؛ نحو قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء:87]. قال القرطبي: "واللام في قوله: (ليجمعنكم): لام

¹ - البيت لمتّم بن نويرة. ينظر: مالك ومتّم ابنا نويرة اليربوعي، ابتسام مرهون الصفار، مطبعة الإرشاد، بغداد 1968م، ص112.

² - ينظر: شرح الرضي على الكافية، ج4، ص285، 286.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج20، ص297.

⁴ - معاني القرآن، الفراء، ج3، ص139.

⁵ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص254.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

القسم؛ نزلت في الذين شكوا في يوم البعث، فأقسم الله تعالى بنفسه¹. ولحققتها نون التوكيد لتضيف معنى التوكيد للقسم.

والتاسع عشر: التعجب دون قسم؛ وتستعمل في النداء؛ كقولهم: (يا للماء، ويا للعشب) لكثرتهما. والمعنى المتمم عشرين: التعدية؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم:5]. والحادي والعشرون: التوكيد؛ وهي الزائدة؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف:154]. أي: يرهبون ربهم. وزيدت لتقوية عاملٍ ضَعْفَ لتأخره. ومواضعها كثيرة عند النحاة. منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج:26]. فاللام في إبراهيم زائدة للتوكيد؛ كذا نقل القرطبي عن الفراء².

ومما ذكره أيضا القرطبي من معاني اللام، الملك والإيجاب؛ في معرض قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم:39]. قال القرطبي شارحا معنى دقيقا من معاني هذه اللام وما توجبه للإنسان: "ولام الخفض معناها في العربية الملك والإيجاب، فليس يجب للإنسان إلا ما سعى، فإذا صدق عنه غيره، فليس يجب له شيء؛ إلا أن الله عز وجلّ يتفضل عليه بما لا يجب له، كما يتفضل على الأطفال بإدخالهم الجنة بغير عمل"³. وقيل: المقصود بالإنسان هو الكافر. وأما المؤمن فله ما سعى، وما سعى له غيره. وقيل: إن هذا الحكم كان في أمم سابقة، وأن هذه الأمة لها سعي غيرها. والأصل في تفسير مُشْكِل هذه الآية إنما هو في تحرير معنى اللام في قوله (للإنسان)، كما ذكر ابن عطية الأندلسي⁴.

وذكر القرطبي أنه تكون بمعنى الباء؛ في مثل قوله تعالى: ﴿فَأُولَىٰ لَهُمْ ۖ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد:20-21]. قال القرطبي: "أي: الطاعة أولى وأليق بهم، وأحقّ لهم من ترك امتثال أمر الله"⁵. وأما المعنى الثاني والعشرون والأخير: فهو التبیین؛ وهي ما تبين الفاعل من

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج6، ص502.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج14، ص358. وينظر: معاني القرآن، الفراء، ج2، ص223.

³ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج20، ص55.

⁴ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج5، ص206.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج19، ص272. وينظر: تفسير البغوي، ج7، ص286.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

المفعول؛ نحو قولك: ما أحببني لفلانٍ وما أبغضني له، فأنت فاعل الحب والبغض، وإن قلت: إلى فلان؛ فأنت مفعولهما.

وزاد القرطبي أن تكون اللام بمعنى (على) أو بمعنى البدل. قال تعالى: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا﴾ [الزخرف:33]. قال القرطبي: "وقيل: اللام في (لبيوتهم) بمعنى (على)؛ أي: على بيوتهم. وقيل: بدل؛ كما تقول: فعلتُ هذا لزيدٍ لكرامته"¹، وفي الآية: جعلنا بدل كفرهم بالله سُقْفًا من فضة لبيوتهم.

أما (رُبَّ) فحرف جرّ يدلّ على التقليل والتكثير. فمن دلالتها على التكثير قوله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:2]. فما أكثر ما يتمنى الكافرون ذلك. ومن دلالتها على التقليل، قول الشاعر مُلْعَزًا:

أَلَا رُبَّ مَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ وَذِي وَلَدٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبَوَانِ²

والمقصود في الصّدر عيسى -عليه السلام-، وفي العَجْز آدم -عليه السلام-. وهما قليلا بين البشر.

وأما (واو رُبَّ)، فتأتي للدلالة على (رُبَّ) المحذوفة، نحو قول الشاعر:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي³

فقوله: وليل؛ أي: رُبَّ ليل.

و(واو القسم) كثيرٌ ورودها في القرآن العظيم؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾

[يس:2]. أقسم الله تعالى بالقرآن. وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ وَلَحِقُّ﴾ [يونس:53]. الواو في:

(وَرَبِّي): قَسَمٌ⁴. وهو قسم ورد في معرض حوارٍ تحدّ يستوجب التوكيد لهم. وكذلك: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا

وَارِدُهَا﴾ [مريم:71]. قال القرطبي: "هذا قَسَمٌ والواو يتضمّنه"⁵. والواو أمّ في باب القسم.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج19، ص38، 39.

² - البيت لرجل من أزد السّراة، وقيل: لعمر بن الجني. ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ج2، ص324.

³ - البيت لامرئ القيس في معلقته. ينظر: ديوان امرئ القيس، ص48.

⁴ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج11، ص8.

⁵ - المصدر نفسه، ج13، ص491. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج4، ص27.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

و(تاء القسم) هي تاء متحركة في أوائل الأسماء؛ وتختص باسم الله تعالى، وتختص بالتعجب¹. قال تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: 57]. فهذا قسم إبراهيم النبي -عليه السلام-، توعد نمرود بتحطيم أصنامهم. وقال الزمخشري في هذه الآية: بأن الباء هي أصل أحرف القسم، والواو بدل منها، "والتاء بدل من الواو المبدلة، وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب، كأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأثيره؛ لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته وتعدّره"².

و(عن) حرف جرّ ذكر له ابن هشام الأنصاري عشرة معانٍ³: أولها المجاوزة؛ نحو قولك: (سافرتُ عن البلد). ومنه قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: 46]. ومجاوزة الشيء: تجاوزه والانفصال عنه والخروج عنه. والثاني: البذل؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: 48]. أي: لا تجزي نفس بدل نفس أخرى.

والثالث: الاستعلاء؛ أي: بمعنى (على)؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [محمد: 38]؛ أي: على نفسه. والرابع: التعليل؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ [التوبة: 114]. أي: إلا لسبب وعلة هي: أنه قد قطع له موعداً. والخامس: مرادفة (بعد)؛ نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَدِيمِينَ﴾ [المؤمنون: 40]. أي: بعد قليل.

والسادس: الظرفية بمعنى (في)؛ كقول الشاعر:

وَأَسِ سِرَاةَ الْحَيِّ حَيْثُ لَقِيَتْهُمْ وَلَا تَكُ عَنْ حَمْلِ الرِّبَاعَةِ وَإِنِّيَا⁴

والشاهد: عن حمل الرباعة؛ والتقدير: في حمل الرباعة. والسابع: مرادفة (من)؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى: 25]. أي: من عباده. والثامن: مرادفة الباء؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: 3]. أي: وما ينطق بالهوى. والتاسع: الاستعانة؛ نحو قولهم:

¹ - ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ج2، ص211، 212.

² - الكشاف، الزمخشري، ج4، ص151.

³ - ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ج2، ص393-404.

⁴ - البيت للأعشى ميمون بن قيس. ينظر: ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح: محمد حسين، مكتبة الآداب ص329.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

(رميْتُ عن القوس)؛ لأنَّهم يقولون: رميْتُ بالقوس. والعاشر: تكون زائدة عوضاً عن أخرى محذوفة؛ نحو قول الشاعر:

أَتَجَرَّعُ إِنَّ نَفْسَ أَتَاهَا حِمَامُهَا فَهَلَّا لَتِي عَنْ بَيْنِ جَنْبَيْكَ تَدْفَعُ¹

أي: تدفع عنها. وبعض هذه المعاني قليلة لم ترد في تفسير القرطبي أمثلتها.

و(على) حرف جرٍّ له تسعة معانٍ²: أولها الاستعلاء؛ حسياً كان أو معنوياً. فالجسِّيُّ نحو

قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: 22]. والمعنوي³ كقوله تعالى: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى

بَعْضٍ﴾ [البقرة: 253]. ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾

[البقرة: 102]. نقل القرطبي⁴ عن غيره أنَّ معناها: على عهد مُلك سليمان⁵. وقيل: المعنى في ملك

سليمان بمعنى في قصصه وصفاته وأخباره. وقيل: على شرعه ونبوته وحاله⁶. فقد تكون (على)

على بابها من الاستعلاء المعنوي، وقد تكون بمعنى (في) على رأي الفراء⁷.

والثاني: المصاحبة مثل (مع)؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [البقرة: 177]؛ أي:

أتى المال مع حبه له. وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج: 7]. قال القرطبي:

"وقيل: (على) بمعنى (مع)؛ أي: وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين شهود"⁸. والثالث: المجاوزة مثل

(عن)؛ نحو قول الشاعر:

إِذَا رَضِيتَ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعَجَبَنِي رِضَاهَا⁹

أي: إذا رضيت عني.

¹ - البيت لرزين بن الملوح. ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ج2، ص403، 404.

² - ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ج2، ص372-385.

³ - ينظر: همع الهوامع، السيوطي، ج2، ص355.

⁴ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص271.

⁵ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج1، ص185. وينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج1، ص183.

⁶ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج1، ص185.

⁷ - ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج1، ص63.

⁸ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج22، ص194.

⁹ - البيت للقحيف العقلي. ينظر: شعر القحيف العقلي، ص252.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

والرابع: التعليل كاللأم؛ نحو قوله: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة:185].
 أي: كبروه لأجل هدايته لكم، وكبروه لسبب أن هداكم. والخامس: الظرفية مثل (في)؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [القصص:15]. أي: في حين غفلة من أهلها.
 والسادس: موافقة (من)؛ نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين:2]. أي: اكتالوا منهم. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:6]. قال القرطبي: "على: بمعنى: من؛ أي: من الله رزقها"¹. وهذا حسن؛ تأدبا مع الله تعالى.

والسابع: موافقة الباء؛ نحو قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ [الأعراف:105]. أي: حقيقٌ وجدير بأن لا أقول على الله إلا حقاً وصدقاً. والثامن: أن تكون (على) زائدة؛ نحو قول الزجاج:

إِنَّ الْكَرِيمَ وَأَبِيكَ - يَعْتَمِلُ
 إِنْ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَتَّكِلُ²

وزيادتها هنا للتعويض عن كلمة محذوفة؛ أي: من يتكل عليه. والتاسع: أن تكون للاستدراك والإضراب؛ كقولهم: (فلان لا يدخل الجنة لسوء صنيعه على أنه لا ييأس من رحمة الله)، والتقدير: ولكنه لا ييأس.

وذكر القرطبي³ أنها قد تكون بمعنى (عند)؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء:17]. أي: إنما التوبة عند الله. وهذا حسن، تأدبا مع الله تعالى. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام:30]؛ قال القرطبي: "أي عند ملائكته وجزائه، وحيث لا سلطان فيه لغير الله عز وجل. تقول: وقفتُ على فلان؛ أي: عنده"⁴.

و(الكاف) تكون جارة على خمسة معانٍ⁵: أولها: التشبيه؛ نحو: (زيدٌ كالأسد). والثاني: التعليل؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَيَكَاذِبُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص:82]. والثالث: الاستعلاء؛ على

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج11، ص71.

² - ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ج2، ص379.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج6، ص150.

⁴ - المصدر نفسه، ج8، ص356.

⁵ - ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ج3، ص7.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

ما روي أنه قيل لأحدهم: كيف أصبحت؟ فقال: كخير؛ أي: على خير. والرابع: المبادرة، وذلك إذا اتصلت بـ(ما)؛ كقولك: (سلم كما تدخل)؛ أي: سلم بمجرد الدخول؛ أي: مبادرا. والخامس من المعاني: التوكيد؛ وهي الزائدة؛ نحو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]؛ أي: ليس مثله شيء¹.

و(مذ ومنذ) تكون حرف جر بمعنى (من) إن كان الزمان ماضيا: (ما رأيته مذ/ منذ يوم الجمعة). وتكون بمعنى (في) إذا كان الزمان حاضرا: (ما رأيته مذ/ منذ يومنا)، وبمعنى (من) و(إلى) جميعا، إذا كان معدودا؛ نحو: (ما رأيته مذ/ منذ ثلاثة أيام)². هذه أهم معانيها الإعرابية. و(حاشا) حرف استثناء يجر المستثنى بعده، فهي بمنزلة (إلا)³. كأن تقول: (ضربتُ القومَ حاشا زيد). و(عدا) حرف جار للمستثنى؛ كأن تقول: (جاء القومُ عدا زيد)⁴. و(خلا) للاستثناء تجر المستثنى؛ كقولك: (قام القومُ خلا زيد)⁵. وهذه كذلك قليلة لم أقف على مثال لها عند القرطبي في التفسير.

4. نزع الخافض:

قد يُحذف حرف الجر، الذي كان يعمل الجر في الاسم بعده، فينتصب الاسم بعده، فيتعدى الفعل إليه رأسا دون واسطة الحرف؛ من ذلك قولهم: اخترتُ الرجال زيدا، فالفعل اختار مما يتعدى إلى مفعول واحد دون حرف جر، ويتعدى للآخر به⁶، والتقدير: اخترتُ من الرجال زيدا، أو: اخترتُ زيدا من الرجال. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف: 155].

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 18، ص 449.

² - ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ج 4، ص 244، 245.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ج 2، ص 256.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ج 2، ص 369.

⁵ - ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ج 2، ص 311.

⁶ - ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، ج 8، ص 50.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

قال القرطبي: "مفعولان؛ أحدهما حُذِفَتْ منه من¹. أي: اختار موسى من قومه سبعين رجلاً. وهذا الحذف مسموع، لا يجوز القياس عليه².

وما يهمننا في هذا الباب هو دواعي هذا الحذف أو النزع، وأغراضه. فلم حذفت العرب الجار، واستغنت عنه في كلامها؟ ذكروا لذلك أغراضاً عدّة؛ منها كثرة الاستعمال³؛ وهذه عادة العرب في كلامها؛ قال سيبويه: "وما حُذِفَ في الكلام لكثرة الاستعمال كثير"⁴. وهذه الكثرة "تُشْعِرُ بالمحذوف إشعاراً كالقرائن الحالية والمقالية"⁵. فالكثرة أو الشيوع مسوّغ قويٌّ للحذف. فإذا شاع استعمال فعلٍ ما دون حرف الجر، جاز حذفه.

ومن معاني الحذف هذا وأغراضه، ليس في نزع الخافض فقط، وإنما في جميع أبواب النحو، هو التخفيف⁶. فكثرة الاستعمال التي ذكرناها من حيث كونها داعياً من دواعي الحذف إنّما كانت لغرض التخفيف، بجميع مظاهره؛ الإفرادية والتركيبية وغيرها. وقد ذهب بعضهم إلى "أنّ العرب كانوا يستقلّون حروف الجرّ، ويكرهونها، ويعتّون حذفها من كلامهم ضرباً من الإيجاز البلاغي"⁷. كما يجنحون للحذف لغرض الاختصار والإيجاز في الكلام؛ لأنّ في الاستطالة ثقلاً. وقد يحذفون للتوسع؛ كما أنشد سيبويه عن عامر بن الطفيل:

فَلَا بُغْيَ لَكُمْ قَنَّا وَعُورِضًا وَلَأَقْبِلَنَّ الْخَيْلَ لَابَةً ضَرْعَدِ⁸

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج9، ص347.

² - ينظر: دراسة نقدية في التفكير النحوي العربي، صالحة حاج يعقوب، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 1435هـ. 2014م، ص52.

³ - ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1998م ص31، 32.

⁴ - الكتاب، سيبويه، ج2، ص130.

⁵ - الأمالي النحوية، ابن الحاجب، تح: هادي حسن حمودة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ج2، ص143.

⁶ - ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، ص99 وما بعدها.

⁷ - نزع الخافض في الدرس النحوي، حسين بن علوي بن سالم الحبشي، رسالة ماجستير، جامعة حضرموت، قسم اللغة العربية، اليمن، 1425هـ، ص27.

⁸ - ينظر: ديوان عامر بن الطفيل، دار صادر، بيروت، لبنان، 1399هـ / 1979م، ص55. وفي الديوان: فَلأُبغِينَكُم المَلا وعُورِضَا * ولأُورِدَنَّ الخَيْلَ لَابَةً ضَرْعَد. والمَلا: مَنَسَع من الأرض، وعُورِض: جبل لبني أسد، واللابة: الحرة من الأرض، والضرعَد: حرة لغطفان.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

أي: بقنا وعوارض¹. ويرى سيبويه² أنّ الحذف لأجل الاتساع أكثر من أن يُحصى.

لهذا فإن الحذف أو النزع لا يكون دون معنى، وفي القرآن العظيم الأمر أولى؛ منها قوله تعالى: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف:155]. فإنّ لهذا الحذف سرا؛ فقد ذكروا أنّ في إسقاط حرف الجر نعيًا على بني إسرائيل لكثرة تمرّدهم وعصيانهم، ودوام مخالفتهم لنبيّهم. حتّى كأنّه لم يجد فيهم خيارًا غير هؤلاء السبعين، فهم القوم كلّ القوم في ميزان الطاعة والصلاح. وفي ذلك ما فيه من التلميح بكثرة العاصين وقلة الصالحين فيهم.³

ومن أبواب نزع الخافض أطرادُه منزوعا مع أنّ وأنّ، وقد ورد كثيرا في تفسير القرطبي⁴. ومن أمثله قوله تعالى: ﴿وَتَرَعَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء:127]. حين افتُرِضَ أطرادًا تقديرُ الجار المحذوف، اختلفت الدلالة باختلاف تقدير المحذوف عند النحاة والمفسرين، فقد قيل: المعنى: وترغبون عن أن تنكحوهن. وقيل: ترغبون في أن تنكحوهن⁵. وهما معنيان متضادّان. قال ابن عطية: "إنّ كانت الجارية غنيّة جميلة فالرغبة في نكاحها، وإنّ كانت بالعكس فالرغبة عن نكاحها"⁶. فتقدير (عن) يقتضي دلالة الإعراض والنأي عنهن، وتقدير (في) يقتضي الحرص عليهن والميل إليهن.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة:148]. قال القرطبي: "أي: إلى الخيرات. فحذف الحرف؛ أي: بادروا ما أمركم الله عز وجل"⁷. وذكروا أنّ معنى هذا الحذف: دل على ما يجب أن يكون عليه المؤمن من المبادرة والمسارة إلى فعل الخيرات، حتّى لكأنّ المؤمن في سباق لا ينتهي بهم عند الخيرات، فإنّه لو قال: فاستبقوا إلى الخيرات، لكان المعنى: يشير إلى

¹ - ينظر: الكتاب، سيبويه، ج1، ص214. وينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، ص103.

² - ينظر: الكتاب، سيبويه، ج1، ص215.

³ - ينظر: من أسرار نزع الخافض في القرآن الكريم، يوسف بن عبد الله الأنصاري، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج16، ع28، شوال 1424هـ، ص713.

⁴ - ينظر مثلا: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص359، 364. ج10، ص381، 498. ج11، ص45...

⁵ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج7، ص160. وينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج2، ص115. وينظر: تفسير البغوي، ج2، ص293.

⁶ - المحرر الوجيز، ابن عطية، ج2، ص118.

⁷ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص450.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

الانتهاء عند غاية الخيرات؛ لأن معنى (إلى): انتهاء الغاية. وفرق كبير بين أن تكون غاية الإنسان الوصول إلى الخيرات، وأن تنتهي رحلته عندها، وبين أن يكون المؤمن في سباق دائم مع غيره رغبةً في نيل رضا الله تعالى والفوز بجناته¹.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ [البقرة:233]. رأي الجمهور ورأي القرطبي أن التقدير: تسترضعوا لأولادكم؛ أي: تسترضعوا أجنبية لأولادكم². وقيل: إن معنى هذا النزاع للخافض هو الكشف عن رغبة الآباء وحرصهم على إرضاع أولادهم، وإيصال الرضاعة إليهم بلا واسطة مريض أو غيرها، لو أنهم استطاعوا إلى ذلك سبيلا³.

وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا آَعُوْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف:16]. قال القرطبي: "صراطك: منصوب على حذف (على) أو (في)"⁴، كما حكى سيبويه: ضرب زيد الظهر والبطن⁵؛ أي: على الظهر والبطن. وحذف الخافض من هذه الآية قد يدل على رغبة إبليس الأكيدة والحريصة على الاستيلاء والاستحواذ على الصراط الموصل إلى الله تعالى، ليسد على بني آدم كل سبيل إلى الله، مبالغة منه في إغوائهم جميعا⁶. وهكذا هي الحال في عموم مواضع نزاع الخافض. يُراد تحقيق الفعل دون واسطة، دلالة على المبالغة، فيقع الفعل على المنصوب بنزع الخافض لتحقيق هذه الدلالة.

¹ - ينظر: من أسرار نزاع الخافض في القرآن الكريم، يوسف بن عبد الله الأنصاري، ص725.

² - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج4، ص123. وينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج1، ص314. وينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص37.

³ - ينظر: من أسرار نزاع الخافض في القرآن الكريم، يوسف بن عبد الله الأنصاري، ص728.

⁴ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج9، ص172.

⁵ - ينظر: الكتاب، سيبويه، ج1، ص36، 158، 214.

⁶ - ينظر: من أسرار نزاع الخافض في القرآن الكريم، يوسف بن عبد الله الأنصاري، ص735.

5. الضمير العائد:

يعدّ الضمير أحد المعارف الستة¹، والضمائر في العربية قسمان: ظاهرة ومستترة مقدّرة. والضمائر الظاهرة نوعان: منفصلة ومتّصلة. والضمائر المتصلة هي ما تعود بالإشارة والإحالة على مذكور سابق أو لاحق؛ فنقول: أمّا زيد فقد أكرّمته: فالهاء في (أكرّمته) ضمير عائد على زيد. أو تقول: ولستُ أفعله ذلك الذي أمرتني به؛ فالهاء في قولك: (أفعله) عائدة على لاحق.

وفائدة ذكرنا لهذه الضمائر، وتعيين ما تعود عليه يفيد في تماسك المعنى؛ فمن خصائص التركيب العربي أن يتفادى تكرار بعض المتحدّث عنه، فيستعيضُ المتكلّم بالضمائر إذا طال الكلام وتعددت الأحداث المسندة إلى مذكور معيّن، وهذا ما درجت عليه العرب في كلامها، من مثل قولك: اعبد ربّك واستغفره وتوكّل عليه ولا تشرك به شيئاً؛ تستعيض بهذه الضمائر عن قولك مطيلاً: اعبد ربك واستغفر ربك وتوكّل على ربك ولا تشرك بربك شيئاً. فهو اختصار في اللفظ وتماسك في المعنى.

على أن الأصل في كلام العرب أن يعود عندهم الضمير الغائب على مذكور سبق، أو إلى أقرب مذكور. إلا أنّهم قد يجنحون إلى تأخير المذكور عن ضميره، ونراه تأخيراً مجازياً أو بلاغياً؛ "لأجل تفخيم الكلام وتعظيمه في نفس السامع، ولا يخفى ما لهذا الأسلوب من دور في تشويق السامع"²؛ لأنّ الأمر إذا لم يذكر، وكان مبهماً، جعل ذلك القارئ يذهب بذهنه كلّ مذهب في توقّع المقصود. فيكون أوقع وأبلغ في نفس السامع عند معرفته المقصود فيما بعد، وهذا مصداقاً لقول ابن يعيش: "وهذا إنّما يفعلونه عند إرادة تعظيم الأمر وتفخيمه، فيُكثّنون عن الاسم قبل جريّ ذكره، ثمّ يفسّرونه بظاهر بعد البيان، وليس هذا بمطرّد في الكلام، وإنّما يخصّون به بعضاً دون بعض"³.

لذا فإنّ الأصل كما قلنا، أن يتقدّم المعاد على العائد؛ إلا لغرض في نفس المتكلّم. وهذا التفخيم هو ما اصطلح عليه النحاة بضمير الشأن، والشأن يقصدون به أنّ المذكور المعنيّ

¹ - الضمير، واسم العَلَم، واسم الإشارة، والاسم الموصول، والمُعَرَّف بآل، والمُضاف إلى أحد هذه المعارف.

² - الضمير العائد على ما بعده ومفسّره مفرد (دراسة نحوية دلالية)، كريم ذنون داؤد سليمان وعمر محمد عوني عبد القادر، مجلة التربية والعلم، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق، مج16، ع1، 2009، ص234.

³ - شرح المفصل، ابن يعيش، ج8، ص28.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

بالضمير ذو شأن عظيم؛ لهذا فإنّ ضمائر الشأن هي من الضمائر التي تعود على لاحق. والضمير العائد الغائب، لا يُتَبَيَّن معناه إلا بذكر المُعاد عليه أو المرجع الذي يرجع إليه. من أجل ذلك فإنّ في القرآن العظيم ضمائر عائدة عديدة، كلّما اختلف المفسرون والنحاة في تأويل المعاد عليه كلما اختلف المعنى وتغيّرت الدلالة، وسنرى في بعض الأمثلة كيف تتغير الدلالة بتغير تعيين العائد.

قلنا قبل: إنّ أصل المرجع أن يُذكر قبل الضمير العائد عليه، حتى لا ينبهم المعنى على السامع، لكن لا مانع من تأخير المرجع إذا كان المتكلّم يقصد إلى الإبهام على السامع، وتلبس الدلالة عليه، ومن أمثلة ذلك في القرآن العظيم قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:46]. فالهاء في (إنّها) عائدة على الأبصار¹، فقد أفهم ثم فسّر، إكباراً في نفس المتلقّي لحالة هؤلاء الكفار، الذي ينكرون الحق على ما لهم من عقول وعيون وآذان سليمة. وإنّما كان ذلك لأنّ العمى الحقيقي عمى القلوب لا العيون.

وقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة:45]. اختلف في الذي تعود عليه الهاء في قوله: إنّها لكبيرة؛ هل على الصلاة، أم على الصبر المقصود به هنا الصيام. وحكى القرطبي عن غيره² أنّها تعود على الصلاة وحدها؛ لأنّها تكبر على النفس ما لا يكبر الصوم، فالصلاة سجنُ النفوس، والصوم منعُ النفس من شهوة الطعام والشراب النساء فقط. أمّا الصلّة فممنوع صاحبها من كل الشهوات؛ حتى من الكلام والمشي والنظر. فمكابدتها أشق. لذا فهي تكبرُ وتشقّ على النفس. وقيل غير ذلك³، إلا أننا نرتضي هذا القول لما فيه من تعليل مستساغ.

وقد يحتمل الضمير أكثر من مرجع على حدّ سواء؛ في نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة:97]. قال القرطبي: "الضمير في (إنّه)

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج14، ص419.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص68. وينظر: تفسير الطبري، ج1، ص621. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ج1، ص137.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص68، 69.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

يحتمل معنيين: الأول: فَإِنَّ الله نَزَّلَ جَبْرِيلَ عَلَى قَلْبِكَ. الثاني: فَإِنَّ جَبْرِيلَ نَزَّلَ بِالْقُرْآنِ عَلَى قَلْبِكَ¹.
فأَيُّ تَقْدِيرٍ قَدَّرْتَ اخْتَلَفَ الْمَعْنَى وَجَازَ ذَلِكَ.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [البقرة: 177]. اخْتَلَفَ فِي الْهَاءِ؛ فَقِيلَ: إِنَّهَا تَعُودُ عَلَى صَاحِبِ الْمَالِ؛ أَيْ: مَعْطِيهِ، وَالْمَفْعُولُ مَحْذُوفٌ وَهُوَ الْمَالُ. وَقِيلَ: تَعُودُ الْهَاءُ عَلَى الْمَالِ؛ أَيْ: عَلَى حُبِّ الْمَالِ. وَقِيلَ يَعُودُ الضَّمِيرُ عَلَى الْإِيتَاءِ؛ أَيْ: يَنْفِقُ وَهُوَ مُحِبٌّ لِلْإِنْفَاقِ وَإِيتَاءُ الْمَالِ؛ وَقِيلَ أَيْضًا يَعُودُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ أَيْ: يُؤْتِي مَالَهُ لِحُبِّهِ اللَّهُ تَعَالَى². وَهَذِهِ التَّأْوِيلَاتُ جَائِزَةٌ مُسْتَسَاغَةٌ، فَكُلَّمَا تَعَدَّدَ الْمَعَادُ أَوْ الْمَرْجِعُ كُلَّمَا اتَّسَعَ الْمَعْنَى وَتَعَدَّدَتِ الدَّلَالَةُ، وَهَكَذَا الْأَمْرُ فِي سَائِرِ حَالَاتِ عَوْدِ الضَّمِيرِ عَلَى مَرَاجِعِ عِدَّةٍ جَائِزٌ كُلُّ مِنْهَا.

6. الشَّرْطُ:

الشَّرْطُ هُوَ تَلَازِمٌ بَيْنَ قَضِيَّتَيْنِ، أَوْ هُوَ تَعَالُقٌ بَيْنَ مَعْنِيَيْنِ، أَوْ لِنَقْلِ: تَرَابُطٌ بَيْنَ حَدِيثَيْنِ. فَتَقْهَمُ مِنْ حَدُوثِهِ فِي الْجُمْلَةِ أَنَّ هُنَاكَ أَمْرًا مُتَعَلِّقًا فِي حَدُوثِهِ بِأَمْرٍ آخَرَ؛ تَعَلُّقٌ عَلَى سَبِيلِ الشَّرْطِيَّةِ التَّلَازِمِيَّةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَصُورُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: 7]. فَإِنَّ نَصْرَ اللَّهِ لَا يَنْزِلُ إِلَى عِبَادِهِ وَلَا يَتَحَقَّقُ لَهُمْ إِلَّا بِجَوَابِ الشَّرْطِ، وَهِيَ الْقَضِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: أَنْ نَنْصُرَ اللَّهَ، وَنَتَمَسَّكَ بِحَبْلِهِ الْمَتِينِ، وَدِينِهِ الْقَوِيمِ، وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَقَدْ تَحَدَّثَ النُّحَاةُ عَنْ دَلَالَاتِ الْإِرْتِبَاطِ فِي أَسْلُوبِ الشَّرْطِ؛ وَهِيَ دَلَالَةٌ رَئِيسَةٌ يُوَدِّعُهَا هَذَا الْأَسْلُوبُ ضَمْنَ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ عَامَةً. وَهَذَا الْأَسْلُوبُ يَتَكُونُ فِي الْعَادَةِ مِنْ ثَلَاثَةِ عُنَاصِرٍ: أَدَاةُ الشَّرْطِ، وَهِيَ الَّتِي تَرْتَبِطُ بَيْنَ الْمُتَشَارِطَيْنِ، وَعُنْصُرٌ يُسَمَّى جُمْلَةُ الشَّرْطِ، وَعُنْصَرٌ آخَرُ يُسَمَّى: جَوَابُ الشَّرْطِ. مِثَالُهُ قَوْلُكَ: إِنْ تَجْتَهَدُ تَنْجَحْ. فَإِنَّ حَرْفَ شَرْطٍ، وَتَجْتَهَدُ: جُمْلَةُ الشَّرْطِ، وَتَنْجَحُ: جَوَابُ الشَّرْطِ.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص261، 262.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص60، 61، 62.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

وحديث النحاة قديما عن دلالات جملة الشرط كان قليلا، وإنما كان تناولهم لها تناولاً تركيبياً نحوياً. ومنها ما ذكره ابن يعيش¹ من أن (إن) وهي أم باب الشرط، تفيد الشك، أي: لا تستعمل إلا في الأمر المشكوك فيه؛ لذا لا يجوز أن تقول: إن طلعت الشمس أتتك؛ لأنها ستطلع لا محالة يقيناً؛ إلا في اليوم المغيم، فيجوز ذلك. قال ابن يعيش: إن مبهمة لا تستعمل إلا في المشكوك فيه. ويرى أن (إذا) تستعمل لليقين؛ فتقول: إذا طلعت الشمس فأتني. لذا فإن (إن) للشك و(إذا) لليقين. لذا فإن استعملت (إذا) فإن الأمر واقع لا محالة، وإن كان الأمر غير مُتأكد من حصوله ووقوعه فتستعمل (إن)، قال ابن يعيش: "وتقول: إذا أقام الله القيامة عذب الكفار، ولا يحسن: إن أقام الله القيامة؛ لأنه يجعل ما أخبر الله تعالى بوجوده مشكوكاً فيه"². وتدخلها (ما) فتقول: إما تأتني آتاك. أي: إن ما، و(ما) تفيد التوكيد، أكدت المعنى الذي جاءت لأجله (إن)³.

والى جانب (إن) و(إذا) نذكر (أما)، وهي شرطية تفيد التفصيل؛ إذا أردت أن تفصل شيئاً من أجل ذلك دخلت الفاء في جوابها لتفيد الشرط⁴. و(إذن) تفيد الجواب والجزاء؛ "يقول الرجل: أنا آتيك، فتقول: إذن أكرمك. فهذا الكلام قد أجبت به، وصيرت إكرامك له جزاءً له على إتيانه"⁵. وهذا معنى آخر ينضاف إلى معاني جملة الشرط.

ومثل (إن) (لو)؛ إلا أن (إن) تجعل الفعل للاستقبال ولو كان ماضياً، وأما (لو) فتجعله للمضي ولو كان للاستقبال⁶؛ نحو قوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾ [الحجرات: 7]. أي: لو أطاعكم. فدالتهما زمانياً متضادتان؛ تدخل إن الشرطية على الجملتين فتوجههما إلى الاستقبال، وتدخل لو فتوجههما إلى الماضي. (ولو) تفيد امتناع الثاني لامتناع الأول. وقال ابن الحاجب⁷: بل هي امتناع الأول لامتناع الثاني؛ وذلك لأن الأول سبب، والثاني مسبب.

¹ - ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، ج 9، ص 4.

² - المصدر نفسه، ج 9، ص 4.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ج 9، ص 5.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ج 9، ص 11. وينظر: شرح الرضي على الكافية، ج 4، ص 466.

⁵ - ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، ج 9، ص 12.

⁶ - ينظر: المصدر نفسه، ج 8، ص 155.

⁷ - ينظر: شرح الرضي على الكافية، ج 4، ص 451.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

وبحث الدارسون المعاصرون عن علاقة الترابط بين جملة الشرط وجوابه، وقالوا بأن هذا الارتباط لا يخرج عن ثلاثة أقسام: ارتباط سببي، أو ارتباط تلازمي، أو ارتباط تقابلي¹. وهذه التقسيمات الثلاثة هي تقسيمات دلالية، نضيفها إلى الدلالة العامة للجملة الشرطية. فأما الترابط السببي فقولك: **إِنْ تَفَزَّ تَتَلَّ جَائِزَةٌ؛ فَإِنَّ نِيلَ الْجَائِزَةِ سَبَبُهَا الْفَوْزُ.**

وأما الترابط التلازمي؛ فهو أن لا يكون جزء سبب للجزء الآخر، وإنما يكون العنصران متلازمين معا؛ نحو قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت:5]. فلا سببية بينهما، وإنما لقاء الله ومجيء الأجل أمران يتحققان ويتلازمان. وأما الارتباط التقابلي، فيكون فيه الربط بين الجزأين على صورة التقابل، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِأَقْوَلٍ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:7]. فالارتباط بين (تجهر بالقول) وبين (يعلم السر وأخفى): قائم على وجه المقابلة بين الجهر والسر، فالجهر صفة بشرية تشير إلى ضعف المخلوق، بإزاء عظمة الخالق سبحانه وتعالى الذي يمتد علمه إلى خبايا الأمور.

وسار القرطبي على سنن النحاة قبله، إذ ذكر كثيرا جلّ الجمل الشرطية الموجودة في القرآن، لكنه اكتفى بتعيينها والإشارة إليها، ولم نجده توسع في دلالاتها أو معانيها، بل يكتفي بذكر جملة الشرط وجوابها فقط. ومن أمثلة جمل الشرط قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَفَادُوهُمْ﴾ [البقرة:85]. فقوله: **إِنْ تَفَادُوهُمْ: شرط، وجوابه: تفادوهم².** فالترابط بين الجملتين تقابلي، فالأسر يقابل الإفداء. ومن الارتباط التقابلي أيضا قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَشَرَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة:115]. قال القرطبي: **"فأينما تولوا: شرط... والجواب: فثم وجه الله"**³. تقابل بين مكانية محدودة للبشر ومكانية متسعة شاملة لله تعالى.

وكذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:98]. قال القرطبي: **"من كان عدوا لله: شرط، وجوابه: فإن الله عدو"**

¹ - دلالات الارتباط في أسلوب الشرط (دراسة في نصوص من صحيح البخاري)، أبو بكر زروقي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، ع6، جانفي 2010، ص53.

² - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص239.

³ - المصدر نفسه، القرطبي، ج2، ص325.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

للكافرين. وهذا وعيدٌ وذمٌ لمعادي جبريل عليه السلام، وإعلان أن عداوة البعض تقتضي عداوة الله لهم¹. هنا قدّم القرطبي دلالة هذا الشرط، وهي دلالة تلازمية، إذ أن عداوة جبريل تستلزم وتقتضي عداوة الله تعالى للمعادي، فكأن المعادي لجبريل -عليه السلام- إنما يعادي في الأصل الله تعالى. ومثال التلازمية أيضا قوله تعالى: ﴿أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة: 148]. قال القرطبي: "أين ما تكونوا: شرطٌ، وجوابه: يأت بكم الله جميعا. يعني يوم القيامة"². فوجودك في أي مكان يستلزم يقينا استطاعة الله تعالى وقدرته على الإتيان بك من ذلك المكان إلى حيث يشاء سبحانه وتعالى.

وأما الترابط السببي فمثل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ [البقرة: 181]. قال القرطبي: "فمن بدّله: شرطٌ، وجوابه: فإنما إثمه على الذين يبدّلونه"³. فالإثم نزل بهم والتصق بهم لسبب أنهم بدّلوه وحرفوه. فالجملة الأولى سبب للثانية. ومثله أيضا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: 256]. فقوله: (فمن يكفر بالطاغوت): شرطٌ، و (يؤمن بالله): عطفٌ عليه. و (فقد استمسك بالعروة الوثقى): جوابه⁴.

فاستمسكهم بالإيمان الوثيق كان سببه كفرهم بمن طغى. ومن الأسرار الدلالية للجملة الشرطية هي أنها تدل على المعنى المعاكس ضمنيا، فالجملة هذه الأخيرة، تدل بالمقابل على أن من اتبع خطوات الطاغوت فإنه زلّ عن العروة الوثقى وحاد عنها؛ أي شبيها بمفهوم المخالفة.

ومن أمثلة (إذا) ودلالاتها على اليقين؛ أي: يقين الوقوع، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: 11]. قال القرطبي: "وفيها معنى المجازاة"⁵؛ أي: إذا. فهي شرطية استقبالية للمجازاة، تدلّ على الشرط يقينا، وعلى الاستقبال زمانا، وعلى المجازاة معنى. فهي تدلّ على الشرط في جملة الشرط: قيل لهم لا تفسدوا في الأرض، وجملة جواب الشرط: قالوا

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص262.

² - المصدر نفسه، ج2، ص454.

³ - المصدر نفسه، ج3، ص114.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص283، 284.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص304.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

إنّما نحن مصلحون؛ فكلما قيل لهم لا تفسدوا ادّعوا أنّهم مصلحون. ومجيء (إذا) هنا لتدلّ على اليقين؛ أي: أنّهم فعلا قد قيل لهم ذلك، وفعلا قد أفسدوا وادّعوا الإصلاح رغم ذلك، من دون شكّ أو افتراض غير حاصل.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 83]. في هذه الآية ثلاثة أساليب شرطية؛ فأما الأول فهو (إذا) وما بعدها. فقد جاءت (إذا) وفيها معنى الشرط -كما قال القرطبي¹- وهي دالة على اليقين والوقوع حقيقة، وفعلا قد حدث هذا؛ أي: إذاعة الأمر وإفشائه. وقيل: كان هذا من ضعة المسلمين؛ كانوا يفشون أمر رسول الله ﷺ ويطنون أنّه لا شيء عليهم. وقيل: هذا فعل المنافقين.

ولأنّ الفعل قد وقع، فإنّه عطف في الجملة الشرطية الثانية بلو، التي سلف أنّ قلنا إنّها تدلّ على المضى، والمضى أكّد الأساليب على يقين الوقوع. فلو أنّهم ردّوه إلى الرسول حتّى يفشيه بنفسه، لعلموا ما ينبغي أن يفشى منه، وما ينبغي أن يكتّم. ولكنهم لم يفعلوا؛ أي: لم يرّدوه إليه. لأنّه سبق أنّ قد تحقّق إفشاؤهم له وإذاعتهم. فلو هنا دالة على امتناع لامتناع؛ فلمّا امتنعوا عن ردّه إلى الرسول وأولى الأمر منهم، امتنع أن يعلموا ويستنبطوا ما ينفعهم.

ثمّ عطف، سبحانه وتعالى، بثالث من أساليب الشرط، ألا هو (لولا): وهي امتناع لوجود. فدخل (لا) على (لو) خالفت المعنى وعكسته بين جملة الشرط وجوابها، فيمتنع الثاني لوجود الأول. فلمّا كان فضل الله موجودا، امتنع اتباعهم خطوات الشيطان وسبله؛ أي: لولا أنّ تدارككم فضل الله لما سلمتم من اتباع الشيطان، ولوقعت في براثته. فامتنت جملة جواب الشرط بسبب وجود وتحقّق جملة الشرط.

وأما (إن/إذا) فدالة على الجزاء والجواب؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنِييَةً﴾ [النساء: 66-67]. قال القرطبي: "وقيل: اللام لام

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج6، ص478، 479.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

الجواب، وإدًا: دالة على الجزاء، والمعنى: ولو فعلوا ما يوعظون به لآتيناهم¹. فإن فعلوا ما تقدّم جازاهم الله بأن يؤتيهم من لده أعظم أجر في الآخرة. وعموم ما جاء في أبواب الشرط عند القرطبي لا يخرج عن هذه الترابطات الثلاثة، ولا عن المعاني التي ذكرناها آنفاً.

7. الاستفهام:

الجملة العربية أو الكلام العربي له تمظهرات عدّة، فقد يكون الكلام تقريرياً إخبارياً، وقد يكون تساؤلاً استفهامياً، يحمل معنى الطلب. فالاستفهام من الأساليب الإنشائية الطلبية، يطلب فيها المتكلّم من السامع أمراً ما. وله حروف وأسماء؛ فالحروف: الهمزة وهل. والأسماء: مَنْ، وأيّ، وما وماذا، وأين، ومتى، وكيف، وكَمْ. وقد فصلّ النحاة في تخريجها إعراباً لسنا معنيين بإعادة كلامهم حول أحرف الاستفهام وأسمائه. وإنما نقصد إلى معاني هذا الاستفهام.

قال ابن يعيش: "الاستفهام والاستعلام والاستخبار بمعنى واحد. مصدر استفهمت؛ أي: طلبتُ الفهم"². من هذا القول نعلم أنّ غاية الاستفهام الأصلية هي الاستعلام والاستخبار. ففيه معنى الطلب. وقولنا: الاستفهام يحمل معنى طلب العلم بالشيء؛ فإنّ هذا معناه الأصلي؛ لأنّه قد يخرج الاستفهام من معناه الأصلي الحقيقي إلى معانٍ مجازية تُفهم من خلال السياق.

فقد يدلّ الاستفهام على الاستبطاء، كقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ﴾ [البقرة: 214]. فكأنّهم قد استبطأوا نصر الله تعالى. ويدلّ على التّعجب في قوله تعالى: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْيَ﴾ [النمل: 20]. فما كانت عادة الهدد أن يتغيّب عن مجلس سليمان -عليه السلام-. ويدلّ على التنبيه على الضلال نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ تَذَهُبُونَ﴾ [التكوير: 26]. ومن المعاني أيضاً: الوعيد كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: 16]. ومنها الأمر؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: 14]³؛ أي: كونوا مسلمين.

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج6، ص447.

² - شرح المفصل، ابن يعيش، ج8، ص150.

³ - ينظر: معجم علوم اللغة العربية، محمد سليمان عبد الله الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ 1995م، ص34.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

وقد يدل على التقرير -كما جاء عن عبد القاهر الجرجاني¹- كقولك: أفعلت؟ لتقرير الفعل. أو: أنت فعلت؟ لتقرير الفاعل. أو: أزيداً ضربت؟ لتقرير المفعول. أو الإنكار كقولك: أخرج في هذا الوقت؟ ومن المعاني أيضاً: التأكيد بمعنى (لا يكون) أو (لم يكن) نحو قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفِدَكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا﴾ [الإسراء:40]. والإنكار كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر:36]. أي: أن الله كاف عبده؛ لأن نفي النفي إثبات. ومنها الاستبعاد كقوله تعالى: ﴿أَنِّي لَهُمُ الدَّكَرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَمَّرٌ مِّجْنُونٌ﴾ [الدخان:13-14]². فبعد عنهم أن يتذكروا وقد تولوا عن رسولهم واتهموه بالجنون. وغير ذلك من المعاني التي استطردها علماء البلاغة في مصنفاتهم.

ومن أمثلة دلالات الاستفهام عند القرطبي في تفسيره، قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:44]. فالله تعالى لا يسأل هنا ليستفهمهم. قال القرطبي: "هذا استفهام معناه التوبيخ"³. فالهمزة للاستفهام التوبيخي. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَاسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران:20]. قال القرطبي: "أسلمتم: استفهام معناه التقرير، وفي ضمنه الأمر؛ أي: أسلموا"⁴. فهو استفهام للإقرار غرضه الأمر. وأضاف بعضهم: "استفهام للتوبيخ والتنديد والأمر"⁵.

ومن معاني الاستفهام -أيضاً- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا سُرَّاوُكُمْ﴾ [الأنعام:22]. قال القرطبي: "سؤال إفصاح لا إفصاح"⁶؛ فهو سؤال لفضحهم

¹ - ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص113، 114.

² - ينظر: معجم علوم اللغة العربية، محمد سليمان عبد الله الأشقر، ص34.

³ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص56.

⁴ - المصدر نفسه، ج5، ص71.

⁵ - أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم (غرضه، إعرابه)، عبد الكريم محمود يوسف، مطبعة الشام ومكتبة الغزالي، دمشق سورية، ط1، 1421هـ/ 2000م، ص28.

⁶ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج8، ص339.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

وإغاضتهم، ففي سؤالهم عذابٌ لهم. وفيه توبيخ لهم. وأساليب الاستفهام التقريرية التوبيخية كثيرة في تفسير القرطبي، إذ كان كثيرا ما يشير إليها.

ومن معاني الاستفهام الإنكار نحو قوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم:10]. قال القرطبي: "استفهام معناه الإنكار؛ أي: لا شك في الله؛ أي: في توحيده"¹. وقوله تعالى: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُون﴾ [الحجر:54]. قال القرطبي: "فِيمَ تبشرون: استفهام تعجب"². إذ تعجب وهو الذي بلغ من الكبر عتيا، أن بشروه بسلام.

وقوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [طه:9]. قال القرطبي: "قال أهل المعاني: هو استفهام إثبات وإيجاب، معناه: أليس قد أتاك؟"³؛ أي قد أتاك إثباتا وإيجابا. وقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ¹ مَا الْحَاقَّةُ² وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة:1-3]. جاء عن القرطبي أن الاستفهام هنا معناه التعظيم والتفخيم لشأن يوم القيامة والتهويل لأمرها، والإبهام أيضا في تعظيمها، ليتخيل السامع أقصى جهده؛ كما تقول: زيدٌ ما زيدٌ، على التعظيم لشأنه. فهو استفهام فيه معنى التعجب أيضا⁴.

ومن معاني الاستفهام بكيف، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾ [البقرة:260]. نقل القرطبي عن ابن عطية الأندلسي⁵ في هذه الآية للاستفهام معنى دقيقا جليلا خطيرا. ملخصه: أن (كيف) إنما هي سؤال عن حالة شيء موجود متقرر. و(كيف) في هذه الآية هي سؤال عن هيئة الإحياء، والإحياء متقرر، من دون شك من سيدنا إبراهيم -عليه السلام-. ولكن لما كان في بعضهم حين ينكر أمرا ما فيتساءل بكيف نحو: أن يقول مدّع: أنا أرفع هذا الجبل. فتقول مكذبا له: أرني كيف ترفعه؟! أي: أنك تسلم وتفترض بصحة هذا الجدل، فكأنك تقول له: افرض أنك ترفعه، فأرني كيف ترفعه؟ فلما كان في

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج12، ص113، 114.

² - المصدر نفسه، ج12، ص223.

³ - المصدر نفسه، ج14، ص17، 18.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ج21، ص189. وينظر: تفسير الطبري، ج23، ص205. وينظر: معاني القرآن وإعرابه الزجاج، ج5، ص213. وينظر: إعراب القرآن، النحاس، ج5، ص19. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج5 ص356. وينظر: أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، عبد الكريم محمود يوسف، ص155.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج4، ص311، 312. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص353.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

عبارة الخليل هذا الاشتراك المجازي، خلّص الله تعالى ذلك، وحمله أن بيّن له الحقيقة، فقال له: (أولم تؤمن؟) قال: (بلى) فكمل الأمر، وتخلّص من كلّ شكّ، ثم علّل -عليه السلام- سؤاله بالطمأنينة.

وقد اعترض القرطبي على هذا التخرّيج بقوله: "قلت: هذا ما ذكره ابن عطية وهو بالغ، ولا يجوز على الأنبياء، صلوات الله عليهم، مثل هذا الشكّ، فإنّه كفر. والأنبياء متفقون على الإيمان بالبعث. وقد أخبر الله تعالى أن أنبياءه وأوليائه، ليس للشيطان عليهم سبيل... فكيف يُشكّكهم؟ وإنّما سأل أن يشاهد كيفية جمع أجزاء الموتى بعد تفريقها. واتّصال الأعصاب والجلود بعد تمزيقها. فأراد أن يترقّى من علم اليقين، إلى عين اليقين. فقله: (أرني كيف): طلب مشاهدة الكيفية"¹.

على أننا نوافق ابن عطية، وقد نجد له عذرا أو تأويلا مقبولا، قد يكون قصده؛ ألا وهو أن الله تعالى حين سأل إبراهيم عليه السلام، وهو العليم الخبير به، كان يعلم أنه ليس شاكّا، وإنّما بين للناس أن إبراهيم ما كان شاكّا، وإنّما طالبا للمشاهدة فقط، من أجل أن يطمئن قلبه، ويزداد إيمانه بما هو مؤمن به أصلا قبل. حتّى لا يدّعي مدّع أن إبراهيم كان شاكّا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، فمعاذ الله تعالى أن يعجز، وحاشا الخليل إبراهيم، عليه السلام، أن يشكّ.

ومثل هذا حدث أيضا مع سيدنا عيسى عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتَ قُلْتَهُ وَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: 116]. فأسئلة الله تعالى ليست للاستعلام، فهو جلّ شأنه العليم الخبير بكل شيء، فهو كان يعلم أن عيسى -عليه السلام- ما قال للناس كذلك، وإنّما سأله لغرض تبرئته.

وتدلّ -أيضا- (كيف) الاستفهامية على الجحد؛ نحو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ [آل عمران: 86]. فكيف: لفظ استفهام، ومعناه الجحد؛ أي: لا يهدي الله². ومثل الجحد الإنكار؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج4، ص312.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج5، ص196.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

مَا لَمْ يُزَلَّ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ﴿﴾ [الأنعام: 81]. قال القرطبي: "معنى (كيف) الإنكار، أنكر عليهم تخويفهم إياه بالأصنام، وهم لا يخافون الله عز وجل؛ أي: كيف أخاف موثًا وأنتم لا تخافون الله القادر على كل شيء"¹. وهو استفهام إنكاري فيه معنى التعجب، أو لنقل: التعجب الإنكاري، أو: التعجب للإنكار والتفنيد.

وتدلّ (ماذا) أيضا على ما تدلّ عليه غيرها من الأسماء، كالإنكار مثلا في نحو قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ [البقرة: 26]. قال القرطبي: "ومعنى كلامهم هذا: الإنكار بلفظ الاستفهام"². يتساءلون مستكرين. ولكل أداة استفهام أو اسم استفهام في مقامه دلالة ومعنى. ونكتفي بما تقدّم دلالة على غيره.

8. الاستئناف:

من حيث الدلالة السياقية التركيبية في الجملة العربية؛ فإنّ الاستئناف ضد العطف. فالعطف وصل اللاحق بالسابق، والاستئناف قطع؛ أي: قطع الجملة عما سبقها، وجعلها مستقلة عن الأولى. وفي هذا دلالة مهمة وضرورية، فإنّك لو قلت: جاء زيدٌ ومحمّد: كانت الواو عاطفة، وأدخلت محمدا في حكم زيد، في أنّه حصل منه المجيء أيضا. فمن حيث المعنى الإعرابي: تجعل الجملة الثانية تابعة موصولة متصلة المعنى بالجملة الأولى. وأما قولك مستأنفا: جاء زيدٌ وما أعلم سبب مجيئه. فإنّ الواو غير عاطفة، وإنما جاءت لتدلّ على أنّ الجملة التي بعدها لا علاقة لها إعرابيا بالجملة التي قبلها. واستئناف الشيء هو ابتدأه من جديد.

والجملة الاستئنافية في العربية معانٍ كثيرة، قد لا ننتبه إليها، وربما قولنا: (جملة استئنافية لا محل لها من الإعراب) جعلنا نظنّ أنّه لا محلّ لها من الدلالة أيضا. وفي هذا المقام نشير إلى دراسة نحسبها فريدة من نوعها، أجاد فيها صاحبها تنقيبا وبحثا ودراسة عن معاني الجملة

¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج8، ص444.

² - المصدر نفسه، ج1، ص367.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

الاستئنافية ودلالاتها ومواضعها السياقية ومقاماتها البيانية، ألا وهو الدكتور أيمن عبد الرزاق الشّوا¹. إذ ذكر لها أربعة وخمسين معنى من معاني الجملة الاستئنافية مستشهدا من القرآن العظيم. ولم يُكثر القرطبي من الإشارة إلى مواضع الاستئناف، وما أشار إليه قلَّ أن ذكر دلالة الاستئناف. ومن المواضع نذكر قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّهُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۖ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 14-15]. وردت في الآتين أفعال متتالية معطوفة، فعلُ أمر مبني على السكون المقدّر وعطف الله تعالى بأفعال مجزومة؛ لأنّها من جنس الفعل، جوابا وتفصيلا للفعل الأول. فالمعنى: (قاتلوهم = يعذبهم + يخزهم + ينصركم + يشف + يذهب) فهذه الأفعال متصلة دلاليا بالفعل الأول. ولما كان الفعل الأخير: (يتوب) غير متّصل بهم، جاء على أصله مرفوعا غير مجزوم. قال القرطبي: "(ويتوبُ الله على من يشاء): القراءة بالرفع على الاستئناف؛ لأنّه ليس من جنس الأول. ولهذا لم يقل: ويتوب، بالجزم؛ لأنّ القتال غير موجب لهم التوبة من الله عزّ وجلّ. وهو موجب لهم العذاب والخزي، وشفاء صدور المؤمنين، وذهاب غيظ قلوبهم"². ففعل التوبة ليس داخلا في حكم ما سبقته من أفعال؛ لذا وجب بمقتضى المعنى الإعرابي أن يُقطع من العطف إلى الاستئناف.

ومن معاني الاستئناف قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: 4]. في الآية فعلاّن: (ليبين) و(يفيضل) فالفاء فاء استئناف لا عطف، ولهذا جاء الفعل مرفوعا لا منصوب مثل (يبين). وفي ذلك معنيان جليان ذكرهما القرطبي؛ إذ قال: "ردُّ على القدرية في نفوذ المشيئة"³. وهذا أمر عقديّ؛ بين الله تعالى الهداية بيده والإضلال بيده، يفعل ما يشاء، سبحانه وتعالى.

¹ - ينظر: من أسرار الجمل الاستئنافية (دراسة لغوية قرآنية)، أيمن عبد الرزاق الشّوا، دار الغوثاني للدراسات القرآنية دمشق، سورية، ط1، 1430هـ / 2009م، ص53 وما بعدها.

² - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج10، ص130.

³ - المصدر نفسه، ج12، ص105.

الباب التطبيقي ---- الفصل الثالث ----- المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

ثم قال: "وهو مستأنف، وليس بمعطوف على (اليبين)؛ لأنَّ الإرسال إنّما وقع للتبيين لا للإضلال. ويجوز النصب في (يضل)؛ لأنَّ الإرسال صار سببا في الإضلال... وإنّما صار الإرسال سببا في الإضلال؛ لأنّهم كفروا به لما جاءهم، فصار كأنّه سبب لكفرهم"¹. لكن الرفع أحسن، وهو ما ارتضاه القرطبي والزجاج، وقال: "والرفع هو الوجه وهو الكلام وعليه القراءة"². على النصب جائز لكنّه متمحل التأويل.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ [الممتحنة:1]. فقلوه: (يخرجون رسول الله): استئناف كلام، تفسيراً لكفرهم وعتوهم، أو وصفا لحال من كفروا، كما قال القرطبي³. فهو استئناف للتفسير والتعليل.

9. لن:

لن حرف لنفي المستقبل، وتُخلَّص المضارع للاستقبال⁴. وذكرها القرطبي في قوله تعالى: ﴿إِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة:24]. نتساءل هنا: لماذا نفى الله تعالى المستقبل؟ قال القرطبي: "وفي قوله: (ولن تفعلوا) إثارة لهممهم، وتحريك لنفوسهم، ليكون عجزهم بعد ذلك أبدع، وهذا من العيوب التي أخبر بها القرآن قبل وقوعها"⁵. فهو قمة التحدي من الله سبحانه وتعالى، وقمة الفضح لعجزهم، وعدم قدرتهم في أي زمن على المجيء بمثل هذا القرآن العزيز، وأتى لهم ذلك؟!

¹ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج12، ص105، ص106.

² - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج3، ص154.

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج20، ص400.

⁴ - ينظر: همع الهوامع، السيوطي، ج2، ص286. وينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ج3 ص501.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص352. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص107.

10. حيثُ:

تدلّ على المكان غالبا، وقد تدلّ على الزمان؛ فهي ظرفية¹. فنقول: اجلس حيثُ أجلس. فأنت تأمره أن يتخذ مكانَ جلوسك مكانًا لجلوسه. وقد تطرّق إليها القرطبي في معرض تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:124]. نفى القرطبي عن (حيث) هنا الظرفية؛ قال: "(حيثُ) ليس ظرفا هنا، بل اسمٌ نُصِبَ نَصْبُ المفعول به على الاتّساع؛ أي: الله أعلم أهل الرسالة"². وعلل القرطبي ذلك بقوله: "لأنّ المعنى يكون على ذلك: الله أعلم في هذا الموضع. وذلك لا يجوز أن يوصف به البارئ تعالى"³. فهو أعلم من غير تحديد أو تمييز أو ظرفٍ معيّن. وهذا من دقائق معاني الإعراب وأسراره.

11. ألا:

يقول النحاة: إنّها تكون للتنبيه، فتدلّ على تحقّق ما بعدها⁴. وقد ذكرها القرطبي عند قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [يونس:55]. قال القرطبي: "ألا: كلمةٌ تنبيهٌ للسّامع، تُزاد في أوّل الكلام؛ أي: انتبهوا لما أقول لكم"⁵. وقد دلّت على أنّ ما بعدها عظيمٌ يجب أن يُنَبَّه إليه، وأنّه لازم التّحقّق. فإنّ كلّ ما في السماء والأرض ملكٌ لله وحده، توكيدًا بألا وإنّ. وكذلك وعده؛ حقٌّ لا ريب فيه ولا شكّ.

وقد تفيد (ألا) الطّلب توبيخا وتحضيضا⁶. كما ورد في قوله تعالى: ﴿أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ﴾ [التوبة:13]. فلما استحقّ القوم القتال، وتأخروا عن قتالهم، استحقوا التوبيخ -وهم كفّار مكّة- وكان طلبُ الله منهم بشدّة، قال القرطبي: "توبيخٌ وفيه معنى التّحضيض"⁷.

¹ - ينظر: همع الهوامع، السيوطي، ج2، ص152. وينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ج2، ص299، 300.

² - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج9، ص21.

³ - المصدر نفسه، ج9، ص21.

⁴ - ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ج1، ص439.

⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج11، ص10.

⁶ - ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ج1، ص443، وص448.

⁷ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج10، ص128.

11. أل التعريف:

هي علامة من علامات تعريف الأسماء، وتفيد العهد أو الجنس¹. فالعهدية تعود على مذكور قبل، والجنسية تستغرق جميع أنواع الاسم وأجزائه الذي دخلته. ولمعرفة تقديره أهمية كبيرة في النص القرآني، تطرق إلى بعضها القرطبي؛ نحو قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاحة:2]. قال القرطبي: "والألف واللام لاستغراق الجنس من المحامد، فهو سبحانه يستحق الحمد بأجمعه"². فلا يليق به سبحانه وتعالى إلا هذا التخريج.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة:213]. نقل القرطبي عن الطبري أن الألف واللام في (الكتاب) للعهد، والمراد به: التوراة³. ومثلها قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة:275]. فالله تعالى أحل البيع، وحتى يتحقق هذا المعنى جيء بأل الجنسية في (البيع). قال القرطبي: "هذا عموم من القرآن، والألف واللام للجنس لا للعهد؛ إذ لم يتقدم بيع مذكور يرجع إليه، كما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر:1-2] ثم استثنى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر:3]⁴. فلما جاء بأل الجنسية الاستغراقية في (الإنسان) استثنى الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فليس كل إنسان خاسر، وكذلك حين جاء بأل الجنسية الاستغراقية في (البيع) استثنى البيوع المنهي عنها.

هذه أهم معاني أل التعريف الجنسية والعهدية. وختاماً: هذه أهم الأبواب الإعرابية وليس كلها، مما تبين من خلالها أثر الإعراب في تشكّل الدلالة وتجليّة المعنى، والمشاركة الفعالة في تخرّيج الآيات وتفسيرها، نكتفي بما ذكرناه عما لم نذكره.

¹ - ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ج1، ص314.

² - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص205.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص407. وينظر: تفسير الطبري، ج3، ص627. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ج1، ص286.

⁴ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج4، ص394.

خَاتِمَة

وخلاصة القول، وإضافة إلى ما كنا نذكره من نتائج استنتاجها، وخلاصات استخلصناها في متن هذا البحث، وضمن المسائل التي درسناها، أو من خلال تعريفنا للقرطبي ودراستنا لآثاره العلمية، وكذا منهجه في تفسير العتيد، ومواضيعه وطرائق تناوله للآيات. فإنه لا يسعنا في آخر هذا الجهد الذي حاولنا من خلاله رصد أهم ظواهر المعاني الإعرابية في تفسير الإمام القرطبي: الجامع لأحكام القرآن؛ إلا أن نختم بنقاط رئيسة تراءت لنا خلال مسيرتنا البحثية هذه، نجملها على هذا النحو:

- مما لاحظناه أنه كان يكتب بأسلوب فيه الحزن والأسى في معظمه؛ وذلك لأنه كتبه بعد سقوط الأندلس، وهو الذي عايش هذا الحدث الأليم، حيث كتب تفسيره وهو بمصر، وقد حزن على فقدان الأندلس وفراقها، وكان كثيرا ما يذكرها ويستطرد في ذكر ما حدث له فيها.

- لقد تبين لنا مما لا مجال للشك إليه، أنه لا يمكن الخوض ولا التجرؤ على تفسير كتاب الله تعالى، وشرح مكنوناته، إلا بعد الأخذ بناصية اللغة عامة، ومعانيها الإعرابية خاصة؛ فإن الإعراب مفتاح مغاليقه، ودليل طرقه ومسالكه.

- ثم إن من ثمار هذا العمل أن قد عرفنا من خلاله خطر علم إعراب القرآن، وأهميته البالغة شأوا عظيما في تأدية المعنى القرآني.

- ومما اكتشفناه وتحققنا فيه، خلال مسيرتنا البحثية في هذا التفسير، أن القرطبي رحمه الله - موسوعي الفكر والعلم، يدور مع الآية أينما دارت، تراه فقيها يسبر أغوار أقوال الفقهاء وعلمهم وتخريجاتهم، ثم تراه لغويا نحويا يجول بين النحاة ومذاهبهم وآرائهم، ثم يصل بين القراء وأوجه رواياتهم وتوجيهات قراءاتهم، وتراه في العقيدة لا يُشَقُّ له غبارٌ، وفي التفسير لا يعلو على كعبه كعبٌ، وفي الزهد والأدب والتواضع تراه إماما مجتهدا، ومفسرا مخلصا.

- وكان يتطرق إلى بعض لغات القبائل النادرة الاستعمال، فيضفي على التفسير بعض النكت وطريف الأخبار، إثراء لمكنز التفسير.

- وكان يذكر في الآية الواحدة أوجها عديدة من الإعراب، وكثيرا ما كان يرجح أحد الأوجه، ترجيحاً لعل لا ارتجالاً. فيضع بين يدي القارئ المتخصص بالنحو مادة ثرية من الأوجه الإعرابية المختلفة.

- وإلى جانب هذه العموميات، نقول مخصّصين: لاحظنا خلو تفسيره من التكرار، فكان إذا وصل إلى اللفظة أو الآية، وكان قد فسر ما يشبهها قبل، كان يتجاوز الإعادة، ويكتفي بالإشارة إلى أنه قد تعرض لذلك في موضع سابق، أو يتجاوز التفصيل في تفسير آية من الآيات؛ لأنه سيفصلها في مقام سيأتي بعد هذا في آية مشابهة أخرى. فكان كثيرا ما يحيل بعض المسائل إلى مواضع من سور لاحقة لم يتطرق إليها بعد، وهذا دليل على أنه كان قد رسم خطة تصورية في ذهنه عن العمل الذي كان يريد إنجازه، ولم يسر فيه ارتجالا دون فرضيات أو معالم مسبقة. وهذا جانب منهجي قلّ ما كان يحضر في تصانيف الأول.

- كما لاحظنا أنه يستعمل مصطلحات الكوفية: كالنعت، والخفض... وقد يسمي التمييز بيانا، والمفعول المطلق مصدرا، والمفعول لأجله تفسيرا، وقد يكتفي ببيان محل حركة الإعراب فيقول: في موضع رفع، أو في موضع النصب، أو في موضع خفض. أو يكتفي ببيان التقدير كأن يقول مثلا- في نزع الخافض بأنّ قوله: (أنّ قالوا) هي بمعنى: (بأن قالوا). وقد يسمي الحرف الزائد صلة، وهذا من اصطلاح الكوفيين.

- وكان القرطبي -رحمه الله- في الأبواب اللغوية عامة، والإعرابية خاصة، يُكثر من الأخذ عن الفراء في معانيه، والزّمخشري في كشّافه، والزجاجي في معاني القرآن وإعرابه، وعن النحاس في إعرابه القرآن، وابن الحاجب في الكافية، وعن ابن عطية الأندلسي في محرره الوجيز، وعن ابن العربي في أحكامه. وقد حاولنا، بما وسعتنا القدرة، الإشارة إلى مواضع مقتبساته في مضائها.

- لكن إلى جانب ذلك، كان كثيرا ما يُليس في أعاريبه على القارئ، فلا يذكر الإعراب مفصلا، بل يكتفي بذكر الحكم لا غير، فتراه يكثر من قول: في موضع رفع، أو موضع نصب، أو موضع خفض. مما اضطرنا إلى البحث في غير مصدر واحد، عن حكمها الإعرابي عند علماء التفسير واللغة، ونقاربها بحكم القرطبي فيها، لنفهم مقصده.

- كما قد وجدنا بعض النقول والأقوال غير معزوة لصاحبها، أو يكتفي بقوله (قيل) دون تحديد القائل، وهذه قد وردت بكثرة في تفسيره.

- وعودًا على بدءٍ نقول: لم تكن دراستنا هذه دراسةً نحويةً محضةً، فلم نعقد لأبواب النحو من أجل الخوض في أحكامها النحوية وأوجهها الإعرابية، وغير ذلك من المسائل التي تتدرج ضمن القواعد النحوية التي أرساها أسسها النحاة؛ وإنما كنا نعمل إلى دراسة هذه الأبواب النحوية من جهة دلالة إعرابها ومعانيه.

- كما أننا بهذه الدراسة النحوية الدلالية، فتحنا الباب أمام أهل البحث والاختصاص للاشتغال على هذا الجانب المهم من جوانب علوم اللغة العربية؛ ألا وهو البحث في النحو دلاليًا، للتأسيس لنظرية عامة لمعنى النحو، حتى لا يبقى النحو من العلوم التي لا تتجاوز الدراسة الشكلية للتركيب، وإنما يستطيع النحو أن يشارك في تشكيل الدلالة وصناعة المعنى بل وتوجيهه.

ولا يبقى لنا في الأخير إلا أن نقول: إنّ إقامة الدراسة على القرآن العظيم، لهو شأن عظيم ومرتقى صعب، كيف لا، ونحن نحاول ببشريتنا أن نتسلّق صرحه السامق. من هنا فإننا لا ندعي أنّ ما وصلنا إليه من نتائج، غير قابلة للنقد والنقض، أو أنها حاملة لواء الحقيقة، ولكنّا نراه اجتهدًا ومحاولة للوصول إلى الحقيقة. ويكفينا شرفاً أن ندرس كتاب الله العزيز.

وأقصى ما نتمنى بلوغه أن ننال أجر المجتهد إن أخطأنا، ونعوذ بالله من التعالم والتقاؤل على كتاب الله بما ليس فيه، أو بما لم يأت به، على أننا نسأل الله الإخلاص في عملٍ كانت نيتنا من وراءه خدمة ديننا وكتابنا ولغتنا. ونسأل الله التوفيق والسداد لنا ولمشايعنا ولكل من علّمنا، وأخذنا عنه العلم والأدب.

محمد بن محمد حراث

الشلف: 23 جوان 2018

ملاحق

- 1- ملحق (1): فهرس مسائل الجملة الاسمية في تفسير القرطبي.
- 2- ملحق (2): فهرس مسائل الجملة الفعلية في تفسير القرطبي.
- 3- ملحق (3): فهرس مسائل الحروف في تفسير القرطبي.

ملحق (1) ----- فهرس مسائل الجملة الاسميّة في تفسير القرطبي

الملحق 1: فهرس مسائل الجملة الاسميّة في تفسير القرطبي:

اسم الباب	الجزء	الصّفحة
المبتدأ	1	-348 -333 -327 -320 -310 -299 -290 -277 -209 489 -486 -477 -390 -389 -372 -362 -361 -355
	2	-258 -243 -241 -237 -235 -222 -194 -167 -84 -446 -422 -404 -334 -333 -323 -320 -291 -268 448
	3	-356 -321 -319 -190 -159 -151 -86 -52 -6 426 -425 -416 -413 -380
	4	-261 -253 -250 -220 -206 -173 -126 -57 -16 419 -328 -271 -262
	5	-209 -181 -156 -132 -113 -58 -57 -38 -25 -22 479 -479 -438 -518 -271 -268 -258
	6	502 -479 -463 -333 -245 -233 -142 -124 -113
	7	460 -315 -236 -230 -227 -219 -149 -123
	8	-278 -107 -104 -101 -87 -84 -76 -53 -47 -46 -363 -355 -339 -338 -331 -322 -321 -317 -309 471 -469 -466 -457 -451 -429 -382 -373
	9	-222 -187 -156 -152 -149 -136 -125 -51 -33 494 -469 -409 -387 -370 -333
	10	-308 -286 -284 -152 -138 -89 -86 -85 -36 -477 -473 -452 -446 -396 -384 -351 -333 -317 505 -486

ملحق (1) ----- فهرس مسائل الجملة الاسمية في تفسير القرطبي

-134 -120 -96 -93 -89 -87 -80 -72 -71 -61 -8 -205 -201 -178 -177 -168 -163 -153 -146 -143 -465 -412 -320 -291 -290 -261 -242 -211 -205 470 -469 -467	11	
-263 -256 -229 -182 -126 -123 -80 -66 -52 293	12	
489 -374 -106	13	
-339 -332 -329 -327 -180 -171 -168 -17 -15 354	14	
416 -400 -363 -300 -235 -173 -139 -138 -101	15	
-466 -441 -339 -307 -252 -237 -195 -192 -51 490 -466 -456	16	
-348 -318 -289 -165 -149 -111 -109 -22 -6 470 -469 -466 -450 -367	17	
-373 -367 -344 -339 -325 -278 -245 -41 -40 501 -447 -429 -414 -388	18	
340 -266 -253 -237 -155 -143 -84 -10	19	
293 -236 -201 -191 -183 -182 -134 -91	20	
514 -307 -189 -112 -88 -10	21	
46 -29	22	
323 -282 -153	1	الخبر
335 -299 -258 -211 -191 -174 -124 -70 -10 462 -435 -424 -413 -411 -369 -347	2	
452 -413 -325 -159 -135 -54 -9	3	

ملحق (1) ----- فهرس مسائل الجملة الاسمية في تفسير القرطبي

472 -466 -457 -422 -326 -253 -174 -106	4	
372 -354 -270 -210 -208 -189 -158 -57	5	
482 -473 -281	6	
233 -149 -124	7	
482 -338 -323 -307 -303 -258 -99	8	
495 -469 -152 -151 -48 -46	9	
-378 -316 -293 -226 -172 -141 -106 -96 -46	10	
503 -441		
261 -199 -170 -96	11	
312 -5	12	
406 -291 -260 -106 -84	13	
-446 -350 -338 -219	14	
-491 -400 -161 -103 -54	15	
492 -353 -251 -247 -236 -185 -77	16	
442 -434 -410 -377 -344 -251	17	
427 -337 -235 -87 -27 -8	18	
131 -92	19	
386 -246 -178 -76	20	
232 -211	21	
557 -552 -197 -46	22	
442	1	كان (وأخواتها)
330	3	
418	4	

ملحق (1) ----- فهرس مسائل الجملة الاسمية في تفسير القرطبي

260	5	
322 - 249 - 107	6	
32	7	
391 - 343	8	
318 - 154	9	
448 - 132 - 117	10	
323 - 83 - 24	11	
457 - 445 - 286	13	
317	15	
403 - 325 - 240 - 147 - 52 - 43 - 11	16	
165 - 100	18	
167 - 15	19	
353	20	
476 - 455 - 282	21	
343	1	ظنّ (وأخواتها)
371 - 72	2	
409	3	
461 - 437 - 432	5	
469 - 97	8	
352	11	
308	13	
327	15	
333	16	

ملحق (1) ----- فهرس مسائل الجملة الاسمية في تفسير القرطبي

10	21	
7	22	
334	1	أفعال المقاربة
192	2	
342	9	
121	12	
38 - 35	14	
417	3	أفعال الرجاء
229	4	
303	9	
461 - 151 - 32	13	
101 - 90	21	
179	9	أفعال الشرع
152	14	
309	1	إنَّ
410	2	
22	3	
364	8	
480	9	
55	10	
220	11	
294	14	
382 - 357	15	

ملحق (1) ----- فهرس مسائل الجملة الاسمية في تفسير القرطبي

311	2	أَنَّ
394 -50	8	
106	10	
39	15	
49	16	
438	17	
363	18	
342	1	لَعَلَّ
491	5	
65	14	
86	15	
57	16	
-369 -362 -359 -353 -345 -311 -292 -251 -229 461 -452	1	الصفة/ النعت
-248 -247 -204 -189 -188 -182 -174 -123 -72 458 -268	2	
-151 -124	3	
447 -433 -422 -271 -267 -259 -253 -220 -167	4	
474 -401 -311 -166	5	
392 -176 -168 -136 -7	6	
483 -236 -212 -183 -59	7	
-333 -309 -289 -275 -265 -259 -192 -53 -52 466 -457 -432 -411 -382 -363 -344 -339	8	

ملحق (1) ----- فهرس مسائل الجملة الاسمية في تفسير القرطبي

-457 -360 -333 -260 -235 -225 -187 -125 -51 490	9	
477 -447 -443 -424 -378 -226	10	
-446 -360 -297 -242 -241 -189 -92 -80 -65 463	11	
167 -104 -103	12	
392 -221 -125 -106 -48 -34	13	
-173 -171 -137 -112 -96 -83 -79 -78 -77 -55 377 -180	14	
457 -400 -260 -224 -131 -81	15	
498 -475 -466 -292 -226 -146 -111 -102 -85	16	
-367 -341 -294 -255 -111 -59 -49 -45 -13 467 -373	17	
516 - 448 -333 -235 -123 -30	18	
508 -213 -77	19	
266 -224 -204 -173 -88 -42	20	
417 -382 -307 -113 -62	21	
409 -200 -198 -127 -46 -29	22	
389 -364 -232 -229	1	البدل
420 -412 -384 -162 -85	2	
424 -145	3	
250	4	
444 -378 -369 -221 -58	5	
446 -318 -30	6	

ملحق (1) ----- فهرس مسائل الجملة الاسمية في تفسير القرطبي

230 -225 -215 -60	7	
501 -331 -276 -98 -41	8	
455 -360 -269 -263 -241 -138 -109	9	
489	10	
296 -33 -17	11	
432 -382 -347 -328 -318 -136 -59	12	
478 -407 -395 -322	13	
413 -296 -173 -162 -59 -54 -50	14	
459 -300 -138	15	
228 -197 -43 -19 -12	16	
471 -348 -331 -289 -252	17	
-339 -326 -268 -225 -223 -210 -118 -109 -10	18	
516 -438 -388 -370 -364 -356		
-520 -455 -266 -170 -168 -131 -123 -104 -42	19	
541		
448 -272 -193 -77	20	
477 -455 -318 -246 -104 -62	21	
501 -409 -384 -264 -198 -184 -127 -83 -15	22	
448	1	التوكيد
270 -244	4	
371	5	
303	8	
188	9	

ملحق (1) ----- فهرس مسائل الجملة الاسمية في تفسير القرطبي

469 -468 -247 -117 -92 -56	11	
336	12	
525 -283 -273	13	
203	14	
194	17	
328 -183 -105	20	
217 -24	22	
291 -291	2	لام التوكيد
214 -208	5	
455	6	
378	7	
468	10	
261 -247	11	
485	13	
485 -402 -391 -24	16	
374	18	
290	1	الإضافة
422	4	
447 -415 -338 -333 -313	5	
273	8	
127	9	
339	11	
374	13	

ملحق (1) ----- فهرس مسائل الجملة الاسميّة في تفسير القرطبي

102	14	
371 -357 -275 -30	18	
458 -306 -129	20	
46	21	
579 -413 -304 -283 -281 -66	22	

ملحق (2) ----- فهرس مسائل الجملة الفعلية في تفسير القرطبي

الملحق 2: فهرس مسائل الجملة الفعلية في تفسير القرطبي:

الصفحة	الجزء	اسم الباب
135	1	الفعل الماضي
478 -98	2	
401	3	
351 -181 -43	5	
62	7	
317 -	8	
40 -9	9	
204 -94 -69	11	
266	12	
221 -80 -46	13	
110	14	
377	18	
285 -61	21	
72	22	
452 -432 -415 -323	1	الفعل المضارع
461 -425 -300 -288 -253 -181 -21	2	
-486 -427 -226 -10 -7	3	
-490 -366 -249 -229 -227 -116 -107 -74 -36	4	
499		
339 -282 -158 -157 -39	5	
482 -456 -327 -129	6	

ملحق (2) ----- فهرس مسائل الجملة الفعلية في تفسير القرطبي

251 -169 -154	7		
413 -107	8		
492 -360 -343 -294	9		
335 -287 -234 -205 -131 -40	10		
445 -393 -380 -264 -262 -172 -141	11		
143	12		
414 -35	13		
440 -168 -143	14		
363	15		
422 -138	17		
483 -482 -359 -346 -344 -302 -37	18		
150	19		
508 -245 -223	20		
229	21		
377 -320	22		
459 -398 -152 -74 -8	2		فعل الأمر
142	6		
278	8		
236 -129	10		
154 -21	11		
101	14		
105	15		
183	16		
314	17		

ملحق (2) ----- فهرس مسائل الجملة الفعلية في تفسير القرطبي

449 -448	19	
316	21	
484	1	الفاعل
409 -408 -385 -350 -258 -139 -131	2	
72	4	
372	5	
161	7	
275	8	
490 -39 -8	9	
489 -410 -205 -116	10	
342 -274 -180 -81	11	
329	13	
159 -100	14	
442 -373 -52 -7	17	
438	18	
22	19	
129	20	
231	1	نائب الفاعل
312	2	
474 -108	11	
285	13	
226	18	
411 -394 -389 -368 -364 -228 -224 -215	1	المفعول به
-211 -194 -180 -176 -145 -101 -84 -74 -9	2	

ملحق (2) ----- فهرس مسائل الجملة الفعلية في تفسير القرطبي

-414 -396 -384 -313 -270 -268 -251 -246 447 -439 -419		
446 -410 -400 -394 -127 -56	3	
498 -456 -421 -358 -250 -230 -206 -175 -11	4	
369 -355 -194 -192 -132 -122 -109	5	
439 -86 -71 -38	6	
-239 -237 -235 -228 -224 -195 -170 -165 -91 381 -373	7	
-479 -446 -435 -376 -332 -321 -76 -46 -43 501	8	
-144 -126 -123 -115 -105 -78 -76 -40 -36 -5 490 -467 -455 -347 -333 -191	9	
-479 -465 -454 -311 -286 -230 -131 -87 -53 488	10	
237 -202 -198 -193 -170 -157 -117 -113 -81	11	
347 -287 -192 -167 -136 -65	12	
-326 -235 -233 -221 -207 -205 -186 -137 410 -407	13	
231 -161 -136 -111 -98 -85	14	
469 -14	15	
467 -421 -362 -350 -340	16	
-393 -372 -360 -341 -278 -269 -266 -256 446 -423 -422	17	
389 -385 -307 -306 -259 -241 -193 -132 -50	18	

ملحق (2) ----- فهرس مسائل الجملة الفعلية في تفسير القرطبي

244 -43 -20	19	
358 -243 -192 -116	20	
492 -340 -310 -211 -83 -24	21	
317 -272 -157 -154 -132 -61 -60	22	
428	1	المفعول المطلق (المصدر)
333 -232	2	
109	3	
206 -166	4	
432 -348	5	
302 -266 -204 -135 -125 -57	6	
60 -32	7	
493 -492 -275 -209	8	
278 -107	9	
453 -392 -335 -282	10	
421 -310	11	
324	12	
522 -409 -188 -118 -5	13	
300 -281 -202 -14	14	
375 -356 -319 -133 -36	15	
474 -289 -222	16	
472 -411 -321 -236	17	
418 -289 -263 -11	18	
434 -253 -200 -103	19	
247	20	

ملحق (2) ----- فهرس مسائل الجملة الفعلية في تفسير القرطبي

473 -259 -257 -252 -199	21	المفعول لأجله
503 -87 -61 -57 -32 -27 -24 -23 -21	22	
332	1	
313 -251	2	
407 -389 -8	3	
370 -292	4	
69	5	
472 -267 -129	7	
459 -123 -46	9	
371 -317 -316	10	
52	12	
207	13	
176	15	
299	16	
350 -33	17	
373	19	
400 -191 -100 -95	20	
498 -156	21	
337	1	المفعول فيه
422 -325 -267 -258 -252 -243	2	(ظرف الزمان
188 -163	3	وظرف المكان)
300 -299 -232 -106	4	
415 -268 -109	5	
392 -323 -289	6	

ملحق (2) ----- فهرس مسائل الجملة الفعلية في تفسير القرطبي

378	7	
499 -464 -322 -279 -258 -86	8	
468 -236 -224 -212 -27	9	
488 -479 -469 -377 -190 -148 -111 -36	10	
273 -212 -112 -7 -6	11	
309	12	
447 -151	13	
105	14	
398 -333 -88	15	
348 -180	16	
299 -46 -45	17	
366 -320 -127	18	
518 -476	19	
305 -247 -245 -77	20	
482 -480 -371 -277 -11	21	
441 -418 -212	22	
262	17	المفعول معه
179	21	
486 -475 -389 -373 -361 -357	1	الحال
-239 -235 -228 -142 -115 -114 -103 -22 -9 -413 -411 -343 -323 -320 -319 -272 -253 488 -485 -414	2	
406 -394 -215-162 -11 -6	3	
456 -374 -315 -148	4	

ملحق (2) ----- فهرس مسائل الجملة الفعلية في تفسير القرطبي

-113 -101 -100 -98 -90 -89 -67 -39 -11 -10 485 -467 -416 -370 -311 -209 -168 -138 -116	5	
-246 -224 -210 -168 -155 -133 -82 -49 -45 509 -450 -403 -400 -333 -327	6	
483 -228 -208 -155 -62	7	
468 -441 -427 -382 -380 -357 -326 -34	8	
-241 -325 -190 -138 -135 -116 -51 -27 -5 481 -434 -418 -406 -336 -314 -294 -256	9	
-452 -363 -335 -294 -220 -211 -200 -132 -44 509 -486 -466	10	
-175 -168 -153 -142 -98 -90 -56 -45 -43 -19 421 -294 -280 -241	11	
419 -366 -315 -220 -115 -77 -52	12	
-450 -423 -311 -296 -276 -258 -235 -204 -96 501 -487 -471 -462	13	
-283 -172 -171 -161 -137 -135 -118 -110 -50 387	14	
-459 -416 -406 -361 -352 -326 -98 -64 -64 492	15	
490 -482 -448 -348 -276 -186 -127 -100 -80	16	
-235 -207 -202 -188 -104 -52 -39 -33 -28 353 -299	17	
-300 -289 -272 -246 -238 -227 -145 -82 -20 412 -389 -352 -342	18	

ملحق (2) ----- فهرس مسائل الجملة الفعلية في تفسير القرطبي

-329 -304 -281 -219 -192 -171 -147 -103 -9	19	
525 -432 -409 -341 -338		
-400 -398 -386 -374 -246 -152 -78 -24 -15	20	
440		
-312 -306 -291 -246 -194 -178 -173 -140	21	التمييز
516 -507 -472 -470 -408 -399 -394 -393 -371		
428 -154 -61 -21	22	
400	3	
198 -194	5	
47	6	
295 -155 -64	7	
107 -76 -46	8	
389 -285 -144	9	
473 -339 -317 -138	10	
490 -429 -397 -393 -326 -264 -235 -206 -72	13	
133	14	
133	15	
357 -275	18	
340	19	
437	20	
439 -438	1	الاستثناء
484 -235	2	المستثنى
457 -170	4	
266 -264 -202 -196 -172 -123	5	

ملحق (2) ----- فهرس مسائل الجملة الفعلية في تفسير القرطبي

480 -249	6	
472 -446 -382 -274 -252	7	
500	8	
407 -163 -28 -9	9	
107	10	
-368 -235 -234 -212 -184 -141 -124 -117 -54	11	
421 -403 -377		
225 -214 -209 -187 -128	12	
517 -496 -479 -326 -250 -225	13	
407 -140	14	
481 -456 -133	15	
348 -331 -300 -219 -108 -97 -43	16	
455 -322 -304	17	
40 -28 -14	18	
337 -140 -27	19	
404 -192 -45	20	
318 -306	21	
466 -332 -245 -177 -21	22	
455 -217	2	إلا
172	6	
125 -5	7	
15	11	
329	12	
189	14	

ملحق (2) ----- فهرس مسائل الجملة الفعلية في تفسير القرطبي

93	19	
47	20	
340	1	النداء (المنادى)
410 -238 -109 -5	2	
165 -84 -81	5	
357 -288 -281	8	
342 -257 -181 -27	9	
325 -293	11	
304	14	
435 -300 -145	17	
366 -290 -22	18	

ملحق (3) ----- فهرس مسائل الحروف في تفسير القرطبي

الملحق 3: فهرس مسائل الحروف في تفسير القرطبي:

اسم الباب	الجزء	الصفحة
العطف وحروفه	1	463 -411 -380 -292 -275 -253 -226
	2	-229 -229 -207 -176 -124 -114 -107 -73 -11 373 -311 -299 -289 -236 -232
	3	-356 -350 -314 -269 -174 -162 -91 -15 -14 426 -396 -385
	4	-341 -333 -294 -284 -270 -244 -219 -198 -170 359
	5	-172 -166 -147 -143 -139 -138 -129 -70 -46 -312 -300 -209 -198 -190 -189 -187 -184 -181 470 -464 -402 -372 -347
	6	-337 -328 -319 -168 -158 -123 -71 -38 -33 -7 460 -457 -402
	7	400 -286 -209 -170
	8	-352 -345 -287 -278 -270 -94 -41 -40 -34 -7 473 -467 -429 -406 -369 -366
	9	-152 -126 -125 -109 -102 -98 -78 -73 -51 -274 -261 -252 -241 -235 -211 -188 -162 -153 494 -486 -470 -434 -348 -294 -282
	10	-283 -234 -232 -226 -209 -129 -106 -46 -10 458 -424 -369 -316
	11	-202 -181 -140 -81 -80 -67 -59 -45 -40 -15

ملحق (3) ----- فهرس مسائل الحروف في تفسير القرطبي

469 -436 -396 -320 -261		
449 -393 -278 -83 -11 -5	12	
493 -471 -424 -353 -246 -226 -145	13	
414 -339 -322 -160 -105 -59	14	
484 -411 -410 -371 -305 -260 -249 -27 -12	15	
464 -349 -219 -73	16	
-256 -255 -233 -215 -207 -181 -173 -45 -8	17	
455 -388 -313 -262		
-366 -333 -319 -317 -300 -220 -148 -68 -40	18	
508 -484 -381		
410 -321 -129 -95 -60	19	
-448 -446 -379 -359 -257 -253 -141 -16 -12	20	
508		
514 -484 -307 -280 -101	21	
413 -406 -306 -228	22	
424 -411 -312	2	أَم
410	3	
338	5	
413	6	
504	10	
210	13	
190 -188	14	
418 -70	15	
433	16	

ملحق (3) ----- فهرس مسائل الحروف في تفسير القرطبي

6	17	
470 -239 -234	18	
539 -531 -521 -60	19	
325	1	أَوْ
205	2	
161	4	
323 -306	5	
364	6	
177	7	
389 -116	12	
106	18	
499	19	
19	20	
487	21	
480	6	الفاء
356 -209	7	
136	14	
282 -266 -177	2	الواو
396	10	
155	11	
486	13	
345	2	حتّى
411	3	
361	5	

ملحق (3) ----- فهرس مسائل الحروف في تفسير القرطبي

215	9	
117	18	
501	19	
406 - 397	22	
310	1	لكن
482	5	
376 - 354	8	بل
125	22	
350 - 313 - 246 - 154	1	الجر (وحروفه)
417 - 396 - 299 - 291 - 288 - 271 - 253	2	
490 - 356 - 259 - 207	3	
432 - 373 - 366	4	
-476 -427 -368 -252 -189 -170 -167 -160 -79 479	5	
439 -401 -400 -327 -150 -78 -21	6	
-332 -311 -228 -227 -219 -218 -212 -208 -160 370	7	
356 -351 -323 -237 -177 -114 -100	8	
347	9	
245 -207 -20	10	
349 -139 -92 -71 -15	11	
338 -326 -122	12	
434 -250 -190 -186 -156 -145 -96	13	
428 -358 -357 -345 -297 -50	14	

ملحق (3) ----- فهرس مسائل الحروف في تفسير القرطبي

458 - 311	15	
111	16	
350	17	
412 - 117	18	
501 - 272 - 232 - 200 - 133 - 92 - 38	19	
401 - 297 - 245 - 84 - 55 - 10	20	
456 - 342 - 258 - 144	21	
496 - 474 - 397 - 283 - 194	22	
277	9	مِنْ
380 - 47	10	
466 - 463 - 139	11	
458 - 321 - 312 - 291 - 150 - 145 - 28	12	
454 - 453 - 206 - 60	13	
386 - 284 - 143	14	
456 - 379 - 310 - 212 - 203 - 81 - 45	15	
493 - 420 - 365 - 277 - 274 - 229 - 80	16	
498 - 433 - 348	18	
535 - 508 - 346 - 261 - 235 - 166 - 55 - 23	19	
358 - 204 - 32	20	
489 - 250 - 214 - 20	21	
458 - 204	2	الكاف
356	3	
434 - 331	4	
121	5	

ملحق (3) ----- فهرس مسائل الحروف في تفسير القرطبي

169	7	
487 -426 -375	8	
452 -364 -34	9	
477 -296 -294	10	
318 -302 -257 -122	11	
136	12	
133	14	
357 -335	15	
434 -360 -118	19	
89	20	
158	2	الباء
142	1	القسم
254	2	
190 -189	5	
502	6	
356 -330 -107 -86	8	
173 -170 -155	9	
378	10	
398 -77 -8	11	
116 -115	12	
491 -171 -20	13	
324 -44	15	
163	16	
235	17	

ملحق (3) ----- فهرس مسائل الحروف في تفسير القرطبي

123 -3	18	
539 -518 -428 -5	19	
499	21	
436 -368 -337 -322 -313 -256 -195 -121 -114	22	
364 -359	1	نزع الخافض
450	2	
123	4	
160	7	
347 -172	9	
498 -381 -327 -288 -229	10	
421 -276 -158 -101 -45	11	
270	12	
522	13	
284 -49	14	
52	15	
300 -174 -23	16	
302	17	
400	18	
490 -428 -423 -369 -92	19	
449 -261 -259 -162 -68	2	الضمير العائد
407 -349 -227 -146 -115 -114 -60 -15	3	
358 -351 -279 -274 -244 -122	4	
304 -181 -40 -39 -39 -30	5	
419 -410 -85 -46	6	

ملحق (3) ----- فهرس مسائل الحروف في تفسير القرطبي

497 -383 -122 -108 -107	7		
354 -305 -278 -272 -259 -145	8		
466 -409 -373 -283 -151	9		
506 -503 -366 -219 -209 -87	10		
338 -303 -294 -90 -88 -82 -81 -31 -14 -6	11		
367 -64 -32	12		
496 -319 -249 -66 -42	13		
453 -419 -389 -310 -213 -179 -173 -141	14		
369 -362 -260 -198 -175 -64 -43	15		
478 -465 -373 -349 -311 -293 -46	16		
379 -347 -361 -358 -214 -169 -42 -41 -9	17		
457 -424 -196 -83 -81	18		
535 -27	19		
263 -131	20		
341 -319 -282 -173 -26	21		
434 -269 -72 -19	22		
279	13		ضمير الشأن
289 -107	14		
99	15		
107	16		
267	20		
424	1		الشرط
454 -325 -300 -262 -239	2		
452 -415 -328 -116 -114 -92	3		

ملحق (3) ----- فهرس مسائل الحروف في تفسير القرطبي

476 -404 -364 -304 -284 -283	4	
377 -346 -300 -181 -94	5	
464 -457 -105 -87 -23	6	
472 -167 -93 -65 -33	7	
420 -331 -304 -271 -51 -33	8	
479 -418 -387 -213 -136 -101	9	
510 -286 -234 -208 -47	10	
340 -193 -33 -22	11	
110	12	
439 -323 -282	13	
313 -202	14	
371 -82	15	
22	16	
127	17	
471 -432 -251	18	
233 -230	20	
84	21	
254	22	
488 -359 -352	1	إن
439 -253 -219	2	
349	3	
401 -333 -161	5	
132	7	
355 -350	8	

ملحق (3) ----- فهرس مسائل الحروف في تفسير القرطبي

6	9	
116 -34	10	
164	12	
524	13	
303 -185 -89	14	
439 -394 -183	17	
116 -39	18	
337 -217 -88	19	
10	20	
307 -306	21	
229 -204	22	
304	1	إِذَا
106	2	
375	5	
478 -325	6	
258	8	
504	13	
288	14	
416	15	
416 -233	16	
402 -258 -101	17	
316 -238	18	
178 -176	20	
159	22	

ملحق (3) ----- فهرس مسائل الحروف في تفسير القرطبي

447 - 414	6	إذن
105	11	
179	12	
338	1	لو
292	2	
9	3	
446	6	
351 - 87	8	
244 - 44	10	
180	11	
304 - 52	16	
316	17	
342	2	لولا
378 - 368 - 327 - 80	8	
316 - 313 - 234 - 81 - 54	11	
290	16	
317	17	
269 - 218	19	
508	20	
178	12	لوما
369	10	إمّا
56	2	الاستفهام
7	4	
402 - 163 - 120 - 109 - 71	5	

ملحق (3) ----- فهرس مسائل الحروف في تفسير القرطبي

469	6	
62	7	
392 -339 -337 -324	8	
300 -289 -236 -18 -9	9	
448 -384	10	
7	11	
223 -113	12	
507 -484 -383	13	
219 -180 -17	14	
378 -371	15	
333 -271 -18	16	
438 -326	17	
474 -451 -258 -117 -17 -9	19	
437 -324 -238 -157	20	
444 -189	21	
477 -443 -263 -206 -5	22	
311	4	كيف
236 -196	5	
437 -326	6	
444	8	
502	10	
433 -425 -322	1	ما
-412 -286 -284 -282 -258 -210 -208 -184 -154	2	
413		

ملحق (3) ----- فهرس مسائل الحروف في تفسير القرطبي

415 -413 -349 -282 -114 -51 -22	3	
364 -202 -161 -125	4	
-377 -368 -357 -341 -276 -271 -190 -188 -90 443 -403	5	
469 -468 -321 -281 -171 -25	6	
379 -208 -160 -5	7	
442 -303 -257 -106	8	
452 -315 -235 -213 -164 -152 -105 -98	9	
441 -437 -436 -419 -205 -35 -18	10	
-198 -159 -93 -92 -71 -57 -29 -19 -14 -12 422 -397 -335 -220	11	
-340 -337 -268 -261 -174 -130 -115 -94 -61 455	12	
415 -312 -280	13	
337 -310 -166 -106 -105	14	
493 -54 -44 -13	15	
467 -365 -338 -315 -307 -306 -191 -173 -80	16	
-431 -411 -343 -332 -201 -110 -59 -33 -7 467 -440 -439	17	
-386 -363 -293 -253 -172 -137 -111 -68 -57 478	18	
490 -478 -217 -188 -175 -43	19	
340 -259 -23	20	
307 -265 -216 -213 -139	21	

ملحق (3) ----- فهرس مسائل الحروف في تفسير القرطبي

-321 -320 -311 -310 -291 -204 -124 -82 -79	22	
537		
367	1	مَاذَا
299	7	
293	9	
490	10	
317	12	
50	15	
339	2	الاستئناف
494	9	
219 -183 -130 -10	10	
105 -57	12	
109 -107	14	
432 -13	16	
128	17	
471	18	
400	20	
503	21	
157	22	
352	1	لن
461	1	حيث
21	9	
128	10	ألا
10	11	

ملحق (3) ----- فهرس مسائل الحروف في تفسير القرطبي

212 - 205	1	أَلُ التعريف
407	3	
395 - 394	4	
363	13	

قائمة مصادر البحث

ومراجعته

* القرآن العظيم، المصحف الشريف، برواية حفص عن عاصم.

أ. الكتب:

1. الاتجاه الصّوفي عند أئمة تفسير القرآن الكريم، جوده محمد أبو اليزيد المهدي، الدّار الجوديّة، القاهرة، مصر ط1، 2007م.
2. أحكام القرآن أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ، راجعه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1423هـ / 2003م.
3. إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، القاهرة، ط2، 1413هـ/ 1992م.
4. اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره، سعود بن عبد الله الفنيسان، دار شبيليا، الرياض، السعودية ط1، 1418هـ / 1997م.
5. أساس البلاغة، لأبي القاسم الزمخشري، تح: محمّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ / 1998م.
6. أسباب الخطأ في التفسير، دراسة تأصيلية، طاهر محمود محمد يعقوب، دار ابن الجوزي السعودية، ط1، 1425هـ.
7. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تع: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة السعودية، ط1، 1991م.
8. أسرار العربية، الأنباري، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1418هـ / 1998م.
9. أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم (غرضه، إعرابه)، عبد الكريم محمود يوسف، مطبعة الشام ومكتبة الغزالي، دمشق سورية، ط1، 1421هـ / 2000م.
10. الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، القرطبي، تح: محمد حسن جبل وطارق أحمد محمد ومجدي فتحي السيّد، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 1416هـ / 1995م.
11. الأصول في النّحو، لأبي بكر محمّد بن سهل بن السّراج، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1417هـ / 1996م.

12. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان 1985م.
13. إعراب القرآن، لأبي جعفر النّحاس، تح: زهير غازي زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط2، 1405هـ/ 1985م.
14. الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر، عمان، الأردن ط1، 1413هـ/ 1993م.
15. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م.
16. الاقتراح في علم أصول النّحو، جلال الدين السيوطي، تع: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، 1426هـ/ 2006م.
17. الأمالي النحوية، ابن الحاجب، تح: هادي حسن حمودة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1 1985م.
18. الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سليمان، دار القلم، دمشق، ط1 1413هـ/ 1993م.
19. إملاء ما منّ به الرّحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء العكبري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت.
20. الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، لأبي البركات بن الأنباري، تح: جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 2002م.
21. الإيضاح في علل النّحو، لأبي القاسم الزجاجي، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت لبنان، ط03، 1399هـ/ 1989م.
22. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إسماعيل باشا البغدادي، تح: محمد شرف الدين بلتاقيا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت.
23. البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، تح: عبد القادر عبد الله العاني مراجعة: عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط2، 1413هـ/ 1992م.

24. بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مكتبة التوبة دت.
25. بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012م.
26. البديع في علم العربية، مجد الدين بن الأثير، تح: فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1420هـ.
27. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط3، 1404هـ/ 1984م.
28. بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، مصر، 2003م.
29. البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات بن الأنباري، تح: طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1400هـ/ 1980م.
30. البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط 07، 1418هـ/ 1998م.
31. تاريخ الأدب الأندلسي -عصر سيادة قرطبة-، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان ط2، 1969م.
32. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للحافظ شمس الدين الذهبي، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 01، 1420هـ/ 1999م.
33. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، شرحه: أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، مصر، ط2 1973م.
34. التبيين في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، دار الكتب، 1986م.
35. التحليل اللغوي في ظل علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط2، 1432هـ/ 2011م.
36. التذكار في فضل الأذكار، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن فرح القرطبي الأندلسي عناية: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، 1407هـ/ 1987م.

37. التعريفات، للشريف الجرجاني، تح: نصر الدين تونسي، شركة ابن باديس للكتاب، الجزائر ط1، 1430هـ / 2009م.
38. تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ / 1993م.
39. تفسير البغوي معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، السعودية، 1411هـ.
40. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
41. تفسير الجلالين الميسر، جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تح: فخر الدين قباوة مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
42. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي، تح: علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ / 1993م.
43. تفسير الصحابة، عبد الله أبو السعود بدر، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ 2000م.
44. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، مصر، ط1، 1422هـ / 2001م.
45. تفسير الفخر الرازي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1401هـ / 1981م.
46. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين بن كثير، تع: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ / 1998م.
47. التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي السعودية، ط1، 1422هـ.
48. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لجنة من العلماء، إشراف: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، مطبعة المصحف الشريف، ط3، 1413هـ / 1992م.
49. التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط7، 2000م.

50. تلخيص كتاب أرسطو طاليس في العبارة، ابن رشد، تح: محمد سليم سالم، مطبعة دار الكتب، 1978م.
51. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد البر الأندلسي، تح: مصطفى بن أحمد العلوي وآخرون، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 1387هـ / 1967م.
52. التوابع في الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، مكتبة الزهراء، القاهرة، مصر 1991م.
53. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ط1، 1427هـ / 2006م.
54. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، دار الرشيد ومؤسسة الإيمان بيروت، لبنان، ط3، 1415هـ / 1995م.
55. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 01، 1987م.
56. الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ / 1992م.
57. حاشية أبي النجّاء على شرح خالد الأزهرى على متن الأجرومية في علم العربية، دار إحياء الكتب العربية، مصر، دت.
58. الحجة للقرّاء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشّام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد، أبو علي الفارسي، تح: بدر الدين قهوجي وبشير حويجاتي، دار المأمون للتراث بيروت لبنان، ط1، 1411هـ / 1991م.
59. حروف الجرّ دلالاتها وعلاقاتها، أبو أوس إبراهيم الشمسان، جامعة الملك سعود، السعودية دت.
60. حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، محمود سعد، 1988م.

61. الحضارة في المغرب والأندلس -عصر المرابطين والموحدين-، حسن علي حسن، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1980م.
62. الحل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، لابن السيّد البطليوسي، تح: سعيد عبد الكريم سعودي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، دت.
63. الخصائص، ابن جنّي، تح: علي النجار، المكتبة العلمية، مصر، دت.
64. دراسات في الفعل، عبد الهادي الفضيلى، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، 1402هـ 1982م.
65. دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، صاحب أبو جناح، دار الفكر، عمان، الأردن ط1، 1419هـ / 1998م.
66. دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، مصر، دت.
67. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي، حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد للنشر، العراق 1980م.
68. دراسة نقدية في التفكير النحوي العربي، صالحة حاج يعقوب، دار السلام، القاهرة، مصر ط1، 1435هـ / 2014م.
69. الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، سورية، دت.
70. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تع: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، 2000م.
71. الدّلالة الصّوتية في اللّغة العربيّة، صالح سليم عبد القادر الفاخري، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر، دت.
72. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، تح: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1417هـ / 1996م.
73. ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح: محمد حسين، مكتبة الآداب، دت.

74. ديوان امرئ القيس، عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1425هـ
2004م.
75. ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2
1426هـ/ 2005م.
76. ديوان زيد الخيل الطائي، نوري حمودي القيسي، مطبعة النعمان، النجف، 1968م.
77. ديوان عامر بن الطفيل، دار صادر، بيروت، لبنان، 1399هـ/ 1979م.
78. ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2
دت.
79. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لأبي عبد الله محمد المراكشي، تح وتغ: إحسان
عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012م.
80. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، دار إحياء
التراث العربي، بيروت، لبنان، دت.
81. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت
لبنان، ط3، 1404هـ/ 1984م.
82. سر صناعة الإعراب، ابن جني، تح: حسن هنداوي، دت.
83. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، عبد القادر الأرناؤوط ومحمد الأرناؤوط
دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1412هـ/ 1991م.
84. شرح ألفية ابن مالك، أبو فارس الدحداح، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1
1425هـ/ 2004م.
85. شرح الرضيّ على الكافية، يوسف حسن عمر، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط2
1996م.
86. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصاري، تح: محمد محي الدين
عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، مصر، دت.

87. شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، تح: محمد خير طعمة حلبى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دت.
88. شرح الكافية الشافية، ابن مالك، تح: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1420هـ/ 2000م.
89. شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي، تح: أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ/ 2008م.
90. شرح المفصل، ابن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دت.
91. شرح مقدّمة التفسير شيخ الإسلام ابن تيمية، محمّد بن صالح العثيمين، دار الوطن الرياض، السعودية، دت.
92. شعر أبي حيّة النميري، جمعه وحققه: يحي الجبوري، وزارة الثقافة، دمشق، سورية 1975م.
93. شعر عمرو بن أحمر الباهلي، جمعه وحققه: حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سورية، دت.
94. شعر الفُحيف العقيلي، حاتم صالح الضامن، المجمع العلمي العراقي، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الثالث، المجلد السابع والثلاثون، 1406هـ/ 1986م.
95. شعر قيس بن زهير، عادل جاسم البياتي، مكتبة الآداب في النجف الأشرف، 1972م.
96. شعر الهذليين، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1995م.
97. الشكل والدلالة دراسة نحوية للفظ والمعنى، عبد السلام السيد حامد، دار غريب، القاهرة مصر، دت.
98. الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، مطبعة المؤيد، القاهرة 1328هـ/ 1910م.
99. طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي، تح: علي محمد عمر، مطبعة الحضارة العربية الفجالة، ط1، 1396هـ/ 1976م.

100. طبقات المفسرين، الحافظ شمس الدين الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1
1403هـ / 1983م.
101. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية، الإسكندرية
مصر، 1998م.
102. العربية والإعراب، عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1
2010.
103. علم إعراب القرآن تأصيل وبيان، يوسف بن خلف العيساوي، تقديم: حاتم صالح الضامن
دار الصميعي، السعودية، ط 01، 1428هـ / 2007م.
104. علم التفسير، محمد حسين الذهبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت.
105. علم الدلالة بين القديم والحديث، أحمد عزوز، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة
الجهوية بوهرا، الجزائر، 2008.
106. عوامل التطور اللغوي، أحمد حماد عبد الرحمن، دار الأندلس للطباعة، ط9، بيروت، لبنان
1983م.
107. العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم
السامرائي، دت.
108. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد
الشوكاني، اعتنى به: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 1428هـ / 2007م.
109. الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1402هـ / 1982م.
110. فقه اللغة وأسرار العربية، لأبي منصور الثعالبي، شرح وتقديم وفهرسة: ياسين الأيوبي
المكتبة العصرية، صيدا بيروت، لبنان، ط2، 1420هـ / 2000م.
111. فلسفة مناهج البحث العلمي، عقيل حسين عقيل، مكتبة مدبولي، 1999م.
112. الفلسفة واللغة: نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، الزواوي بغورة، دار الطليعة
بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

113. في النحو العربي - نقد وتوجيه-، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان ط2، 1406هـ/ 1986م.
114. القرطبي -حياته، آثاره- محي الهلال السرحان، (بحث متوفر على الأنترنت).
115. القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، مفتاح السنوسي بلعم، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 1998م.
116. القرطبي ومنهجه في التفسير، القسبي محمود زلط، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت لبنان، دت.
117. قمع الحرص بالرّهد والقناعة وردّ ذل السؤال بالكتب والشفاعة، لأبي عبد الله القرطبي، تح: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط1، 1409هـ/ 1989م.
118. الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر ط3، 1408هـ/ 1988م.
119. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، لبنان، ط1، 1996م.
120. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1418هـ/ 1998م.
121. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، دت.
122. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي، تح: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1404هـ/ 1984م.
123. الكلّيّات، أبو البقاء الكفويّ، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط2، 1419هـ/ 1998م.
124. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، دت.
125. اللمع في العربية، ابن جني، تح: سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، 1988م.

126. اللغة، فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، مصر، 1950م.
127. مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ابتسام مرهون الصفار، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1968م.
128. متن الأجرومية، محمد الصنهاجي، دار الفكر، دت.
129. مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن مثنى، تع: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، دت.
130. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، تح: هاشم الرسولي المحلاتي وفضل الله اليزيدي الطباطبائي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ / 1986م.
131. المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، تح: علي نجدي ناصف وآخران، وزارة الأوقاف، القاهرة، مصر، 1415هـ / 1994م.
132. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ابن خالويه، مكتبة المتنبى، القاهرة، مصر.
133. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مهدي المخزومي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ط2، 1377هـ / 1958م.
134. المسافة بين التتظير النحوي والتطبيق اللغوي، خليل أحمد عمايرة، دار وائل، عمان الأردن، ط1، 2004م.
135. المستقل بالمفهوميّة في حلّ ألفاظ الجرّوميّة، شمس الدين الرّاعي، تح: أحمد محمد جاد الله، دار النوادر، سورية، ط1، 1433هـ / 2012م.
136. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2008م.
137. مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، تح: ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق، سورية، ط2.
138. معاني الحروف، أبو الحسن علي الرماني، تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق جدة، السعودية، ط1، 1401هـ / 1981م.

139. معاني القراءات، لأبي منصور الأزهري، تح: عيد مصطفى درويش وعوض حمد القوزي دار المعارف، ط1، 1412هـ / 1991م.
140. معاني القرآن، لأبي سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1411هـ / 1990م.
141. معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، ط3، 1403هـ / 1983م.
142. معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر النحاس، تح: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى السعودية، ط1، 1408هـ / 1988م.
143. معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس، تح: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى السعودية، ط1، 1410هـ / 1989م.
144. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، شرح وتح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1 1408هـ / 1988م.
145. معجم علوم اللغة العربية، محمد سليمان عبد الله الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ط1، ص1415هـ / 1995م.
146. معجم لغة النحو العربي، أنطوان الدحداح، مراجعة: جورج متري عبد المسيح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.
147. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ 1993م.
148. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي 1407هـ / 1987م.
149. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بمصر، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ 2004م.
150. المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل، عبد العزيز عبده أبو عبد الله، منشورات الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس، ليبيا، ط1، 1391هـ / 1982م.

151. المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007م.
152. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تح: عبد اللطيف محمد الخطيب السلسلة التراثية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1423هـ/ 2002.
153. المفصل في علم العربية، الزمخشري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2.
154. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي تح: نحي الدين ديب مستو وآخرون، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1 1417هـ/ 1996م.
155. المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، ط2، 1399هـ/ 1979م.
156. مقدّمة في أصول التفسير، ابن تيمية، تح: عدنان زرزور، ط2، 1392هـ/ 1972م.
157. المقفى الكبير، تقي الدين المقرئ، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1411هـ/ 1991م.
158. من أسرار الجمل الاستثنائية (دراسة لغوية قرآنية)، أيمن عبد الرزاق الشوا، دار الغوثاني للدراسات القرآنية دمشق، سورية، ط1، 1430هـ/ 2009م.
159. من أسرار العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط6، 1978م.
160. الموافقات، لأبي إسحاق إبراهيم الشاطبي، تقديم: بكر أبو زيد، تعليق أبو عبدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1417هـ/ 1997م.
161. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمّد على التّهانوي، تح: على دحروج مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.
162. النحو العربي، إبراهيم إبراهيم بركات، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، 1428هـ 2007م.
163. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط3، دت.

164. النحو والدلالة -مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي-، محمد عبد اللطيف حماسة، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/ 2000م.
165. النحو وكتب التفسير، إبراهيم عبد الله رفيده، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ليبيا، ط3، 1399هـ/ 1990م.
166. نص تلخيص منطق أرسطو (المجلد الثالث: كتاب العبارة)، ابن رشد، تح: جبرار جهامي دار الفكر اللبناني، بيروت لبنان، ط1، 1992م.
167. نظرية اللغة العربية: تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها، عبد الملك مرتاض، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
168. نظرية المعنى في الدراسات النحوية، كريم حسين ناصح الخالدي، دار صفاء، عمان الأردن، ط1، 1427هـ/ 2006م.
169. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1408هـ/ 1988م.
170. النكت والعيون تفسير الماوردي، أبو الحسن علي الماوردي، مراجعة وتعليق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت.
171. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تح: نصر الله حاجي، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2004م.
172. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1955م.
173. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/ 1998م.
174. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/ 2000م.
175. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد النيسابوري، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/ 1994م.

ب. المجلات والدوريات:

1. مجلة التربية والعلم، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق، مج16، ع1، 2009.
2. مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج16، ع28، شوال 1424هـ.
3. فصول مجلة النقد الأدبي، المجلد5 العدد1، 1984م.
4. مجلة العلوم الإنسانية والاقتصادية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، العدد1، يوليو 2012م.
5. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب واللغات، جامعة بكرة، ع6 جانفي 2010.
6. المورد، وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، مج4، ع4 1395هـ / 1985م.

ت. الرسائل والأطاريح الجامعية:

1. الدلالة التركيبية لدى الأصوليين في ضوء اللسانيات الحديثة، محمد علي فالح، أطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2006م.
2. منهج القرطبي في القراءات وأثرها في تفسيره، جمال عبد الله أبو سلوب، رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
3. النداء في القرآن الكريم، مبارك تريكي، أطروحة دكتوراه، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر 2006 / 2007م.
4. نزع الخافض في درس النحوي، حسين بن علوي بن سالم الحبشي، رسالة ماجستير جامعة حضرموت، قسم اللغة العربية، اليمن، 1425هـ.

فهرس محتويات

البحث

إهداء

شكر وعرفان

مقدمة..... أ

مدخل 1

الباب النظري

الفصل الأول

القرآن واللغة: مصطلحات ومباحث

أولاً: العلاقة بين القرآن واللغة العربية 7

ثانياً: التفسير 9

1. التفسير لغة 9

2. التفسير اصطلاحاً 10

3. الفرق بين التفسير والتأويل 11

4. مسيرة التأليف في التفسير 13

5. منهجية التفسير 13

6. مآخذ على المفسرين 15

ثالثاً: الإعراب والتفسير اللغوي 17

1. الإعراب لغة 17

2. الإعراب في اصطلاح النحاة 17

3. إعراب القرآن وأهميته 19

4. التفسير اللغوي للقرآن وأهميته 22

رابعاً: الدلالة والمعنى 25

أ. الدلالة 25

1. لغة 25

2. اصطلاحاً 25

3.	أهمية دراسة دلالة الألفاظ	26
4.	أهمية دراسة التطور الدلالي	28
ب.	المعنى	31
1.	المعنى لغة	31
2.	المعنى اصطلاحاً	31
ت.	المعنى والدلالة	31
خامساً:	المعنى والإعراب في القرآن العظيم	32
سادساً:	أثر الإعراب في المعنى	35

الفصل الثاني

حياة القرطبي وآثاره العلمية

1.	الأندلس في عصر القرطبي	42
2.	اسمه ولقبه وكنيته ونسبه	45
3.	مولده ونشأته ووفاته	46
4.	شيوخه	48
5.	تلاميذه	50
6.	ثقافته وعلمه واجتهاده	50
7.	أخلاقه وصفاته	52
8.	ثناء العلماء عليه	53
9.	مؤلفاته	54
أ.	الكتب المطبوعة	55
ب.	الكتب المخطوطة والمفقودة	57
10.	القرطبي والتصوف	60

الفصل الثالث

تفسير القرطبي: منهجه وخصائصه

1. مدرسة الأندلس في التفسير 64
2. التعريف بالكتاب 65
3. مصادره 67
4. منهجه 69
5. خصائصه ومميزاته 78
6. مآخذ على تفسيره 83

الباب التطبيقي

الفصل الأول

المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية

1. المعنى النحوي 89
2. الابتداء/ المبتدأ والخبر 92
3. كان وأخواتها 105
4. ظن وأخواتها 113
5. أفعال المقاربة 115
6. أفعال الرجاء 116
7. أفعال الشروع 117
8. إنّ وأخواتها 118
9. الصفة/ النعت 120
10. البدل 122
11. التوكيد 127
12. الإضافة/ المضاف والمضاف إليه 131

الفصل الثاني

المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية

1. الفعل والمعنى 138
2. الفعل الماضي 143
3. الفعل المضارع 147
4. فعل الأمر 150
5. الفاعل ونائب الفاعل 152
6. المفعول به 159
7. المفعول المطلق 165
8. المفعول لأجله/ له 167
9. المفعول فيه (ظرف الزمان وظرف المكان) 169
10. المفعول معه 174
11. الحال 177
12. التمييز 182
13. الاستثناء/ المستثنى 184
14. النداء/ المنادى 189

الفصل الثالث

المعاني الإعرابية للحروف وما جرى مجراها

1. المعنى النحوي للحرف 196
2. العطف وحروفه 197
3. الجر وحروفه 214
4. نزع الخافض 239
5. الضمير العائد 243
6. الشرط 245

250	7. الاستفهام
254	8. الاستئناف
256	9. لن
257	10. حيث
257	11. ألا
258	12. أل التعريف
259	خاتمة
263	ملاحق
264	ملحق (1): فهرس مسائل الجملة الاسمية في تفسير القرطبي
274	ملحق (2): فهرس مسائل الجملة الفعلية في تفسير القرطبي
285	ملحق (3): فهرس مسائل الحروف في تفسير القرطبي
300	قائمة المصادر والمراجع
316	فهرس محتويات البحث

ملخص:

وَسَمْنَا دراستنا بالعنوان الآتي: (المعاني الإعرابية في تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن -دراسة نحوية دلالية). فصاحب التفسير هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي الأندلسي، ولد بقرطبة في أواخر القرن الهجري السادس. نذر للعلم حياته واجتهد في تحصيله، حتّى أصبح من كبار مفسري القرآن العظيم، والمعتنين بعلوم الحديث، والفقه. كما غدا عالما بالقراءات واللغة. وقد جمع علوما كثيرة في مختلف المجالات. وتوفي بمصر سنة 671هـ، وقد ترك أثارا جمّة، إذ كان كثير التصنيف في شتى العلوم والمعارف، وما يهمنّا في هذا المقام تفسيره: (الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان).

يعدّ تفسير القرطبي من أشهر التفاسير، وأكثرها انتشارا في العالم الإسلامي، تعمّق فيه صاحبه بطريقة لا يستطيعها إلا من ملك ناصية اللغة وناصية علوم القرآن التي تساعده في فهم كلام الله تعالى وهو من أجلّ التفاسير وأعظمها نفعا، أسقط منه القصص والتاريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلّة، وذكر القراءات والإعراب، والناسخ والمنسوخ. اهتمّ الإمام القرطبي في تفسيره بعدّة علوم، على غرار الإعراب، وذلك لبيان معنى الآية، فكلّ كلمة من الآيات تحمل معنى، والإعراب يوضّح هذه المعاني، ويفرّق بينها، كما يذكر آراء النحاة في معنى الآية بعد إعرابها.

والقرطبي في تفسيره هذا أتى على القرآن العظيم من أوله إلى آخره، فوقف مع كلّ آية، بل لا أبالغ إن قلتُ مع كلّ كلمة، ومع كلّ حرفٍ في أحيان كثيرة. إنّه تفسيرٌ مفصّلٌ ما بعده تفصيل، إذ أراد به صاحبه أن يكون جامعاً بحقٍّ لأحكام القرآن العظيم عامّة، ليس بتفسيره وشرحه فقط. حتى استفاد جلّ المتقدّمين ممّن عاصروه، كالإمام ابن كثير في تفسيره، وكلّ المتأخّرين كالإمام الشوكاني في تفسيره. لقد نال هذا التفسير القبول عند جلّ العلماء، في كلّ الأصقاع والبقاع.

إنّه تفسيرٌ حجّةٌ في نفسه، ومرجع في بابه، وموسوعةٌ في مادّته. فقد كان يذكر الآية، ثمّ يقول: فيها كذا وكذا من مسألة، فربما يقول مثلاً: فيها خمس مسائل، أو عشر مسائل، أو عشرون، وربّما يوصل عدّد المسائل إلى الخمسين في الآية الواحدة؛ ثمّ يبدأ بالمسألة التي تتعلّق

بلغة الآية؛ من صرفٍ، أو بيانٍ لاشتقاق هذه الكلمة، ثم يتكلم عن تركيب الآية من حيث النحو، ثم يتكلم عن الأحكام الفقهيّة في هذه الآية، ويسرد الأحكام الفقهيّة فيها، مع دقّة الاستنباط، وبيان كلام العلماء والفهاء فيها. وكثيرا ما كان يستطرد استطرادًا يُخرِجُه عن الآية، ثم ما يلبث أن يعود إليها.

وعلى الرّغم من اهتمام القرطبيّ بجانب الأحكام الفقهيّة في تفسيره كثيرا، وتغليبها على جميع جوانب التفسير الأخرى، إلا أنّه عنيّ بالأحكام اللّغويّة كذلك، ومنها إعراباته التي يوضح بها دلالات الألفاظ ومعانيها. وتكلم عن النحو كلامًا يدلّ على علمه، وفضله ومعرفته بكتب النحو، وكيفية الاستفادة منها.

إنّ تفسير القرطبيّ فيه ميزةٌ تميّز بها عن غيره من التّفسير الأخرى، وهي حسن تنظيمه وترتيبه فالقارئ للكتاب يجد أنّه يتسلسل ويتنقّل بين المسائل مستفيدًا، دون تداخل بينها أو تشابك، كما خلا كتابه من الانتقادات اللاذعة، وخشونة الرّدّ، التي عُرِفَتْ عند بعض علماء التفسير، فالإمام القرطبيّ ليّن الجانب، متواضع في طرح آرائه، وذو أدب خلّافيّ راق، لا تجده في كتابه يسيء إلى أحد، ولا يقسو في عباراته.

إنّ دراستنا للكتاب تتطرّق إلى المعاني الدّلالية المولّدة من إعرابات القرطبيّ لبعض كلمات القرآن العظيم، ودراستها وفق المنهج العلمي، من حيث عرض الآراء المخالفة ومقاربتها برأي القرطبي، وتوليد الدلالات الناتجة عن إعراب كلّ كلمة.

إنّ للموضوع، الذي نحن بصدد دراسته، أهميّة ذاتُ بال في بناء الصّرح المعرفي للأمة الإسلاميّة منها: أنّ تفسير القرطبيّ (الجامع لأحكام القرآن) يعدّ من التّفسير القيّمة، إذ استفاد منه العلماء وطلبة العلم، على اختلاف اختصاصاتهم. وكذلك لشهرة مؤلّفه، وعلوّ قدره عند العلماء، فهو من أئمة التّفسير، الذين بذلوا جهودا مضيئة في دراسة القرآن العظيم، واستخراج درره الكامنة. ثم إنّ هذا التّفسير مليء بأحكام القرآن، إلى جانب عرضه جميع الأقوال في التفسير وترجيح ما يراه صوابا، بطرائق حجاجيّة علميّة، دون أن يتعصّب لرأي أو لمذهب. دون أن ننسى كثرة الفوائد والاستنباطات والدّرر المودعة في هذا التّفسير، ممّا يجدر بكلّ باحث أو طالب علم الاستفادة من هذا الكتاب.

إنَّ هذا الكتاب قد لقي القبول في شتَّى البقاع؛ شرقها وغربها، وصار مرجعاً أصيلاً للعالم المنتهي، فدراسة جانب من جوانبه؛ كالجانب اللغوي -مثلاً- يزيد من قبوله، إضافة لتسهيله، وفهمه وتوضيح ما أشكل على العامة من مبهمات بعض الألفاظ اللغوية. ثم إنَّ اللُّغة آلة من آلات البحث والقرآن العظيم كتاب عربي مبين، ضمَّ في ما ضم بين دفتيه أحكام الشريعة الإسلامية الغراء، وفهمها مرتبط باللغة؛ لأنه ألفاظ وتراكيب، وكلُّ منها بحاجة إلى توضيح وبيان، فالقرآن أحكام، وفهم الأحكام مرتبط بفهم لغة القرآن. فمن هنا، اكتسب الموضوع أهمية، تجعله أهلاً للدراسة والبحث فيه.

وتتخصر إشكالية بحثنا هذا في كيفية استخراج المعاني القرآنية، واستيضاح دلائلها من خلال مدلولها الإعرابي، ومعناها التركيبي، وهل أنَّ للإعراب دور مهم في تشكيل المعنى في النص القرآني أم لا. إضافة إلى ذلك؛ نستوضح عن سرِّ اشتهاار هذا التفسير ورضى العلماء عنه، على الأقل من جانبه الإعرابيَّ خاصّة: فما مدى أثر التّخريج الإعرابيّ في تشكيل دلالات المعاني القرآنية؟

ونروم من بحثنا هذا تحقيق الأهداف التالية:

- استخراج المسائل الإعرابية من كتاب الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي.
 - تبويب هذه المسائل وترتيبها، وفق أبوابها الإعرابية المعهودة في كتب النّحاة.
 - جمع شتات المعلومات التي تدور حول المسائل المختلف فيها.
 - دراسة المسائل دلاليّاً، وإبراز المعنى القرآني الذي تؤدّيه المسائل الإعرابيّة في الكتاب.
- وقد خرجنا من بحثنا هذا بنتائج عدة، استنتجناها خلال مسيرتنا البحثية في هذا الموضوع. فمما لاحظناه أنّه كان يكتب بأسلوب فيه الحزن والأسى في معظمه؛ وذلك لأنه كتبه بعد سقوط الأندلس، وهو الذي عايش هذا الحدث الأليم، حيث كتب تفسيره وهو بمصر، وقد حزن على فقدان الأندلس وفراقها، وكان كثيراً ما يذكرها ويستطرد في ذكر ما حدث له فيها.

ثم تبين لنا مما لا مجال للشك إليه، أنّه لا يمكن الخوض ولا التّجرؤ على تفسير كتاب الله تعالى، وشرح مكنوناته، إلا بعد الأخذ بناصية اللغة عامة، ومعانيها الإعرابية خاصة؛ فإنَّ الإعراب

مفتاح مغاليقه، ودليل طريقه ومسالكه. فمن ثمار هذا العمل أننا عرفنا من خلاله خطر علم إعراب القرآن، وأهميته البالغة شأواً عظيماً في تأدية المعنى القرآني.

كما تبين لنا أنّ القرطبي -رحمه الله- موسوعيُّ الفكر والعلم، يدور مع الآية أينما دارت، تراه فقيها يسبر أغوار أقوال الفقهاء وعِلَلهم وتخريجاتهم، ثم تراه لغوياً نحوياً يجول بين النحاة ومذاهبهم وآرائهم، ثم يصل بين القراء وأوجه رواياتهم وتوجيهات قراءاتهم، وتراه في العقيدة لا يُشَقُّ له غبارٌ، وفي التفسير لا يعلو على كعبه كعبٌ، وفي الزهد والأدب والتواضع تراه إماماً مجتهداً، ومفسراً مخلصاً.

ثم كان يتطرق إلى بعض لغات القبائل النادرة الاستعمال، فيضفي على التفسير بعض النكت وطريف الأخبار، إثراءً لمكنز التفسير. وكان يذكر في الآية الواحدة أوجه عديدة من الإعراب، وكثيراً ما كان يرجّح أحد الأوجه، ترجيحاً لعلّة لا ارتجالاً. فيضع بين يدي القارئ المتخصص بالنحو مادة ثرية من الأوجه الإعرابية المختلفة.

كما لاحظنا خلو تفسيره من التكرار، فكان إذا وصل إلى اللفظة أو الآية، وكان قد فسر ما يشبهها قبل، كان يتجاوز الإعادة، ويكتفي بالإشارة إلى أنّه قد تعرض لذلك في موضع سابق، أو يتجاوز التفصيل في تفسير آية من الآيات؛ لأنه سيفصلها في مقام سيأتي بعد هذا في آية مشابهة أخرى. فكان كثيراً ما يحيل بعض المسائل إلى مواضع من سور لاحقة لم يتطرق إليها بعد، وهذا دليل على أنه كان قد رسم خطة تصورية في ذهنه عن العمل الذي كان يريد إنجازَه، ولم يسر فيه ارتجالاً دون فرضيات أو معالم مسبقة. وهذا جانب منهجيٌّ قلّ ما كان يحضر في تصانيف الأول.

كما لاحظنا أنّه كان يستعمل مصطلحات الكوفية: كالنعت، والخفض... وقد يسمي التمييز بيانا، والمفعول المطلق مصدراً، والمفعول لأجله تفسيراً، وقد يكتفي ببيان محل حركة الإعراب فيقول: في موضع رفع، أو في موضع نصب، أو في موضع خفض. أو يكتفي ببيان التقدير كأن يقول مثلاً- في نزع الخافض بأنّ قوله: (أنّ قالوا) هي بمعنى: (بأن قالوا). وقد يسمي الحرف الزائد صلةً، وهذا من اصطلاح الكوفيين.

وكان في الأبواب اللغوية عامة، والإعرابية خاصة، يُكثر من الأخذ عن الفراء في معانيه، والزمخشري في كشّافه، والزجاجي في معاني القرآن وإعرابه، وعن النحاس في إعرابه القرآن، وابن الحاجب في الكافية، وعن ابن عطية الأندلسي في محرره الوجيز، وعن ابن العربي في أحكامه. وقد حاولنا، بما وسعنا القدرة، الإشارة إلى مواضع مقتبساته في مضائها.

وكان كثيرا ما يُلبس في أعاربيه على القارئ، فلا يذكر الإعراب مفصلا، بل يكتفي بذكر الحكم لا غير، فتراه يكثر من قول: في موضع رفع، أو موضع نصب، أو موضع خفض. مما اضطرنا إلى البحث في غير مصدر واحد، عن حكمها الإعرابي عند علماء التفسير واللغة، ونقاربها بحكم القرطبي فيها، لفهم مقصده. كما قد وجدنا بعض النقول والأقوال غير معزوة لصاحبها، أو يكتفي بقوله (قيل) دون تحديد القائل، وهذه قد وردت بكثرة في تفسيره.

ولم تكن دراستنا هذه دراسة نحوية محضة، فلم نعقد لأبواب النحو من أجل الخوض في أحكامها النحوية وأوجهها الإعرابية، وغير ذلك من المسائل التي تتدرج ضمن القواعد النحوية التي أرساها أسسها النحاة؛ وإنما كنا نعمل إلى دراسة هذه الأبواب النحوية من جهة دلالة إعرابها ومعانيه. كما أننا بهذه الدراسة النحوية الدلالية، فتحنا الباب أمام أهل البحث والاختصاص للاشتغال على هذا الجانب المهم من جوانب علوم اللغة العربية؛ ألا وهو البحث في النحو دلاليا، للتأسيس لنظرية عامة لمعنى النحو، حتى لا يبقى النحو من العلوم التي لا تتجاوز الدراسة الشكلية للتركيب، وإنما يستطيع النحو أن يشارك في تشكيل الدلالة وصناعة المعنى بل وتوجيهه.

الملخص:

يتناول هذا البحث قضية العلاقة بين النحو والمعنى أو بين الإعراب والدلالة، فهو دراسة نحوية دلالية تحاول التطرق إلى معاني الإعراب ودلالاته داخل السياق القرآني في تفسير القرآن للإمام القرطبي في كتابه: (الجامع لأحكام القرآن). فعرفنا التفسير والمعنى والدلالة، ثم عرفنا بالسيرة العلمية للإمام القرطبي، وكذلك منهجه في تفسيره. ثم تطرقنا في الجانب التطبيقي إلى المعاني الإعرابية في الجملة الاسمية، ثم المعاني الإعرابية في الجملة الفعلية، وأخيرا المعاني الإعرابية للحروف.

المصطلحات المفتاحية: النحو - الإعراب - المعنى - الدلالة - الاسم - الفعل - الحرف - التفسير - التأويل.

Abstract

This study deals with the relationship between Grammar and meaning or between Grammar and Semantics. It is a grammatical and semantic research, attempting to shed the light on the meaning of grammar and its significances within the Koranic context in the interpretation of the Quran by Imam Al-Qurtubi in his book titled "Collector of Quran Provisions"(Eldjami' lahkam Quran). Hence, we define the interpretation, the meaning and the significance, and then we introduce Imam Al-Qurtubi, as well as his method of interpretation. However, the practical part focuses on the grammatical meanings in the noun phrase and in the sentence (complete sentence S+ V+...), and then the grammatical meanings of prepositions.

Keywords: Grammar, meaning, semantic (significance), noun, verb, preposition, interpretation.

Résumé

Cette étude porte sur la relation entre la grammaire et la signification ou entre la grammaire et la sémantique. C'est une recherche grammaticale et sémantique, tentant de traiter le sens de la grammaire et ses significations dans le contexte coranique dans l'interprétation du Coran faite par l'Imam Al-Qurtubi dans son livre intitulé "Collectionneur des provisions du Coran" (Eldjami 'lahkam Coran). Par conséquent, on définit le sens, l'interprétation, et la signification, puis on présente l'Imam Al-Qurtubi, ainsi que sa méthode d'interprétation. Cependant, la partie pratique se concentre sur les significations grammaticales dans la phrase nominale et dans la phrase verbale (phrase complète, puis sur les significations grammaticales des prépositions.

Mots clés : Grammaire, sens, signification, nom, verbe, préposition, interprétation.